مبادرة

القراءة بالمجان

ليان للنشر والتوزيع

الكتاب: كُتَّاب المعتكف الكتابي
الكاتب: حواديت 2020
رقم الإيداع: 22946/ 2019
ISBN: 978-977-800-153-7
تصميم الغلاف: محمد عبد القوي مصيلحي

دار ليان للنشر والتوزيع
مدير النشر: فتحي المزين: 01282288056
Email: layanpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، وأي محاولة للطبع أو النشر بأي طريقة دون
موافقة كتابية يعرِّض صاحبها للمساءلة القانونية

كُتَّاب المعتكف الكتابي

حواديت 2020

ليان للنشر والتوزيع

ما قبل النهاية

محمد رفعت

ماذا لو استيقظت يومًا ووجدت نشرات الأخبار جميعها تذيع ذات الخبر بأن نهاية العالم بعد أسبوع من الآن!

قد لا يستوعب عقلك تلك اللحظة ولا يمكنك أن تتوقع ما قد يحدث لك أو كيف ستتغير بين ليلة وضحاها إذا عاصرت تجربةً كهذه، ولكنني قررت أن أدوِّن كل ما حدث لي يومًا بيوم حتى ميعاد زوالنا من العالم.. لا أعلم ما الفائدة من ذلك، ولكن ربما تصل كلماتي إلى أحدٍ ويعرف كيف كانت نهايتي.

أذكر أنني استيقظت ذلك اليوم لأجد جميع أفراد عائلتي أمام التلفاز مدهوشين، أمي تبكي بغزارة، أختي ترتجف في رعبٍ، وأبي يبتسم يحرق تبغه في توتر، والجميع في حالة صدمة وهدوءٍ لم يكسره سوى صوتي مقاطعًا حينما سألت "ما الذي يحدث؟" وما إن رأتني أمي حتى ارتمت بين أحضاني وقالت في صوتٍ متقطع "نهاية العالم في خلال أسبوع من الآن، ولن يبقى لنا وجودٌ بعدها".

في حقيقة الأمر لم أستوعب كلامها حينَها، ولم أصدِّق التلفاز مثلهم، فربما هي كذبة إبريل التي تلقي بسخافتها على الجميع، على الرغم من أننا في شهر أكتوبر، ولكن مَن يدري ربما جاءت مكررة هذا العام وأصبح هناك كذبة لإبريل، وكذبة لأكتوبر، أو ربما أخطأ أهلي في الفهم وأن البرامج كانت تقوم بعمل اختبار للعالم..

لا أعلم، ولكنني لم أصدق حتى دخلت إلى مواقع التواصل الاجتماعي وتيقنت من صدق هذا الكلام، فقد أبهرني ما رأيت من كتابات الناس؛ وجدت الجميع يطلب المسامحة من غيره، البعض يعترف بأخطائه المستورة على الملأ طالبًا العفو والغفران.. كثرت الأدعية والولولة على الحال، ولم يعد أحدٌ يهتم بنشر النكات، أو يسخر كما جرت العادة من تلك الأخبار عن النهاية.. إذًا الموضوع أصبح حقيقيًّا، والكل يغني على ليلاه، حتى كل من أعرفهم ممن ألحدوا سابقًا منكرين وجود الخالق ناشرين سخرياتهم اللاذعة من أمثالنا المؤمنين، وجدتهم يعترفون بالإله ويطالبون الجميع بالهداية والدعاء لهم بالعفو عند الله، الواقع الافتراضي أصبح سيرياليًا أكثر من المعتاد، ولا يمكنك تصديق ما قد ترى.

من ناحية أخرى، وفي العالم الواقعي اكتظت المساجد والكنائس بالمصلين، وكثر المعتكفون، حتى إنني وجدت في المسجد المقابل لمنزلي ذلك البلطجي الذي قام بسرقة المنطقة كلها سابقًا ولم يجرؤ أحد على محاسبته أو معاقبته، وجدته يطلب من الناس في المسجد أن يعلّموه الصلاة، حتى إنه في لحظة عفوية أمسك بالميكروفون بدلًا من الإمام طالبًا السماح من كل الناس، وأحضر كل مقتنياته التي سرقها سالفًا ليأخذها كُلُّ مَن كان له حق، ولكن الأكثر غرابة هو أنه لم يتقدم شخصٌ واحدٌ ليأخذ أغراضه، بل مر الناس عليه مربتين على كتفه في سماحة وابتسام، وآخرون أعطوه عذرًا عن كل مصائبه السابقة، وكثير منهم احتضنوه وبكوا معه، أما أنا فقد أصابتني حالة من النكران وعدم الاستيعاب، ولم يعد بإمكاني التنبؤ بما قد أرى في هذا الأسبوع.

في الشوارع هدأ البعض، ولكن البعض الآخر أصابته حالة من الهياج والعشوائية.. فقد زادت حالات الاغتصاب بشكل وحشي، وانتشرت الرزيلة على الأرصفة على مرأى من الجميع دون أي حياء أو توارٍ. كل من فاته شيء وكبحه

طوال سنين حياته وجد المنفس أخيرًا ليشبع رغباته وشهواته، فهذه هي الفرصة الأخيرة، لينعموا بالجنة الأرضية، فقد تفوتهم الجنة السماوية. اختفى الحياء والعتاب ولم يعد هناك أحدٌ يعاقب أحدًا. عُطِّلت القوانين، وعُطِّلت القواعد والحدود، لا أحد يعمل، ولا يحارب أحدٌ أحدًا. لم يعد هنالك قيمة للنقود، لذلك لم تُمَس البنوك، بينما أصبحت جميع المحلات مفتوحة على مصراعيها، لا قيمة لشيء سوى أي بضاعة.. خذ ما شئت، ولن تصبح آثمًا أو سارقًا، واترك ما شئت فلن تُحاسَب وكأنك متعففٌ، حتى سيارتك لم تعد ملكًا لك الآن، قد تستيقظ يومًا ولا تجدها كما عهدت، وقد تأخذ أي سيارة أمامك دون الشعور بالذنب، فلا تبكِ على ما أُخِذَ منك، ولا تندم على ما تأخذ، الملكية أصبحت عامة، والجميع لا يكترث، لم تعد الثروة تغنيك عن شيء، ولم تعد الفوارق الطبقية تعني شيئًا.

كل المناطق العشوائية أصبحت شِبه فارغة، لجأوا إلى المناطق الفارهة، وشاركوا سكانها عنوة في السكن والملبس، لا أحد يلجأ للشكوى حتى أو طلب العون، كلٌّ هو في شأنٍ. تحققت العدالة السماوية أخيرًا في الكثير ممن ظلموا، فأخذ كل مظلومٍ حقه من كل ظالم، حتى إن معظم الشباب تجمهر أمام قصر حاكم البلاد بعد أن تخلت كُلُّ حاشيته عنه وانشغلوا بذويهم، وأهليهم، وقطعوا جسده إربًا في مباركات وفرحات لا مثيل لها، لم يعد هناك كبيرٌ أو صغير، انتشرت الجرائم بشكل عشوائي، فكل من له ثأر في الدنيا، هذه هي فرصته الأخيرة، لا توجد محاكمات ولكن يوجد عقاب واحد لكل ما سلف.. القتل العمد!

قد لا يفاجئك أنه لم يعد هناك مستشفيات تعمل، معظم الأطباء غادروا أعمالهم، لم يعد تأوُّه المرضى يصب الرحمة في قلب أحد، فإن زاد ألمك اطلب الرحمة بقتل أحدهم لك، لكن لا وقت للعلاج، الوقت حتى قد لا يكفي لتستودع أهلك وأصدقاءك، حتى المرضى لم يطلبوا أي علاجات، ولا أي مسكنات.. الكل يحاول أن يقنص أي شيء من الوداع الأخير.

علك لم تدرك أن الأمر قد يبدو بهذا التناقض الشديد، فأمام المسجد ترى شبابًا يشيعون الفاحشة على مرأى من الجميع، في حين أن المسجد مكتظًا بالمصلين، أناسًا تهاوت عقولهم من الجنون والخوف، وأناسًا ينتظرون النهاية في سعادة ويسر، قد يبدو لك الموقف غير منطقي، ولكن صدقني أنا لم أكن أظن مثلك أن يبدو الحال كما أراه الآن؛ ففي الوقت الحالي تجد كل شيء وعكسه بالتساوي؛ الظلم والعفو، الخير وقمة الفجور، التدين والكفر، الخوف التام من لقاء الله وأيضًا التلذذ بتنفيذ تعاليم الشيطان كأنه بعث من جديد.

اليوم الخامس قبل النهاية:

بعد مرور أول يومين من الأسبوع الأخير، وبعد تأكدي من صدق ما حاولت أن أكذبه طوال اليومين السابقين بدأت تراودني فكرة أنه لا بُدَّ من مواجهة كُلِّ ما تراخيت عن مواجهته، عن مخاوفي التي لم أجرؤ على محاربتها، وعن كل أذىً واجهَني ولم آخذ ردَّ فعل تجاهه. لم يتبقَّ لدي سوى بضعة أيام لكي آخذ من الدنيا كل ما أستطيع، لم أخطط بماذا أبدأ، ولكن لاح في ذهني أول شيء؛ حبي القديم "ندى" تلك الفتاة التي أكن لها كل العشق منذ أكثر من خمسة أعوام، ولكن لم أكن أمتلك الجرأة كي أصارحها خوفًا من أن تلقى مشاعري بفتور ورفض ليندب قلبي للأبد، ولكن بما أن "الأبد" بقي له خمسة أيام فقط، ولم يعد في الكون سوى سويعات، اتخذت القرار بأن أذهب إلى بيتها لكى أعترف أمامها دون خوف، فلم يعد في العمر -بل في العالم- بقية، ولم يعد لشيء معنى فإن كانت تبادلني نفس الشعور ستصبح إذًا نهاية العالم شيئًا ورديًّا وسط عتمته وكآبة معيشته حاليًا، وإن لم تبادلني إياه فلن أخسر شيئًا، فالكون زائل وأنا بصحبته.

سرت طريقًا طويلًا أحاول فيه ترتيب كلماتي وأُمثل طريقة إلقائي على مسمعها بل وأتخيل ردَّ فعلِها لتزداد حماستي أضعافًا، وتغدو خطواتي قفزات، ويهيم قلبي

بضربات متسارعة تخطفني من كوني إلى عالمٍ آخر لا أعلم عنه شيئًا. هذا كله فقط حين تخيلت قبولها، فما بالك إن وافقت بالفعل، ما إن اقتربت من بيتها حتى أمسكت بهاتفي ثم طلبت رقمها على الهاتف:

- ألو.. كيف حالك يا ندى؟

- مصطفى! أنا بخير، كيف حالك أنت.. هل رأيت ما يحدث؟ هل كان من الممكن أن يتخيل أحدٌ أن تأتي النهاية هكذا! لكنني سعيدة باتصالك، أعلم أنك تتصل لكي تودعني، ولكنني لم أرد أن أودع أحدًا هكذا، كيف لي أن أنتظر الموت وفراق أحدهم و...

لا أحتمل ثرثتها الآن كعادتها؛ لذلك قاطعتها فقد حان دوري أنا للحديث يا ندى.

- ندى.. في الحقيقة لم أتصل لهذا السبب بالضبط.. أنا أمام مبنى منزلك هل من الممكن أن تقابليني الآن؟

- أمام منزلي! الآن! هل أنت بخير؟

- جميعنا لسنا بخير، ولكنني أريد أن أقول لكِ شيئًا ترددت فيه سنينَ، ولم يعد في العمر بقية لكي أنتظر وقتًا آخر، هل من الممكن أن تقابليني الآن؟

- بالطبع يا مصطفى.. انتظر فقط عشر دقائق سأقوم بتغيير ملابسي وأنزل لمقابلتك.

انتظرت عشر دقائق كما تقول دقات عقارب الساعة، ولكن واقع الأمر أن تلك الدقائق مرت دهرًا، لا أعلم سر توتري، ولا أعلم كيف ملكتني الجرأة. ضاع كل الحماس بعد أن أغلقت الهاتف وتبدل بتوتر شديد حتى إنني تصببت عرقًا، وارتجفت أصابعي، وتضاربت دقات قلبي بشكل هيستيري، وكأن مزيكا المشاهد الفارقة في الأفلام في خلفية المشهد. بقيت هكذا حتى ظهرت أخيرًا معشوقتي،

جمالها الذي أربكني طوال خمسة أعوام ظل كما هو، لم تغيره نهاية العالم، ولم يبدله تبدل الكون بأكمله، ظهرت بكامل أناقتها، حتى وإن كان لبسها في الواقع عاديًّا جدًّا في نظر الجميع، لكنه في نظري هو المعنى الوحيد للجمال. وجنتاها بهما حمرة خفيفة تخلق عالمًا من الجمال خُلِقَ فقط لها، وشعرها الأسود الداكن المربوط كان كشلال نهرٍ اتخذ من رأسها متكئًا، وعيناها المتواربتان خلف نظارتيها تملك ينابيع من النور تاهت وسكنت فقط فيهما.

اقتربت مني بابتسامة ملائكية طفولية خطفتني وأربكتني حتى إنني تلكأت قليلًا في ردِّ السلام عليها، وما إن تمالكت نفسي في أقل من ثانية استفقت من حالة الثبوت التي انتابتني وبادلتها السلام، وبعد عدة دقائق مرت من السلامات والضحكات المتفرقة، عبث وجهها فجأة وبادرت بالقول:

- أرأيت ما يحدث يا مصطفى! هل كان ليتخيل أحدٌ أن يحدث ما يحدث الآن؟

- لا أعلم كيف حدثَ هذا، ولم أكن أتخيل يومًا أنني سأعيش لليوم الذي سأشهد فيه نهاية العالم بنفسي، دائمًا ما أقول لنفسي ستكون النهاية مؤكدًا بعد أن أفنى، ولكن يا لحظي التعس بقيت حتى أتى ذلك اليوم، ولكن هل أنتِ خائفة؟

- أولست خائفًا أنت أيضًا؟

- والله لا أعلم ما هي طبيعة مشاعرى الآن، منذ أن علمت باقتراب نهاية العالم وأنا لا أعلم إن كنت خائفًا أم قلقًا أم أنني آخذ الأمور بسلاسة غير طبيعية، ولكن ما أعرفه حقًّا أنني لا أريد أن أضيّع ولو دقيقة، وأن أقوم بعمل ما أجلته طوال حياتي، أو ما تمنيت أن أفعله ولم تكن تتملكني الجرأة لفعله.

- أنا في حقيقة الأمر خائفة ولا أعلم إن كنت سأنال رضا ربي عني بعد موتي، هل سأفوز بالجنة أم لا، هل فعلًا يعلم الله بنا في الأساس أم لا، كم من الأفكار

المتضاربة التي أصابتني، ولا أعلم عنها شيئًا.. ولكن بعض الأوقات أحاول أن أوقف شلال الأفكار وأحاول أن أستمتع بالوقت المتبقي فقط مع عائلتي حتى أشبع روحي بوجودهم، فأنا لا أعلم ما سيحدث في حياتي الأخرى.. صحيح لماذا أردت مقابلتي؟ قلت إنك تريدني في موضوع لا يمكن التحدث عنه في الهاتف.

أربكتني مفاجآتها، فقد تناسيت للحظات ما كنت قد جئت من أجله، غمرتني طريقة حديثها وكلامها وتاهت أفكاري لتبقى فقط معها، وهكذا تفعل معي دائمًا. ظللت مرتبكًا هكذا حتى نظرت إلى نظرة متعجبة، وأنا لا أنطق شيئًا ثم قالت فجأة:

- ماذا بك يا مصطفى.

- لا أعلم ولكنني مرتبك قليلًا، ولكنني سأقول لك ما جأت من أجله

- هل ما ستقوله مربك لهذه الدرجة؟

- ليس كذلك ولكنني كنت.. أأأأ..

قاطعتني هي في هذه اللحظة من ارتباكي وهي ترمقني بنظرات باهتة

- في الحقيقة.. أنا أعلم ما جئت من أجله.

- تعلمي! ماذا تقصدين؟

- أنت جئت لتعترف بما كتمته عني طوال سنين، جئت لتحكي حقيقة مشاعرك تجاهي.. أنا أعلم أنك تحبني.

ازداد احمرار وجهي، وتصببت عرقًا، ذاب لساني، وجف حلقي وكأنني صائم عن الشرب دهرًا، ولكنني تمالكت نفسي وحاولت أن أخفي تلعثمي أمام صراحتها وصلابة قولها حتى في الأخير تمكنت من النطق.

- وبما أنكِ تعرفين الآن.. ما قولك؟

- الصراحة يا مصطفى كنت بالفعل أحبك، وانتظرتك طويلاً حتى تقولها، ولكن...

- ولكن ماذا؟!

- في الحقيقة أنت لم تَقُلْها، بل أنا التي أزحت عن كهلك تردُّدَك، وفاجأتك بها، أما بالنسبة لكلمة كنت أحبك فهي واضحة، لا معنى آخر لها.. أنا انتظرت كثيرًا على أمل أن تمتلك الجرأة لتقولها، ولكن انتظاري طال حتى أرهقني وذبل حبى تجاهك، لم تملك الجرأة يومًا، ولا أعلم ماذا كنت تنتظر، وكيف جَبُن قلبك كل هذا الوقت، وهل كنت تتوقع أن أطير من فرحتي بعد أن قُلتها الآن.. في الحقيقة أنت أضعت أيامًا كثيرة حتى تعترف بما في داخلك، أضعت أيامًا كنا نستطيع أن نتشاركها سويًّا، وأن نبني فيها حياتنا.. حتى في آخر أيامي كنت أتوق لأن أبكي في وجودك، وأن يزيح عني خوفي من الموت هو أنك حبيبي، ولكنك حرمتني من كل هذا بسبب مخاوفك وقلقك الزائد.

- أعلم أنني ربما تأخرت كثيرًا، ولكنني أحاول أن أصلح ما أفسدته في آخر أيامنا.

- مشكلتي أنني لن أتحملها الآن، دافِعُك فقط هو النهاية.. لو رفضت فلن تخسر شيئًا وستمر الأيام المتبقية ولن تشعر، وإن قبلت وبادلتك الحب، فلن يتبقى لنا من الوقت ما يمكننا أن نستمتع فيه بحبنا ولا لنشعر فيه بما كان من الممكن أن نشعره لو تقاربنا من قبل، فالمجازفة هنا لا مخاطرة فيها.

- ولكن ماذا ستكسبين بكسرة قلبي بعد أن اعترفت، هل كان سيعجزك شيئًا إن جاملتني حتى وقبلتِه؟

- وهل تقبل أن تعيش باقي أيامك بخدعة.. أنا يا مصطفى لا أحبك ولا أكرهك، ولكن صراحتك واعترافك الآن ليس بشجاعة، الشجاعة هي أن تواجه وأنت لديك ما تخسره، أن تجازف لتحظو بما أردته بشدة، أن تنحي كرامتك وصراعك الداخلي فقط لتنال الحب الذي تمنيته، وفي حقيقة الأمر لو بقي حتى يومٌ واحدٌ كنت أتمنى

أن أشعر فيه بحب شخص اختار أن يبقى معي وإن كان سيخسر كل ما لديه، لا أن يعترف بحبه حينما لا يجد ما يخسره إن فقدني.. الحب شجاعة يا مصطفى، وأنت لم تكن بالشجاعة الكافية لتتحمله.

لم أتحمل كلامها، ولا أذكر كيف انتهى حديثي معها، ولكنني رحلت ومشيت كثيراً حتى إنني لا أعلم كيف وصلت منزلي يومها، شتان بين طريقي وأنا ذاهب إليها، وبين طريقي وأنا عائد إلى بيتي من بعد مقابلتها، في كلا الطريقين لم أشعر بالوقت ولا بطول الطريق، ولكن في عودتي كنت كالكهل، خطواتي بطيئة، ظهري محني كتلميذ رسب في آخر امتحان. بكيت كثيراً كما لم أبك من قبل، وشعرت بندم شديد.. كان لديها كل الحق في كل ما قالته، أنا ضعيف وشخص إنهزامي. لا أواجه شيئًا، وأهرب دائمًا خوفًا من العواقب لأي شيءٍ، هل هذا ما كنت أخاف مواجهته دائمًا! الشعور بالرفض.. الخذلان.. أنني غير مقبول!

دخلت غرفتي، ولم أجلس مع أسرتي يومها، شعوري بالانهزام بعد مواجهتها لحقيقتي التي دائمًا ما كنت أخفيها أعرتني أمام مرآتي، وللأسف لا أملك رفاهية الحزن كثيراً، فلا يوجد وقت كافٍ لهذا. سارت الأفكار والذكريات تنهال عليَّ، ولم أستطع النوم من صراخ عقلي في حوار داخلي مكتوم. ولكنني ما إن بزغ فجر يومي الرابع قبل النهاية حتى اتخذت القرار في المواجهه.

اليوم الرابع قبل النهاية:

في بداية اليوم ظللت جالسًا مع عائلتي بذهن شارد.. كيف سأبدأ هذا الجدال؟! قد تتساءل وما الفائدة الآن لما سأفعله، ولكن أرجوك ضع نفسك مكاني.. ليس لدي ما أخسره كما قالت ندى، ولكن يمكن أن أمُت راضيًا أنني تجرأت أخيراً في حياتي لمواجهة أساس متاعبي في كل ما مرَّ بي.. قد تعتقد أنك إن علمت بميعاد نهايتك ستكون خائفًا.. بائسًا، ولكن يكفي أن أقول لك إنني أشعر أنني محظوظُ

جدًّا لأنني أملك كل أفعالي وأعلم كيف سأنهي حياتي فأنا أعلم ميعاد وفاتي، وأعلم ما أريد ان أفعله وأواجهه الآن.

توجهت إلى أبي مباشرة وطلبت منه التحدث إليه في غرفتي منفردًا، وهذه هي المرة الأولى في حياتي التي أطلب منه طلبًا كهذا، وما إن دلفنا إلى غرفتي حتى ظهر الوجوم والقلق على وجهه حتى بادر قائلًا:

- ماذا بك يا مصطفى؟! منذ البارحة وأنت لست على ما يرام.. هل حدث لك مكروه؟

- نعم يا أبي حدث لي مكروهٌ، ولكنه حدث منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا، لم يكن من البارحة فقط.

- ماذا تقصد؟ ما المشكلة يا مصطفى؟!

- أنت يا والدي المشكلة؟

- أنا!

- نعم أنت مشكلتي في حياتي، وسر تعاستي منذ وُلِدتُ.

- ما الذي تقوله؟ هل جننت؟! ما الذي فعلته لكي تقل لي كل هذا؟

- ماذا فعلت! يا الله كيف لا تعلم ما فعلته بي، أنت زرعت بداخلي كل الخوف.. لم أجد منك سوى الإهانة والجمود، الاستهتار بمشاعري والاستهزاء بها، ألغيت شخصيتي وكياني، كنت أخاف حتى من النَّفَس الذي أتنفسه في وجودك، كنت أرى في عينيك تلذُّذًا في إذلالي وإهانتي.. منذ كنت طفلًا صغيراً وأنت تضربني وتصفعني أمام الناس، لم يكن يهنأ لك جفن سوى بضربي يوميًا، وما إن بكيت تزيد من قسوتك بداعي أنه لا رجل يبكي.. في طفولتي كنت أتبول في سروالي أمامك ولم يردعك هذا أبدًا، كنت ترى إنطوائي وتقابله بتشبيهي بالفتيات، كنت

تستخدم سلطتك لتمحيني وتقتل وجودي؟ لن أنسى ذلك اليوم الذي ربطت فيه جسدي بسرير غرفتي لتنهال عليَّ بالضرب بحزام سروالك فقط لأنني رسبت في إحدى المواد، بيتنا كان سجنًا وأنت سجّانه، لا تعلم كم مُتُّ من حزني وشعوري بأنني شخصٌ أدنى من أن يكون كالآخرين.. صرت مسخًا، بقايا إنسانٍ يتهاوى أمامك.. كنت أرى ظلمك لكلِّ مَن في البيت ولكن لم يكن لدي ما أفعله، لن أقول لك قلَّت ثقتي بذاتي لأنها لم تولد من الأساس، كنت أنزوي بين الناس وأتحاشى مخالطتهم.. لم يكن لدي أصدقاء، حتى إنني كنت أشحذ محبة الآخرين خارج بيتي، ولكنني كنت أضعف من أن أصارح أو أبادر بالبوح بأي شيء.. اعتدت التواري بدلًا من المواجهة. كنت أرى من كل الناس الدعم من أهلهم، ولكنني لم أرَ منك سوى الخوف والرعب، فأنت لم تكن سوى كابوسٍ ولدت به وعقابًا دام طوال حياتي.. كنت أشعر أنك تكرهني، وكأنني ذكرى لخطيئة ألمّت بك، أو عيب خلقي لم تستطع مواربته.. عشت سنين عمري لا أشعر بالأمان، لا أشعر بحنو الأب الذي ما كنت أسمع عنه حتى إنني كرهت الحياة، وكرهت كوني ابنك، ولا أعلم ما مبررك حتى الآن.. حقيقي لا أعلم لماذا فعلت كل هذا بي!

- كنت أخاف عليك، كنت أظن أنني بذلك أُربي رجلًا *قالها في ذهول وتلعثم*

- فعلًا! إذًا انظر أمامك.. هل تراني رجلًا؟ هل تجدني كما طمحت؟ لقد جرّبت كل طرق المذلة معي.. هل نفِعَت؟

- لا أعلم ماذا أقول.. ولكن لماذا الآن؟ لماذا انتظرت كل هذه السنين ولم تنطق سوى قبل نهايتنا؟

- انتظرت لأنه لم يكن لدي سبيل آخر.. انتظرت لأنني كنت أجبن من مواجهتك، كنت أخاف أن أتحدث إليك، أخاف أن أواجهك فتقتلني لأنني أعتقدت أن قتلي هو خطوتك التالية معي.. كنت جبانًا تقتلني وحدتي ووحشتي كل يوم.. ويقتلني

سكوتي وصراعي الداخلي، خوفي كان سرطانًا ينهش بروحي ولم أجد له علاجًا.. كل ما كنت أنتظره هو موتك حتى أعيش وأجد روحي

- موتي! *قالها في انفعال.. غير مصدق ما أقول*

- نعم موتك! هل أحزنَك سماعك من ابنك الوحيد أن كل ما تمناه من الدنيا هو موتك.. هل فاجأتك هذه الحقيقة!

قلتها في سخرية، ولكنني وجدت عينيه مكسورتين زائغتين محملقتين في الأرض حتى اغرورقتا بالدموع، وظلَّ صامتًا شاردًا حتى نطق أخيرًا بصوت واهن

- لماذا الآن تحدثت؟ لتذكِّرني بكل ما مضى؟

تنهدت قليلًا، ثم ابتلعت ريقي بصعوبة وأجبته

- عندما علمت أنه لا فرصة لدي لأنال جائزة صبري وأننا سنموت سويًّا، وقتها قررت بأنه لا يمكن أن أنهي حياتي وحياتك دون أن تعلم كيف دمرتني، ودمرت روح إنسان لم يرتكب أي ذنب سوى أنك والده. قررت أن أواجه أهم مخاوفي.. أنت، خاصة عندما صفع قلبي عندما قررت ولو لمرة واحدة أن أنعم بالحب وأعترف لمن أحببتها بما أشعره منذ زمن، ولكن جاء جُبني حائلًا بيني وبين قبولها لي؛ فذلك الشخص الجبان قليل الثقة بذاته هو وليدتك أنت، صنعة يدك التي تركَتْ في جسدي علامات، ولكنها لا تدري أنها بالرغم من قلة الخسائر في منظورها إلا أن خسارتي الآن أكبر من أي وقتٍ. أتدري حتى في أكثر اللحظات شقاءً أجدني أتفوقها أيضًا، لم تهزمني نهاية العالم كما هزمتني أنت. يا والدي كلها ثلاثة أيام وسننتهي، ولكنني وجدت أنه لا يجب أن تنعم بنهاية هادئة بعد أن كنت السبب في حياتي البائسة.

ما إن أنهيت جملتي الأخيرة حتى بدأت عيني في البكاء، وقلبي في الخفوت، ترتعد يدي من توتري، ولكنني كنت أنظر إلى عينيه في ثباتٍ لم أعهده في شخصي،

وظلَّ هو ينظر إليَّ في حسرة وندم، لا أعلم إن شعرت بذاتي أو امتلكني حتى شعور بالرضا، ولكنني أفرغت شحنة تعفنت داخلي طوال سنين حياتي، حان وقت تفريغها.. عم صمت لم يكسره سوى وقوفه من جلسته متجهًا بخطوات رتيبه نحو الباب، ثم ألقى إليَّ بنظرة انكسار لم أرَها في حياتي منه، ثم رأيت دموعه تسقط أمامي لأول مرة حتى إنني ظننت أنه لم يُولَد بخاصية البكاء مثلنا، ثم قال لي:

- لو كان لدي الفرصة لعوضتك، أنت لا تدري ما أشعر به الآن، إن قتلتني لكان أرحم مما أسمعه، ولكن لديك كل الحق.. أنا آسف، وأرجو أن تسامحني، فليس لدي ما أستطيع أن أقدمه الآن سوى الاعتذار.

لم أجب عليه، وظلَّ نظره معلقًا على عيني، أرى منها رجاءً خفيًا، ولكنني لم أجبه وظلت عيني جامدة، ثم نكس رأسه وخرج مُغلِقًا باب غرفتي وراءه، بعدها جلست على حافة سريري أبكي دون أن أرمق، عيني زائغة لا تتحرك، لا أعلم إن كنت أبكي حالي أو أبكيه، ولكن طاقة غضبي كانت أقوى من أن يتحرك لي ساكنٌ، أو أتعاطف مع ضميره الذي استيقظ الآن.

ظللت على هذا الحال وحيدًا في غرفتي لمدة ساعة حتى شعرت بالكون يضيق بي، نهضت فجأة ثم خرجت من غرفتي لألمح أمي وأختي جالستين في الصالة دون أبي، وفي عينيهم نظرات قلق، ولكنني رمقتهم مسرعًا حتى خرجت من المنزل.

لم أكن أعلم إلى أين أتجه، لا مطاعم تعمل ولا أي أماكن للترفيه أصبحت مفتوحة، الكل يقضي آخر أيامه مع عائلاته وأصدقائه، كما أن الشوارع أصبحت موحشة الآن فمعظمها هادئ وفارغ، لا ضوضاء، لا حياة، لا تسمع سوى صريخ فتاة يتم اغتصابها، أو لهمهمات مسبحين ومكبرين، صحوة دراويش، وسكون يقتل أكثر مما يؤنس، أغلقت هاتفي حتى لا يحدثني أحد من أهلي، وقضيت باقي اليوم أترجّل وأسير بلا وجهة تُذكَر، عقلي يزيح الستار عن كل ذكرياتي، فيلم أراه

الآن يتلخص في قصة حياتي، أتذكر كم عشت وحيدًا، كم شعرت بظلمٍ لم أرَه في أحد غيري، تتقاذفني مشاعري بين الغضب والهوان، بين البكاء والجمود.. سرت ما يقرب من الخمس ساعات حتى حلَّ الليل. لا أدري أين أذهب، لا صديق لدي كي أودعه، لم يكن لدي سوى ندى، والآن لم يعد لدي شخص آخر، ربما مرَّ بحياتي الكثيرين، ولكنني لا أعرف أحدًا كي أهتم بوداعه، ولا أحد أراد أن يودعني في حياتي.. جلست على أحد المقاعد المطلة على النيل ثم غفوت حتى استيقظت على ضوء نهار اليوم الثالث قبل النهاية.

اليوم الثالث قبل النهاية:

استيقظت ثم تذكرت هاتفي.. فتحته لأجد عددًا هائلاً من الرسائل ومكالمات هاتفية التي لم تصل إليَّ، ولكن كلها كانت بأرقام أختي وأمي، أدركت قلقهما عليَّ، ولكن لماذا يقلق أحدهم الآن؟ ما المكروه الذي قد يحدث لي وما الداعي للقلق من الأساس في وقت كهذا؟!

الكل سينتهي، لذلك لم أكترث حتى، ولم أجب عندما رنَّ هاتفي مرة أخرى بعد أن فتحته.. حاولت فتح أي سيارة أمامي، فمعظم الناس تركوا مفاتيح سياراتهم بلا اكتراث، أخذت سيارة وعدت إلى البيت مرة أخرى، وما إن دلفت حتى قذفت أختي إلى حضني تبكي بشكل هستيري، كانت تتحدث بصوت متهتك أسمع كلامها همهماتٍ، ثم ظهرت والدتي فجأة تبكي هي الأخرى ولكنها تحدثت إليَّ:

- أين كنت يا مصطفى؟

- كنت أسير في الشوارع يا أمي، كنت أشعر باختناق شديد لذلك لم أستطع البقاء في المنزل هكذا.. ولكن ما الأمر؟

- والدك.

قالتها بتأثر وبكاء.

- ماذا به؟

قلتها في تأففٍ، ولكنها كانت تبكي بغزارة.

- منذ أن خرج من غرفتك بعد محادثتكم البارحة، دخل إلى غرفته ولم يخرج حتى اليوم، كان لا يجيب أحدًا فظننا أنه كان حزينًا فتجنب الحديث إلينا، ولكن في آخر ليل البارحة جاءته أزمة قلبية شديدة.. ولم نستطع فعل أي شيء، لا أحد يعمل ولا دكتور نحادثه يجيب.. لذلك توفى أمامنا، ولكنه قبل وفاته مباشرة نظر إلينا وطلبَ منّا أن نسامحه وخاصة أنت يا مصطفى.

- محظوظ.

- محظوظ! ماذا تقول يا مصطفى؟

- كما سمعتِ.. أبي محظوظ. كلنا نعيش كابوس انتظار نهايتنا، أما هو أعتقد أن الله أحبه أكثر منا ليتوفى دون أن ينتظر مثلنا.

لا أدري لماذا لم أتأثر، ولكنني ارتأيت أنه طالما كلنا سنودع الحياة لماذا قد أهتم بأحدٍ قد توفى قبلها بيومين، ولماذا قد يعتقدون من الأساس أنني سأتأثر، وهم يعلمون أنه منذ إعلان نهاية العالم قام الكثيرون بالانتحار بسبب عدم قدرتهم على تحمُّل أسوأ انتظار في الكون، ولم يعد أحدٌ يهتم بوفاة أحدٍ، ولم يعد يدفن شخصًا، أو تُقام سرادق العزاء لأنه لن يتبقى أحدٌ ليعزّي فينا بعد النهاية، فلا وقت لدى الناس للواجبات الاجتماعية السخيفة، ولا يكترث أحدٌ بما قيل وقال.. كلٌّ يهتم بنفسه وأهله فقط، كما أنه تبقَّى يومان قبل أن نسافر جميعًا إلى العالم الآخر.. كل ما هنالك أنه سبقَنَا بيومين فقط؛ لذا لا داعي للقلق والحزن.

- والآن دعك من كل هذا.. لا يفيد النواح الآن، دعونا نُغلِق عليه غرفته بإحكام، حتى لا تتسرب رائحة عفونة جسده في آخر أيامنا، ونمارس آخر يومين لنا في الحياة كما يجب.

ظلّتا محملقتين في غير مصدقتين هذا البرود الذي أصابني، ولكنني ما إن شرعت في بدء عملية الإغلاق، أدركتا مدى جديتي، ولم تجدا بُدًّا سوى مساعدتي. لا تدرك سيدي كم شعرت بذاتي وأنا آمر وأنهي وأقود هذه العملية الهزلية، ولكنني ولأول مرة في حياتي أقود بيتنا، ويسمع لرأيي، ويؤخذ على محمَل الجد، وكأنني أثبت لذاتي أنه بالفعل إذا ما توفى والدي منذ زمن كنت لأقود البيت ويتغير حالي بشكلٍ كبيرٍ. أحكَمْنَا إغلاق الغرفة وسددنا الفتحات بقطعٍ من الأقمشة بشدة حتى لا تتسرب رائحة عفونته، أنهكتنا تلك العملية، ولكننا أتممناها على أكمل وجه. أعلم أنه يدور في ذهنك سؤال.. هل ودعته بنظرة أخيرة أو قُبلة على جبينه؟ لكنني لم أعد أشعر بحنين لشيء، ولم أرد أن أراه هكذا فأتعاطف معه، ولم أفتح حتى باب الغرفة، وأمرتهم أيضًا بذلك حتى ننهي حياتنا في سلام.. وأجبرتهم على تخيل أن والدي مسافر، ونحن سنلحق به.

انتهت العملية، وجلست أنا وأمي وأختي.. لا أعلم كيف، ولكن يكفي أن أقول لك بأنه كان أفضل يوم في حياتي، فبعد الصمت الكبير، والبكاء الذي أخذ نصيبه من أمي وأختي وجدتني أتحدث إليهما، وبدأنا في مشاطرة النكات والضحك، نسترجع الذكريات والتي بعضها مؤلم وبعضها مضحك، جلسنا ست ساعات في حياتنا لم نجلس مثلهم، شعرت وكأنني أملك بيتي، وشعرت بحبهما لي لأول مرة، كما شعرت أيضًا بقلقي لفقد كل هذا، تمنيت لو كان في يدي أن أمدّ في عمرنا أكثر كي أستمتع بكياني هذا لأطول فترة ممكنة.. اكتشفت أنني أحبهم، وأنني كنت أكره ذاتي لشعوري بحجمي الضئيل أمامهم، ولكن وجدت فيهم حبًّا لي أكبر مما كنت أتخيل، ورأيت من أمي قصصًا تقصُّها عني بفخرٍ لم أسمعها يومًا.. لماذا لم أعطِ لنفسي فرصةً أخرى منذ ذلك العمر للمواجهة وللتقرب منهم.. أدركت أن خوفي كان حاجزًا بيني وبين سعادتي، وأنني كنت سببًا لجزءٍ كبيرٍ من تعاستي.. لا مكانَ

للندم الآن، ولكنني يجب أن أستمتع بكل ثانية أمرُّ بها فقد بقي يومٌ فقط قد أنعم به للحياة مرة أخرى.

غلبنا النوم فجأة، فنمنا كالمغشي عليهم على مقاعدنا.

اليوم قبل الأخير:

استيقظت في الصباح، واتجهت إلى مسجدي.. رأيت كلَّ شباب منطقتي مجتمعين في تلاوة القرآن.. الختمات كانت بأعدادٍ إعجازية، لا وقت لدى أحد ولا بُدَّ من طلب الغفران والسماح.. صلَّيت حتى كسر عظمي، وقرأت القرآن حتى جف حلقي.. شعرت أنني ارتويت من حب الله، وأنني أكثر طمأنينة وتقبُّل لنهايتي، ولكنني قبل اختفاء شمس آخر يوم قبل النهاية، تركت المسجد مسرعًا متجهًا إلى بيت ندى. لم تعد الشبكات تعمل ولا توجد أي وسيلة للوصول إليها، ذهبت إلى منزلها، وبقيت واقفًا أمام بنايتها. أحث نفسي.. أنت الآن أقوى، لا فرصة لديك أخرى.. صعدت الدرج، لا أعلم في أي طابقٍ تسكن، ولكنني صعدت إلى الطابق الأول، وطرقت على بابه ليفتح أحدٌ لا أعلمه، سألته عن بيت ندى فقال إنه في الطابق الرابع، صعدت بسرعة البرق.

وقفت أمام باب بيتها، ثم طرقت عليها حتى فُتِحَ الباب.. لم تكن هي، ولكنه كان والدها.. قدمت نفسي إليه بأنني زميل ندى، فطلب مني الدخول، ثم قام بالنداء عليها لتخرج وتقابلني في استغراب شديد، نظرت في قلق إليَّ، وإلى والدها، وما إن رأيتها حتى وجهت كلامي إلى والدها:

- تعلم يا سيدي أن اليوم هو آخر أيام الحياة، وأنت ربما لا تعرفني، ولكنني لم أحب أحَدا قَطّ كما أحببت ابنتك، ربما لو كان في الحياة زيادة لكنت تقدمت لخطبتها، ولكن الآن لم يعد هناك وقتٌ لهذا

ظلت ندى ترمقني بشكل من التعجب والاستغراب، ولكن كان في عينيها شيء من الفرح لا تستطيع البوح به، وبعد أن صمت والدها قليلاً، سألني متعجبًا:

- ولكن يا ولدي بما أنك تعلم أنه لا وقت لهذا، ماذا تريد الآن؟

- أريد أن أضمها إلى صدري، ولكن برضاك؟!

وجدت في عينيها صدمة حتى إنها لم تستطع الحديث، كما أن أباها لم يصدق ما سمعه مني ومن جرأتي.

- ماذا تقول؟! هل جننت.. كيف تضمها، وهي لا تحل لك؟ ألا تخاف من الله ونحن على موعد بيوم واحد من لقائه؟

- سيدي.. أرجو أن تفهمني، أنا لم أعشق أحدًا في حياتي كما عشقت ابنتك، ولم أطلب من الدنيا شيئًا كما طلبت الآن، أنت أمامي، ومن الممكن أن أقول أمام الكون الآن إنها زوجتي إذا أردت، أرجوك لا أريد أن أخرج من الدنيا لا أنال منها ما تمنيت، وأعلم أن الله أرحم من ضعفي، وهو الأعلم بحاجتي إليها، أنا أخاف الله أيضًا، ولكنه رحيم، فهل كنت رحيمًا بقلبي الذي ذاب فيها.. والله لا أريدها شهوة في داخلي، ولا أريدها جسدًا أفرغ فيه جوعًا ألمَّ بي، ولكني أريد أن أضمها روحًا، ونفسًا تنميتها دائمًا لتكون بقربي، ولكي أشعر بأن الدنيا ولو لمرة واحدة أعطتني ما أريد، والله ماد عيت في حياتي سوى أن تكون لي، أوليس لكل معدوم الحق في أمنية أخيرة؟! هذه هي أمنيتي من الدنيا، وأنت لديك مفتاح أمنية حياتي الأخيرة، فأرجوك لا تخيب رجائي؟

لا أعلم من أين واتتني كل هذه الجرأة، ولا بلاغة اللسان الذي تجرعت ويلات تلعثمه، ولكن صدقني ما إن دنوت من نهايتك ستتفاجأ بكونك إنسانًا غريبًا عنك. نظر والدها إليَّ مدهوشًا كما لو كان كلامي لجم لسانه، وظلت هي متوترة لا تعلم ماذا تقول.. ساد الصمت برهة مرّت وكأنها دهر، ولكنه قطع حالة ذهوله موجهًا الحديث إليها:

- ندى.. هل تحبينه أنتِ أيضًا؟!

احمرت وجنتاها خجلًا وظلت ناظرة إلى الأرض، فأومأ والدها بالفهم، ثم نظر إليّ قائلاً:

- كنت أتمنى أن يمد الله في عمرنا حتى أراها زوجة، ومن كلامك لم أكن لأتمنى زوجًا لابنتي أفضل منك.

صمت قليلًا، ثم أدار ظهره، ليختفي في الممر المؤدي لغرفته.

انفرجت أساريري، ثم نظرت إليها، لتنظر إلى في توترٍ وخجلٍ لم أعهدهما منها، ثم اقتربت منها وقلت:

- كنت أخاف أن يضيع عمري دون أن أضمك إلى صدري، كنت جبانًا بالفعل ولم أكن جديرًا بك، ولكنني أشعر أنني أقوى إنسان الآن، أنا أحبك يا ندى أكثر من روحي، وأعشق نفسي إذا كنت بالقرب منك

نظرت إليّ بنظرة كلها حنان وكأنها تربت على قلبي ثم نطق فمها أخيرًا قائلًا:

- وأنا أيضًا لم أحب غيرك يا مصطفى.

لم أشعر بذاتي بعد أن سمعت منها هذه الجملة، ووجدتني أضمها إلى صدري بشغف الكون كله، أضمها وكأنني ميّت أعادوه للحياة مرة أخرى، أضمها وكأن حضنها هو سَكَني وملاذي الوحيد، وكأنني أعمى يرى لأول مرة في حياته. تحسست شعرها، ورائحة جسدها تسري كأنها عبير يدب الروح في جسدي. شكرت الله في سري، وغفلت في أمانٍ لم أجده في حياتي كلها.

مرت نصف ساعة وكأنها ثوانٍ. قبّلت وجنتها وهممت بالرحيل، ولكنني قبل أن أرحل قلت لها:

- ندى.. أنا سأطلب من الله الغفران، ولكنني سأطلب منه أن تكوني مؤنستي

في آخرتي. أشكرك لأنني شعرت بالسعادة التي فقدتها طوال حياتي، ولا يهم الآن ما مضى طالما شعرت بمعنى السعادة الحقيقي ولو لمرة واحدة.

ابتسمت لي بوجه حنون، ثم قالت لي:

- أنا أيضًا لم أشعر بالسعادة كما شعرت الآن، شكرًا لأنك جعلت نهايتنا أجمل من كل شيء.

تركتها ورحلت إلى بيتي مرة أخرى، ولكن قلبي لم يكن كما كان، أصبح أكثر حيوية، راضيًا بما كُتِبَ عليه في النهاية، راضيًا بما مرَّ من عمري، وشاكرًا لما أنعم الله عليَّ بنعمة الحب، ولو لمرة واحدة في حياتي.

دخلت إلى بيتي مبتسمًا، لتستقبلني أمي وأختي بحضن توهمت سالفًا بأنه لا وجود له في الحقيقة، ولكنني علمت اليوم بصدق وجوده.

عكفنا اليوم نصلي ونتعبد في البيت حتى بزوخ اليوم الأخير.. كنت إمامًا في الصلاة، بكينا في خشوع ودعونا الله بالرحمة، وأن يخفف عنا النهاية.

يوم النهاية:

ما إن بزخ نهار اليوم الأخير حتى بدأت مراسم نهاية الحياة والوجود كله فجأة دون هوادة أو سابق إنذار، سيول من النيازك تهاوت من السماء وكأنها تفرغ أحشاءها دفعة واحدة بلا رحمة، والأرض تنشق مبتلعة البيوت في جوفها بكل ماتحمله من بشر وجماد، أمواج وسيول تجرف كل ما تواجهه في لمح البصر، والشمس تصدر لهيبًا كبركان من جهنم متحدة مع الأعاصير والصواعق ليمحو آثار الحياة في كل شيء، وكأن كل ظواهر الكون اتحدت في معزوفتهم الأخيرة في ترتيب إلهي مكوِّنة فريق عمل متناغم كل ظاهرة فيه دورها جزء لا يتجزأ عن المجموعة، هدفهم جميعًا أن لا يفلت أحد من النهاية في مشهد رعبه لا يمكن وصفه أو اختزاله في كلمات، أما بالنسبة للبشر فعلى رغم هول وفجع ما يحدث ما زالت

شهوة الحياة تنبض في آخر نفَس لديهم، وعلى الرغم من معرفتهم التامة بأنها النهاية لكن كان هناك أناسٌ تعدو لتلوذ بالفرار كما لو كانوا نملًا يهرب من دهسه، وأناس استسلموا في سكون تام ورضوخ لأوامر الكون دون امتعاض، بعضهم صِيد بأصواتٍ تعلو بالتكبير والشهادة، وآخرون اختتموها بالصريخ والنواح، وغيرهم تعالت أصواتهم بالسباب والشتائم بشكل عفوي، كل على حسب عمله، ولكن لا أحد يمكنه الهرب من النهاية التي أصبحت محتومة كما كتبها الله، لا أحد يبحث عن أحدٍ أو يفكّر في مساندة الآخر، الكل يبحث عن ملاذه، ذاته، نفسه فقط، أو حتى حياة أخرى، ولكن بالطبع دون جدوى. اليوم مهيب ومرعب، مهما كان تصورك، أو اعتقادك، أو مهما كنت مبدعًا في خيالك فلن تقدر على تخيل مثله، فهو اليوم الحق، لأشهد أمام عيني في الأخير آية الله (فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ. يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ).

لم يكن لي نصيب لمشاهدة أكثر من ذلك أو لمعرفة كيف كان شكل الحياة بعد نهايتها، ولكن من المؤكد أنك تمكنت من معرفة تاريخ النهاية ما دامت قصتي قد وصلتك.

❋❋❋

طاولة لأربعة أفراد

محمود محمد محمود

يجلس صالح بمفرده على المقهى المفضل له، بعدما نظر في ساعته أدرك أنه ظلَّ جالسًا مُحدقًا في الفراغ لوقت طويل، زفر في مللٍ، لأنه ظلَّ طوال تلك الساعات ينظر إلى لا شيء، ينظر للناس فيراهم يتحركون ببطء السلاحف، وأصواتهم تثير أعصابه، فارتدى سماعات الرأس وبدأت الموسيقى الناعمة تنساب في هدوء عبر السماعة، فجعلته يبتسم. لكن ذلك القادم نحوه من بعيدٍ، جذب انتباهه، بخطواته المتأنية، وملابسه البسيطة النظيفة، ووجهه النضر، بسمته الصافية، عينيه اللتين تشعان هدوءًا وسكينة، وفيهما اطمئنان تهابه العقبات والصعاب.

وقف صالح مرحبًا به بحفاوة بالغة، احتضنا بعضهما البعض، حاول الرجل الهادئ الانسحاب من أحضان رفيقه، لكن صالح رفض وجذب نفسه إلى أحضانه أكثر وكأن اشتياقه لصديقه قد بلغ به منتهاه، احترم الرجل الهادئ رغبة صديقه، فظلَّ محتضنا له لفترة، ثم قال باسمًا وبنبرة هادئة:

- أعلم يا صديقي أنك قد اشتقت لرؤياي، وأنا مثلك وأكثر.. دعنا نجلس ونتحدث.

ابتسم صالح وفي عينيه بوادر دموع تود أن تنهمر، فتمالك نفسه، بعد نظرة في وجه رفيقة المطمئن دائمًا، جلسا متقاربين، ينظر كلاهما للآخر في صمتٍ والابتسامات

تتنقل بين وجهيهما، ظلا هكذا لفترة، إلى أن التفت الاثنان نحو الطريق ليجدا رجلاً آخر يقترب منهما، تبدَّلت ملامحهما فور رؤيته وخصوصًا صالح، تمتم بكلمات غير مفهومة مع اقترابه منهم بملابس متسخة ازدادت ألوانها قتامة، خطواته ثقيلة، يمشي كأن يريد أن يخرق الأرض ويحطم كل ما في طريقه، شعرُه مشعث، لحيته سوداء غير مهذَّبة داكنة كلون الغراب، عيناه ميتتان تُلقيان نظرات ميتة حاقدة مليئة بالكراهية، جلس أمامهما بفظاظة دون استئذان، وسدَّد للرجل الهادئ نظرة مخيفة، ثم قال بصوتٍ خَشن حادٍ:

- أنا مش قولتلك مالكش دعوة بصالح؟؟؟!!!

تجاهل الاثنان سؤاله، واشرأبت أعانقهم ليروا الرجل القادم أمامها، والذي يحجبهم الرجل الغاضب عن رؤياه، رأوه يتقدم خطواتٍ نحوهم ثم يرجع أضعافها للخلف، وكلما اقترب منهم يُخيَّل لهما أن ملابسه رمادية تميل للأبيض الناصع، وعندما يبتعد يرونها رمادية تميل للأسود الداكن، عاود الرجل تكرار ما يفعله، حتى حسم قراره أخيرًا، وجلس على مقربة منهم، محاولاً عدم الاقتراب من الرجل الغاضب، لكن الصديق الهادئ المطمئن أشار للباقين فجلسوا متجاورين أمام صديقهم، على يمين صالح جلس الرجل المطمئن دائمًا، وعلى يساره جلس الرجل الغاضب، واستقر بينهما الرجل ذو الملابس الرمادية، الثلاثة يرمقون صديقهم بنظرات اختلف أثرها عليه، نظرات الهادئ أشعرت صالحًا بالسكينة، نظرات الرجل ذي الملابس الرمادية حزينة ممزوجة بابتسامة باهتة أشعرت صالحًا باللامبالاة، أما الغاضب فنظراته أوقعت في قلبه مزيدًا من الخوف والقلق.

همَّ الهادئ بالحديث، لكنَّ الغاضب أوقفه بإشارة صارمة من يده، لكن الهادئ قاوم رغبة الغاضب وتكلم:

- مرحبًا بك يا صديقي، لم أرك منذ فترة؟!

قال صالح بسعادة:

- وأنا مثلك يا عزيزي، اشتقت لك يا صديقي.

تدخل الغاضب في حوارهما مُتهكمًا:

- أنا اللي جنبك على طول، ودايمًا قرفان مني، ده أنا أعرفك من زمن، ده إنت حتى ماسلمتش عليا!!!

- أنا آسف، ماقصدتش، أكيد كنت هسلم عليك.

قالها صالح قلقًا، فأكمل الغاضب:

- إنت دايمًا كده جبان وخواف.

قال صالح بإصرار:

- أنا مش جبان، ما قولتلك كنت هسلم عليك، إنت اللي استعجلت.

ركل الغاضب صالح في ساقه، ثم قال وهو يُشير للهادئ:

- أنا مش مستعجل يا غبي، بقا أنا قريب منك جدا، وملازمك علطول، والحيوان ده بعيد عنك، وتقابله حلو وتبتسم في وشه، أما أنا زي ما تكون شوفت شيطان.

آثر صالح الصمت خوفا من أن يغضب الغاضب فوق غضبه المستعر باستمرار، والتفت لصاحبه الهادئ فرآه يهز رأسه مطمئنًا، ووجه صافٍ، وابتسامة رضا على شفتيه، ثم قال بتؤدة:

- لا تخشَ شيئًا يا صديقي، فهذا الأحمق، زائل لا محالة، يُمكنك التخلص منه بسهولة، إذا أنت فكرت في ذلك.

اشتعل غضب الغاضب أكثر، وبدأ يغمغم ويزمجر وتتسع عيناه، ثم التفت صالح للجالس في المنتصف وأشار للهادئ والغاضب وقال:

- وأنت يا صديقي الرمادي، ما رأيك فيما حدث بينهما؟

مط الرمادي شفتيه وعضهما ثم قال وهو يُشير للاثنين بابتسامة باهتة:

- مليش دعوة بيهم، أنا في شأني فقط، لا يهمني إن رحبت بي أو لم ترحب، أنا هروح أشوف حد شبهي مش واحد زيك، طالع نازل مش ناوي يستقر في حتة، مع السلامة يا فاشل..

قالها الرمادي وقام مُنصرفًا مبتعدًا وبدأت ملابسه تميل للأسود مجددًا. تابعه الجميع حتى اختفى عن ناظرهم، وعلى الفور هب الغاضب واقفًا وأزاح الكرسي الذي كان يجلس عليه الرمادي، واقترب من الهادئ، وأمسك بتلابيبه، ونظر نحو صالح قائلاً في غضب:

- لازم تختار حد مننا تكمل معاه المشوار، وأهو اللي دايمًا يعطلك مشي وسابك محتاس.

ضربت الحيرة جذورها في قلب صالح وظهر أثر ذلك في عينيه الزائغتين، نَـقَّلَ بصره بين الغاضب والهادئ، فوجد نظرات الأول مُخيفةً ونظرات الثاني تثير في نفسه الهدوء والسكينة، فأمعن النظر في صديقه الهادئ.. راق له هدؤه وسكينته على الرغم من أن الغاضب يُحكم سيطرته عليه، زادت حيرة صالح أكثر مع تكرار الغاضب لكلامه:

- لازم تختار حد مننا تكمل معاه المشوار!

هبَّ صالح واقفًا وصفع الغاضب على وجهه، فاستشاط غضبًا على غضبه الطبيعي، وهَمَّ برد الصفعة لصالح، لكن الرفيق الهادئ طوح يده في وجه الغاضب وأصابه في عينيه إصابة قوية جعلت عينيه تدميان وهو يصرخ متألمًا وهو يلعن الهادئ وردة فعله غير المتوقعة، أشاح الغاضب بيديه في الهواء محاولاً التشبث بأقرب الأشخاص إليه، لكن الهادئ دفع صالح جانبًا فابتعد عن يد الغاضب الذي سقط أرضًا يصرخ ويلعن.

اندهش صالح مما يراه، عندما دهس الهادئ بقدمه رأس الغاضب ويضغط عليها بقسوة فبدأت رأس الغاضب وجسده يتحللان ويختلطان بقاذورات الأرض.

رفع صالح رأسه نحو صديقه الهادئ وقام مبتسمًا، سارا سويًّا، وصالح يُحدِّث نفسه "أعلم أنه لن يفعل بي السوء، لطالما حاوَلَ جذبي ناحيته وكنت دائمًا أرفض متعللاً بأسباب واهية، مُسوفًا، مُؤجِّلاً لفعل الخير".

توقف الاثنان أمام باب المسجد وأذان الفجر يرتفع في عنان السماء، دلفا داخل المسجد بهدوءٍ، توضأ الاثنان متجاورين، وعلى وجهيهما ابتسامة رضا وقناعة، ثم أقيم للصلاة، صلوا مُتجاورين، قرأ الإمام في الركعة الأولى ما تيسر له من سورة البقرة حتى توقف عند آية الكرسي، وفي الثانية قرأ الإمام سورة الفجر، ومع بلوغ الإمام لقوله تعالى" يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30)"، بكى صالح بشدة، وارتأى الحقيقة مع نفاذ سهم الآيات إلى قلبه.. حتى وإن مال إلى جانب الهادئ.. إلا أن الثلاثة سيظلون في صراعٍ وجدالٍ قائمين إلى أن يفنى جسده.. وقتها سينتصر الصديق الذي بقيَ بالجوار وشعر بأنه أحسن الاختيار.

***

شخصية خيالية

محمود محمد محمود

إنه يراقبني ولا شك في ذلك، أراه يحدق بي، أشعر بنظراته تخترق عظامي، يمسح خلايا جسدي، يسبر أغوارها، يبحث عن شيء يستغله كي يكتب عني، يحولني إلى شخصية في رواية ما أو في قصة قصيرة من تأليفه.

***

يجلس أمامي الآن وأمامي مجموعة من الأوراق البيضاء وقلم أسود الخط، أخط في الأوراق على غير هدى كلمات وخطوط متشابكة لعلي أهتدي إلى فكرة ما تصلح للكتابة.

***

يا له من شخص سمج حقًّا، لماذا يطيل فيَّ النظر هكذا؟، أشعر بخوفٍ شديدٍ منه، ليس لدي أسرار أخفيها حتى أخاف أن يكشفها، لكن ما يخيفني جدًّا هو ما قد يختلقه من أسرار وخفايا قد تهوي بسمعتي إلى الحضيض.

***

حسنًا.. قد واتتني فكرة الآن حول ذلك الجالس أمامي، هيئته توحي بالكثير، ربما هو زوجٌ خائنٌ أو لِصٌّ أو ربما رئيس عصابة متخصصة في سرقة الأعضاء البشرية

أو ربما يكون إرهابيًّا عتيدًا هاربًا.. أو... أو... الكثير والكثير من الشخصيات التي يمكن أن يكون.

***

ها قد بدأ اختلاق الأمور وبدأ يحيك عنِّي القصص والحكايات في مخيلته. ماذا تخيلني الآن، هاربًا من حكم بالإعدام، أم قاتلاً مأجورًا يخطط لاغتيال شخصية عامة، أم قاتلاً متسلسلاً يتلذذ بقتل ضحاياه من النساء والأطفال.. كيف يظن بي يا تُرى؟

***

الأفكار في رأسي تئن كي تتحول إلى كلماتٍ، أختار ورقة فارغة، وأخط بقلمي بضع كلمات لا يمكن أن تكون جملة مفيدة.. اللعنة على الكلمات حين تأبى أن تكون لينة.. مرنة تحت إمرتي وسلطاني.. ماذا أكتب؟

***

يا لمصيبتي السوداء لقد بدأ يكتب عني هذا المجنون، يكتب وينظر إليَّ.. يكتب وينظر إليَّ.. سحقًا لهؤلاء الكُتاب الذين يبحثون عن شخوص لقصصهم من بين ملايين البشر، ما أسوأ حظي الذي أوقعني في طريق هذا الكاتب.

***

أهاااا.. وجدت الفكرة المناسبة، لطالما قلت إنني كاتب عبقري.. هههههههه.

***

حقًّا أنا لنحس.. سحبَ المهووس ورقة بيضاء جديدة وانكب عليها كالمجنون، يصب الحبر صبًّا ولا يبدو لي أن سيتوقف قريبًا.

***

تُحدِّثني أفكاري فأكتب ما يمليه عليَّ شيطان الكتابة: "يجلس أمامي الآن رجل أشعر نحوه بريبة ما، تُخفي قسمات وجهه أمورًا عدة.. مخيفة حسب ظني، يحمل سرًّا رهيبًا بداخله وأنا قادر على كشف ذلك السر.."

***

سر! أي سر تفكر فيه يا أخرق.. أتظن نفسك كاتبًا مبدعًا.. ما أنت إلا مجرد كاتب مبتدئ ما زال يحبو في طريق الأدب و... من هذه إن شاء الله؟ التي أخرجت من حقيبتها دفترًا ورديًّا وتنظر إلى بتأمل عجيب.. تبتسم بدلال وخفة.. تسحب قلما أرجوانيًّا وتفتح دفترها وتخط فيه.

***

أخاله يكتب اعتذارًا رقيقًا لزوجته يُبدي فيه ندمه على إهماله لها وقوله لها إنه سئم عشرتها وأنها تغيرت للأسوأ.

***

أنا لست متزوجًا يا عزيزتي، من أين يأتي هؤلاء القوم بهذا الكلام الفارغ، كل من هبَّ ودبَّ يُريد أن يصبح كاتبًا.

***

لا.. لا أظنه يكتب اعتذارًا رقيقًا ولا غيره.. إنه مجرد خائن لزوجته وأطفاله.. إنه يستحق الشنق ولو كان هناك عقوبة أشد قسوة من الإعدام فإنه يستحقها.

(لقد طلق زوجته فجأة.. هكذا دون سبب، انتقص من حقوقها وحقوق أطفاله الثلاثة، مفضلاً مرافقة إحدى جواريه على البقاء بجانب زوجته للأبد.. إنه رجل انعدمت منه الشهامة والنخوة)

***

يا سيدتي أنا لست متزوجًا، فليسقط أبو تورتة ومن ورائه رضوى الشربيني وكل من أساء إلى صنف الرجال، يا قوم أنا شخص بسيط جدًّا.. مهلاً، ماذا يكتب أخونا هذا؟

***

لا تصلح الأفكار التي مرت بي، هذا الرجل داهية هو المخطط الرئيسي لكل ما يحدث من حوادث إرهابية في العالم.

***

كلا.. كلا.. إنه يهين زوجته.. بل.. يعتدي عليها يوميًا انظروا إلى الكدمات والسحجات.. انظروا إلى التورم أسفل عينها اليسرى.

***

لو لطمت خديَّ الآن سيكتبون عني أنني ربما مجنون أو مختل عقليًّا يستلذ بالفوضى مثل الچوكر.. الحل في الهروب.

***

ها هو يلملم أغراضه ويحاول الهرب بعد أن زرع عبوة ناسفة أسفل الطاولة ستحول رواد المكان إلى كتل من اللحم المحترق.. سأبلغ الشرطة.

***

الوغد.. أرسل لزوجته يطلِّقها عبر رسالة قصيرة.. ويستعد للسفر مع روحية رفيقته الجديدة، عليهما اللعنات كلها.

***

يا مجانين.. أنا شخصٌ عادي جدًّا جدًّا جدًّا.. وهربت بالفعل من المكان.

***

مَن هذا الرجل الذي يركض كالملسوع في الشارع.. وراءه سر يصلح لكتابة قصة.

***

قصة قصيرة.. رواية.. فيلم.. مسرحية.. يا أعزائي كلكم مخابيل.

* حوار تخيُلي عن حول ما يمكن أن يحدث عندما يُقرر كاتب أن يختار شخصية من الواقع لعمل قصصي.

***

المعبدُ المُقدس

محمود محمد محمود

الأمر ضاربٌ في القدم، تقليد راسخ رسوخ الجبال، فمنذُ عقودُ مضت وهذا المعبد يتمتع بتقديس كبير في المملكة، ويحظى بقدسية هائلة لدى الجميع، وبالخصوص نسوة المملكة.

ويتعامل بعض رجال المملكة بنوعٍ قاسٍ من السخرية والتعالي والتقليل من أهمية المعبد، وذلك نكاية في النسوة واهتمامهن البالغ به.

فيرى أغلبُ الرجال - إن لم يكن معظمهم - أنه لا ضرورة من الإبقاء على ذلك المعبد خاصة مع التطور الذي تشهده المملكة، لكن الموروث الشعبي – النسائي - يأبى وبشدة المحاولات الذكورية المناهضة لهدم المعبد المقدس.

تبدأ علاقة النسوة مع المعبد منذ مولدهن، تولي الأسرة وخصوصًا الأمهات اهتمامًا بالغًا بطفلتها الوليدة، وتبدأ في التجهيز لإنشاء معبد فتاتها، يُبنَى المعبد قطعة قطعة حتى لو كلف ذلك الأسرة مالًا كثيرًا، فلا بُدَّ للمعبد أن يصبح جاهزًا للتشييد في الوقت المناسب الذي تصبح فيه الفتاة ملكة لها مملكتها الخاصة.

تُنفقُ الكثير من الأموال لتجهيز المحتويات، مشغولات فضية مختلفة الأشكال، مصنوعات من الزجاج مختلفة الأحجام والاستخدامات، أقمشة بيضاء مُزركشة،

ورود اصطناعية، ألواح من الخشب أو الزجاج أو الفضة، وقد يُضاف الذهب لمحتويات المعبد إذا كانت الأسرة ميسورة الحال.

ويا لسوء حظ الرجل الذي يُضبَط متلبسًا يعبث بمحتويات المعبد، ستكون أيامه ولياليه سوداء كالحة السواد، ربما أسود من أي شيء يتخيله، تنهال على الرجل نظرات نارية كأن تنينًا ينفث النار، طبقات غريبة من صوت زوجته تُسمَع للمرة الأولى، ربما صوت تعرفه الحيتان والدلافين، وقد يتطور الأمر لأن يتحول ذراع المرأة إلى ذراع أخطبوط فيمسك بتلابيب الرجل حتى يعتذر أو يُصلح المعبد، أو يتطور الأمر أكثر بأن تتحول المرأة إلى ملاكم وزن ثقيل فتُكيل لزوجها لكمة خطافية قاضية، وهذا بالطبع إذا كانت الزوجة تتمتع بصحة جيدة والزوج يكون هنا حلوفًا كبيرًا.

وللعجب فقد رأيت ممالك أسرية كانت أو على وشك التفكك بسبب المعبد، وتكلُفة بنائه، فالفتاة ترغب في معبدٍ لم يسبق بناؤه من قبل، ولك أن تعرف أن زوج المستقبل يجب أن يتحمل مصروفات بناء المعبد.

ومن باب العلم أيضًا، لك أن تعرف أن المعبد لا يتم بناؤهُ فقط ليقف وحيدًا في المملكة، بل يُبنى بجواره مذبحٌ كبيرٌ، وطاولة ضخمة ذات كراسٍ كبيرة لخدمة مُريدي المعبد المختلفين.

وقد ظهرت في الآونة الأخيرة مطالباتٌ كثيرة من منظمات حقوقية معنية بشئون الرجال، تُطالِب السيدات بمختلف أعمارهن بالتغاضي عن المعبد، وكانت حُجَّة المطالبات أن بناء المعبد وملحقاته تستنزف الرجل وموارده المالية المحدودة في الأساس.

لكن التحالفات والمنظمات النسوية دافعت باستماتة مقاتل باسل، عن حق

المرأة في معبدها، وإلا فما الداعي من كل النفقات التي تكبَّدَتْها أسرة السيدة - عندما كانت فتاة - في تجهيز كنوز المعبد.

سجال وشدٌّ وجذب بين الرجال والنساء، لكن وكلمة الحق التي يجب أن تُقال في هذا الموضوع، لقد انتصرت النساء على الرجال في هذه القضية، بل والأمر الأدهى والذي دفع الرجال للاقتراض من البنوك أو الاستدانة من المعارف والأقرباء، إنه فُرض على الرجال المساهمة في محتويات المعبد، يا لبؤسك عزيزي الرجل.

والآن.. بما أنني قد بنيت معبدَ زوجتي المقدس، وساهمت كذلك في تأسيسه من الداخل، وقد كلفني ذلك مبلغًا من المال كان من الممكن الاستفادة منه في أشياء أخرى ذات أهمية، إذًا فمن حقي الطبيعي والمكتسب أن أستخدم المعبد، لقد بنيته بكل قطعة نقود أملكها وبكل نقطة عرق تفصدت مني أثناء بنائه وتأثيثه.

وقد آنت اللحظة التي تمنيتها أخيرًا.. زوجتي الحبيبة بجواري تغط في نومٍ عميقٍ، وقد تحوَّل وجهها وهي نائمة إلى وجهٍ أشبه بالأبالسة منه للبشر، نهضت من مكاني بخفة محاولًا ألا أصدر أي صوت..

أقف أمام المعبد الآن.. أرتجفُ قليلًا من التوتر.. ألتفتُ خلفي لأطمئن أنها ما زالت نائمة، اطمأننت أكثر لما سقط شعرها على وجهها ثم ألتفتُ للمعبد من جديدٍ.. أتطلع إليه بلهفة وشوق الظمآن للماء البارد، أمعنتُ النظر في المعبد، جذبتني الفضة اللامعة، والزجاج البرّاق، وأعجبتني بشدة المشغولات الخزفية ونقوشها الجميلة، بعض المحتويات منقوشة ومطلية بلون الذهب، لأنني أنا والشيطان النائم خلفي لا نستطيع تحمُّل ثمن الذهب الحقيقي، جدران وأعمدة المعبد المبنية من خشب الزان الثقيل، وطوابق المعبد من الزجاج اللامع الأنيق الذي اختارته بعناية الشيطانة التي أحببتُها بعد صولات وجولات لدى بائعي الزجاج لاختيار الأنسب.

ما زال الشيطان نائمًا.. أقصد ما زالت زوجتي نائمة، بحر جميل هادئ من السعادة أسبح فيه الآن، ويستعد كل جزء منِّي لسعادة أكبر وأنا أمُد ذراعي نحو المعبد، قاربَتْ أنامل يدي من ملامسة أحد الأعمدة، ولامسته بالفعل، تحسست ملمَس الخشب، لا أثرَ لذرَّة غبار عليه، فزوجتي تهتم كثيراً بنظافة المعبد، دنوت أكثر من المعبد وأشعر بعينيَّ تلمعان من الفرحة، دنوت أكثر وأكثر حتى كدت ألتصق بالمعبد.

ما أجمل اللحظات الجميلة عندما تعيشها بكل جزء من جسدك، الأماني تتحقق تباعًا، زوجتي نائمة، أنا بمفردي مع المعبد الذي كان مُحرَّمًا عليَّ الاقتراب منه، و...

- ما هذا؟ ما الذي يحدث يا إلهي؟

انتفض جسدي كله، يدٌ ضغطت على كتفي بقوة، وصوت أشبه بفحيح الأفاعي يأتي من خلفي يقول بغضب مكتوم:

- واقف عند النيش بتعمل إيه؟

التفتُ خلفي وإذا بالشيطان قد استيقظ، فقلت مرتبكًا:

- لا شيءَ يا عزيزتي.. كنت أنظف المعبد!

ثم سقطت فاقدًا الوعي.. أو هكذا تصنعت.. كي لا أصبح حلوفًا كبيراً.

***

ثقوب الذاكرة

محمود محمد محمود

رأيته جالسًا في ركن منزوٍ في أحد المقاهي الكبيرة، أعرفه هيئته جيدًا بحُكم ارتيادي لهذا المقهى لمدة طويلة، اخترتُ هذا المقهى بالذات لأن به درجة لا بأس بها من الهدوء الذي ندُرَ في تلك الفترة، لكن لا أعلم شيئًا عن روحه أو تفكيره أو ما يعتمر به صدره، لكني على درجة من اليقين تجعلني متأكدًا من كونه على الأقل يعشق الهدوء مثلي.

التقت أعيُنُنا عدة مرات في أيام مختلفة، وحتى هذه اللحظة التي أجلس فيها أمامه على طاولة مواجهة له مباشرةً، رأيته في هذا اليوم ممسكًا بقلم رصاص ويخط ويرسم بالقلم على مجموعة من الأوراق البيضاء، وبجواره ممحاة يبدو عليها القِدَم، وكلما خطَّ أو رسم على الورقة يُمسك الممحاة بعصبية ويبدأ في كشط الخطوط والرسوم بعُنفٍ شديدٍ يكاد أن يُمزق الورقة من فرط الغضب.

أسهبتُ في التحديق فيما يفعله، لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أراه فيها مُنهمكًا لهذه الدرجة، بعد مرات عدة رأيته فيها محدقًا في الفراغ، وسماعات الأُذن فيها أذناه، وموصولة بهاتفه المحمول، ويحرك رأسه يمينًا ويسارًا في تناغم مع الذبذبات الموسيقية المنبعثة في أذنه والتي فيما أرى أنها تخترق خلايا مخه وأركان قلبه بسلاسة.

رفع رأسه من على الورق وزفر بقنوط وأغمض عينيه وأمال رأسه للخلف، وأعادها فجأة، فانتبه نحوي ووجدني لا زلت مُحدقًا فيه، استشعرت الحرج وتلعثمتُ قليلًا والتقت أعيننا مجددًا. ابتسم بخفة واتسعت عيناه ثم لوَّحَ بيدهُ اليُسرى إلى أن أشاركه الطاولة.

لم أتردد لوهلة، فقد كنتُ أتمنى أن يحدثُ بيننا لقاءٌ نتجاذب فيه أطراف الحديث، ولكي أكونَ مُنصفًا لقد حاولت التقرب منه كثيرًا لكني كنت مُتوجسًا من تقبله لفكرة أن يشاركهُ أحدهم الحديث أو حتى الجلوس معه، أنا لا أراه غامضًا أو مريبًا بقدر ما أراه وأشعرُ به نحوهَ من تشابه خفي، استقر بداخلي رأيٌ أنه مجرد إنسانٍ مثلي يرغب في المزيد من الهدوء والخصوصية بعيدًا عن ضوضاء العقل والبشر.

نهضتُ من مكاني وأنا أُلملم أغراضي التي تبعثرت من على الطاولة واتجهت نحوه، مددتُ يدي مصافحًا، فوقف ومدَّ يدَه وبادلني السلام ولم ينطق بكلمة، جلس ثم جلست أنا.

أمسك بالقلم الرصاص وكتب بخطٍ متعرج قرأته بشيء من الصعوبة:

- مساء الخير.. اسمي سراجُ الدين.

- لمَ لا يتحدث.. هل هو أبكم؟. حدَّثت نفسي.

ثم كتب: وأنت ما اسمك؟

- ضياءُ الدين. قلت مبتسمًا.

كتب: لاسمينا مضمون واحد.. ألاحظت ذلك؟

- بالفعل للاسمين مضمونٌ واحدٌ.. النور.. ملاحظة ذكية.

ابتسم ثم كتب:

- تتعجب من كوني أبكم!

- معك الحق.. لكن ليس لدي مشكلة مع أمرٍ كهذا.

هز رأسه راضيًا وتحدث للمرة الأول:

- أنا لست أبكم مثلما ظننت.. أنا أبكم باختياري الحُر.

- وما السبب؟ قلتها بتعجب.

- لقد سئمت الكلام.. حتى مع نفسي.. غريب بعض الشيء.. أليس كذلك؟

- لا أظنه غريبًا.. ففي بعض الأوقات يكون الصمت علاجًا لداء الصخب.

- الصخب.. إجابة موفقة جدًّا.. برأيك.. أيهما أخطر على الإنسان.. صخب العقل أم صخب البشر؟

- سؤال فلسفي شديد الصعوبة. قلت وهناك شبح ابتسامة على شفتيه.

- أعلم أنه سؤالٌ صعب.. لكن لنتناقش سويًّا لعلنا نصل لإجابة.

- صخب العقل أخطر.. قلتها بحماس.

- لا تندفع يا شبيه اسمي.. فالإجابة تحتاج تروي وفطنة.

تنهدتُ بصوت مسموع يشوبه الملل. أما هو فشبح الابتسامة تحوَّل إلى حقيقة متجسدة وقال:

- هناك أسوأ من الصخب على الإنسان.. إنها ذاكرته.

- وما دور الذاكرة هنا؟ أعني...

قاطعني بأدب وقال برصانة:

- الحقيقة أن الذاكرة تستمد محتواها من صخب العقل والبشر معًا.

- وكيف ذلك؟

وكمن يتسلق جبلًا وعرًا دون معدات أمان قال وأسهب في التسلق أو القول:

- يا عزيزي.. ذاكرة الإنسان تُخزن كل شيء مهما بدا صغيرًا أو تافهًا.. كُلُ ما تراه العين وما تسمعه الأذن وما تشمُهُ الأنف وما يتذوقه اللسان وما يميل القلب إليه وارتجافات المشاعر المختلفة، لكن الأسوأ هو أن تكون ذاكرتك انتقائية.. تختار السيئ لتستعيده بسرعة وكفاءة.. والجيد تترفع عنه كأنه عار عليها أن تتذكره. وهل يمكن للإنسان أن يُملي على ذاكرته أن تستعيد أمورًا بعينها وأن تتجاهل أمورًا أخرى؟ بالطبع لا.. أنت لا تملي بل تختار أنت متى يظهر الجيد ومتى يختفى والعكس صحيح مع الذكريات السيئة. والأهم هل للذاكرة حدود تقف عندها وتتوقف عن عملها المخلوقة من أجله؟ أيضًا بالطبع لا.. ستتوقف ذاكرتك مع موتك.. مشكلة الذاكرة، مشكلة لا تتعلق بقوتها أو بقدرته على استدعائها عند الحاجة، كلا.. بل المعضلة تكمن في قوتها وارتباطها بمشاهد محفورة جيدًا.. لا تبلى أو تتشوش بمرور الزمن وكأنها منحوتة على جدران معبد فرعوني.

صمتٌ من الجانبين.. لم تُنطق كلمة.. فقد شرد كلانا كلٌ في ذكراته وتفاصيلها.

***

أرواح شريرة

محمود محمد محمود

- أنا مُحاطٌ بأرواحٍ شريرة.

قالها بيأسٍ للعراف الجالس في حضرته.. يبحث عن مهربٍ من الأرواح الشريرة التي يظنُ أنها تحيط به في كل مكان.

نثر العراف البخور في المبخرة المشتعلة، فخرجت منها أبخرة كثيفة أضافت المزيد من الضباب، حجب رؤية كل شيء أكثر مما هو قائم بالفعل.

وبحزم قال العراف:

- ومَن أخبرك أنك محاط بأرواح شريرة؟

- عرافٌ آخر.. قالها الرجل بيأس أكثر.

- وما اسم هذا العراف؟

- لا أتذكر.

- وما الذي رأيته أو سمعته أو شَعُرتَ به لتقول أن هناك أرواحًا شريرة تُحيطُ بك؟

- لم أرَ أو أسمع شيئًا محددًا.. بل شعرت بأن الناس يكرهونني بلا سببٍ..

أشعرُ بأنه يكيدون لي.. ويتلذذون بذلك.. يُريدون أذيتي.. يسعون لإفشالي.. مع أنني أحبُّ الجميع.. ولا أجد سببًا لما يفعلونه معي.

تنحنح العراف وقال بثقة العالم ببواطن الأمور:

- لقد خدعك العراف.. وليس لديَّ شكٌ في ذلك.. أنت لست محاطًا بأرواحٍ شريرة.

- وكيف أتأكد من ذلك؟.. قالها الرجل وقد تحوَّل يأسُه إلى قنوط.

وبثقة أكثر دنت من الغرور قال العراف:

- خذ أعواد البخور هذه.. أشعِلها وانشرها في أرجاء البيت.. فإذا كانت هناك أرواح شريرة فستخرج وبسرعة.

- وكيف لي أن أعرف بخروجها؟ قالها الرجل بفضول.

- ستسمع أصواتًا أشبه بطقطقة الحطب الجاف وهو يحترق.. وسترى أدخنة سوداء كثيفة.. وهذه الأدخنة هي الأرواح الشريرة التي احترقت.

- أشكرك.

- لكن.. أعواد البخور هذه نادرة للغاية.. وثمينة.. فحافظ عليها.

- بالتأكيد سيدي.

وعمل الرجل بأوامر عرافهُ الواثق.. وعندما دلف البيت. وزع أعواد البخور في كل مكان.. لم يترك شبراً إلا وبه عود بخور يشتعل.. وبدأ يتمتم بطلاسم كتبها العراف في ورقة.. يتجول في البيت وهو يتمتم.. يحدوه الأمل في طرد الأرواح الشريرة التي تؤرق حياته كلها.. ونال مرادَهُ بطرد الأرواح الشريرة.. أخيراً.. فقد طُردت روحه من المكان.. واحترقت للأبد.

***

ليان للنشر ولتوزيع

باقة وردٍ في اسطنبول

أمينة القرماني

يقولون القلب لا عقل له. وقلبي أنا خصوصًا بالتأكيد. هذا الكائن الذي ينفصل تمامًا عن عقلي وجسمي في استقلال تام كجزيرة صغيره منعزلة. ربما ما يحدث الآن ما هو إلا دليل على انفصاله غير المفهوم. فهو يخفق الآن بضراوة وكأنه في سبرينت رهيب بينما أنا لا أفعل شيئًا سوى الجلوس في غرفتي أحملق في سقف الغرفة. عليَّ أن أنهض بسرعة وأتجه إلى المطار.

نعم هو بعينه. هو ذلك الأبله المنتظر دائمًا. لم أرَ في حياتي حمقًا مثل ذلك. قلبي!

أنجزت إجراءاتي بسرعة واتجهت إلى اللاونج. أتعامل مع نفسي وكأنني فرحة بتلك الرحلة إلى أسطنبول. مسرحية يخرجها مخي حتى "يغلوش" على دراما ذلك الأبله المنتظر دائمًا. رن الموبايل. إنه هو. هل سيقول إنه في المطار؟. هل سيظهر بغتة ليعوض عن كل هذا الاختفاء التدريجي؟ أعض على شفاهي ندمًا على السماح لتلك الفكرة الحمقاء بالمرور داخلي.

أرد عليه وأنا أحتسي قهوتي. يبدو وكأنه لتوه استيقظ. لا بل هو في سيارته. أسمع صخب السيارات من حوله. لا ليس في المطار. ولن يأتي. سيتركني وحدي كما

فعل عشرات المرات. أشعر بغضبٍ. ولكن ها أنا بعد تلك المكالمة ما زلت أنتظر ظهوره كغيث مفاجئ، كرسالة لا تعلم موعدها ولكن في أعماق قلبك تتمناها.

حماقه قلبي لا تكمن في توهم احتمالية مجيئه. فقد أعطاني هو من قبل أسبابًا ومواقفَ لا تعد لتجعلني أصدق إمكانية حدوث تلك المعجزات الرومانسية. أهداني كثيراً لحظاتٍ ذهبية بعد أن كان قلبي الأحمق ارتضى وجودها فقط في الروايات. كان يفاجئني ويتخطى كل التوقعات. عنصر الإخراج والخدعة والابتكار الممزوج بألوان من التدليل والهيام كان جزءًا من حياتنا. ولكن الاستمرار في الانتظار مرات عديدة - لم أعد أعلم عددها - لتتوج تلك الساعات والأيام بخيبة أمل من العيار الثقيل؛ هذا هو الحمق.

ألم يمت ذلك السخيف قبلاً؛ الأمل؟ ألم تميته كل تلك الإحباطات: ليالي الانتظار، وأيام السهر؟ لم أعد حتى أعتمد على مفاجآته فائقه اللطف. خفت أن تنضب فأعطيته أسراري "غششته". طلبت منه. ذكرته. يقولون إن هذا أمرٌ صحيٌّ في العلاقات: أن توضح احتياجاتك للطرف الآخر. "فسمعت الكلام" وفعلت كما يقولون. أنا في انتظار قطرة ماء في صحراء إهماله لي. أي قطرة ستبقيني حية إلى أن يتذكرني ويفيق من غيبوبته.

أتذكر الآن تلك التجربة المريضة عن الفئران. قام العالم بإغراق عدد من الفئران في جرة مملوءة حتى نصفها بالماء. وأخذ يشاهدهم وهم يغرقون. وكأن هذا لم يكن قاسيًا بالدرجة الكافية، فقام بمساعدة بعض الفئران بين الحين والآخر ثم تركها في الماء. لاحظ أن تلك الفئران المسكينة التي ساعدها استمرت لساعات أطول بكثير في المحاولة. لم يستسلموا بنفس سهولة الآخرين. ولكنهم جميعًا لقوا حتفهم. يا لها من قصة حزينة. لم ينجُ أحد. أصحاب الأمل كانوا الأكثر مثابرة والأكثر ألمًا.

وكأن هؤلاء العلماء كانوا يبحثون عن طرق جديدة وسادية لتعذيب الإنسان عن طريق الأمل.

تعلن المضيفه أن البوردينج اكتمل. وكأنك معجزة إلهية ستكشف عن نفسها بشكل عجيب، جزء ما في قلبي ما زال ينتظرك. ولِمَ لا؟ فقد كنت في حياتي معجزة بالفعل. ظهرت بعد أن انتهى عصر الأحلام. ربطنا الأحزمة وعيناي ما زالتا تبحثان عن ملامحك الغالية المألوفة. أشعر بقليلٍ من الاشمئزاز من قلبي. "إنتي مثيرة للشفقة". أتململ في كرسيَّ حينما تمر تلك الكلمة على مسامعي. "مش قوي يعني. أو قوي. بس ما هو أنا رافضة أهو. رافضة في تصرفاتي وفي عقلي إني أتعامل على إني ولا حاجة."

أعلم جيدًا أنه يجب أن تنتهي تلك العلاقة لسبب آخر هام: الانتظار. أشعر وكاني أحمل قلبي في حقيبة سفرٍ وأنتظرك في جميع المحطات. وتستمر القاطرات والحافلات والطائرات في المجيء ولا تأتي أنت. وهذا يكلفني الكثير: حياتي.

أفهم الآن لماذا يكون تأخير السفن والطائرات أمرًا باهظًا.

وحتى لو لم تدرك أنت الآن أو أبدًا أن حياتي أنا باهظة الثمن فأنا أدرك. لم أكن أنتظر شبكة أو مهرًا. كنت أريدك أن تزين قلبي بحبات من اللحظات الماسية، عمر نرتوي منه سويًّا حين نلتقي وتبدأ الحياة. هذا الحب وتلك الشرارة إنهما نوع من البعث بالتأكيد.

يا إلهي كم عبثت بي أنت. وكم أوجعني ذلك.

تتحرك الطائرة الآن وأطلق رغمًا عني تنهيدة قوية، ينظر إليَّ الرجل المسن الجالس بجانبي. أود أن أقول له "مش قادرة أكتمها."

القدر لم يكن أبدًا أحمق الخطى. إنها خطة محكومة حتى وإن كنا غير قادرين

على فك طلاسمها والتعلم منها. إنه الأمل! مجرم قذر يبقيك تحاول وتتمنى حتى وإن مُتُّ عشرات المرات في تلك المنظومة.

وأنت يا حبيبي – ما زلت حبيبي وأنت تعلم ذلك- أهنت عليك؟ حتى تلعب بي هذه الألعاب؟ ألم تشعر بنغزة ما في قلبك وأنا رفيقة روحك كما كنت تقول؟ أتتركني أغرق كل يوم، أصحو لأحاول التقاط أنفاسي والغرق مرة أخرى؟ أأغلقت عينيك؟ تلكما العينين اللتين لاحظتا كيف تتأرجح خصلات شعري؟ كنت تحفظ ملامحي تلك التي حتى لم أراها أنا. حفظت أنت تفاصيلي أكثر من أمي.

ها هي الطائرة تُقلع أخيراً مخلفة وراءها أملاً قويًّا خارت قواه.

تعلن المضيفة مرة أخرى عن ضرورة ربط أحزمة المقاعد استعدادًا للهبوط. أنظر من النافذة وأقوم بتمثيل صامت بالانبهار. أقول في داخلي "يا له من منظر بديع، البحر والسماء في لوحة صافية" بينما أنا أعلم تمامًا ما الذي ينقص تلك اللوحة. أشعر في قرارة نفسي بأني "عايزة أخلص". أنهيت إجراءات الخروج في ذلك المطار وخرجت أنفث دخان سجائري.

أنظر إلى المارة. كلهم مسافرون أو عائدون. كل فيهم قصة. لماذا أنا أقوم بتضخيم الأشياء؟ لم يحدث شيء. قصة حب وفشلت. مثل معظم تلك القصص.

أستقل التاكسي وبعد قليلٍ من التوهان أصل إلى الفندق وأتوجه للاستقبال.

- أستاذة ميار؟

- أيوه؟

- ده وصل لحضرتك. قالها وهو يمد يديه بزهرية زجاجية شفافة مربوطة بشريط من الستان البمبي وتطل منه باقة أنيقة من الورد البلدي البمبي هو الآخر.

لقد تذكر إذًا. تذكَّر كيف كنا. وكيف كان. تمتد يداي لأتناول الورود. لا يرجف قلبي. لا تفترق شفتاي لتهرب ابتسامة. لا يحدث أي شيء. لم تعد تلك اللفتات تأسر قلبي. لم أكن أريد وردًا. أشعر بوحدة لا يملؤها سواه.

أفتح الرسالة المعلقة بها "آسف. ما تزعليش مني". أتنهد.

أنظر لتلك الوردات البريئة. أقترب منها أكثر. لا رائحة لها. مثلنا. فقدنا عبقنا. أترك الزهرية وأنفض حبات الأمل التي ما زالت عالقة في شعري وأتجه إلى غرفتي بسرعة.

***

أرجوحة جدال

ريهام الصغير

لا تدري كم مرَّ من الوقت وهي جالسة هناك على ذلك المقعد محدقة بأمواج البحر وهي تتراقص أمام ناظريها.

تساءلت: "هل مرت نصف ساعة؟ ساعة؟ ربما ساعتان؟"

قطع ذلك التردد نظرتها للسماء لترى تلك الدائرة التي تعشق رؤيتها ساطعة ومن حولها قطع كثيرة متناثرة تضيء تلك الأمواج المظلمة لتشكل لوحة فنية في غاية الإبداع حدثت نفسها: سبحان الله الذي خلق فأبدع فأذهل العيون"، وأغلقت عينيها لتستنشق رائحة البحر مبتسمة.

نظرت مجددًا للأمواج في صمت لدقائق ثم قالت: ولكنك مليءٌ بالوحوش، إنك تغدر بالإنسان على حين غفلة عندما ينخدع بهدوئك وجمال سكونك وتبتلعه لأعماقك بكل قسوة ليواجه وحوشك المفترسة بدون أي سلاح أو درع، أليس كذلك؟، لماذا لا تجاوب؟ لماذا لا تدافع عن نفسك؟"

صمتت قليلاً ثم استكملت: حسنًا سأقول أنا لك لماذا، لأنك تعرف أن هذه هي حقيقتك"..

واستدارت لترحل، ولكن استوقفها صوت به نبرة ثقة: حسنًا، أنتم تعرفون أن هذه هي حقيقتي، لماذا تلجأون لرمالي وتتحدثون معي لساعات طويلة عندما

تحزنون؟ لماذا تطلعوني على أسراركم؟ لماذا تتهافتون على مغامرات ركوب أمواجي؟ لماذا تجعلون أطفالكم يتعلمون السباحة وتتركوهم يأتون إلى بمفردهم؟ لماذا تعشقون بل وتتنافسون على الدخول إلى أعماقي لأطول فترة ممكنة؟ لماذا يكون اختبار السباحة من أهم اختبارات الضباط البواسل؟ لماذا تفعلون ذلك وأنتم تدركون غدري ومخاطر أعماقي؟"

صمت للحظات منتظرًا الرد، ثم قال: سأجاوب أنا نيابة عنك، لأنكم تعشقون التنافس والمخاطرة، لأن هذا طبع البشر الذي خلقكم الله تعالى به، ولا تنكري أفضالي عليكم، فأنا لدي وحوش تجعلكم أثرياء عندما تقبضون عليها، ولدي أسماك تشفيكم عندما تضعفون أو تمرضون، وهذا أيضًا من طبع البشر النظر للمساوئ فقط وليس الخيرات والنعم التي من حولكم.. هل تريدينني أن أحصيها لكِ؟"

فأشاحت بنظرها بعيدًا باستياء، وجلست من جديد تفكر، وتحدِّث نفسها: إن حديثه منطقي ومقنع، ولكن أنا أيضًا حديثي منطقي ومقنع، نعم إنه كذلك، يجب أن أقول شيئًا، شيئًا يصمته، شيئًا يجعله يخجل من التحدث أو الرد على أحدهم مرة أخرى، يجب ألا أخسر هذا الجدال، فهو لن يغيِّر فكرتي عنه التي كونتها منذ صغري بهذه البساطة."

ظلت هكذا فترة من الزمن، ثم وقعت عيناها على رجلٍ عجوزٍ جالسًا على الكرسي المجاور لها، وجدته ينظر لها بتعجُّب، فالتفتت حولها لتجد بعض المارين استطاعت أن تقرأ الأسئلة التي على وجوههم، ومنهم من نظر لها بتعاطف.. وجدت في عيونهم ما كانت تفعله هي عندما تمر من أمام شخص مجنون يحدِّث نفسه، فانتابها شعور بالحرج كثيراً.

ثم سمعت تلك النبرة الواثقة مرة أخرى: لا ترهقي نفسك في التفكير، لن تستفيدي شيئًا من هذا الجدال العقيم، ما هو إلا مضيعة للوقت وصداع للرأس، فانزلي من أرجوحة الجدال، وحاولي مصادقتي، تشجعي لتمري بين أمواجي، تعلمي الغوص في أعماقي، فما أدراكِ، قد يأتي يوم وأكون أنا صديقك المقرب وأسفل رمالي صندوق أسرارك."

***

إسكندرية العشق

شيماء محمود

لم يكن يومًا عاديًا في حياة "نهى الأسيوطي".. كانت تشعر أن الشمس تشرق فقط من أجلها ذلك اليوم.. وأن بحر الإسكندرية بهوائه المنعش يحييها لافحًا وجهها باعثًا في عينيها بريقًا.

هو مزيج من الأمل والحماس و..

القلق.. الكثير من القلق..

عندما تكون أيامنا عادية لا شيء جديد؛ ينخفض قلقنا إلى أقل معدلاته..

وعندما تهب رياح السعادة ينقبض القلب تلقائيًّا محذرًا إياك:

- احذر فهناك ما تخشى عليه.. هناك ما تخاف أن تخسره.

هزت نهي رأسها محيية أباها رجل الأعمال الناجح "أحمد الأسيوطي"

الذي هتف باسمًا:

-كيف حال عروسنا الجميلة اليوم؟!

اتسعت ابتسامتها وهي تستعيد ذكريات حفل خطبتها أول أمس..

كان حفلاً رائعًا حضره لفيف من رجال المجتمع ونجومه.. وكان خطيبها (حسام) فاتنا كالمعتاد.. تحبه منذ كانا يدرسان الهندسة معًا في جامعة الإسكندرية..

ولأنه ابن صديق والدها رجل الأعمال وصاحب سلسلة المطاعم الشهيرة لم يكن أمر زواجهما صعبًا بل كان أشبه بالأمر الحتمي..

رفعت يدها أمام وجهها متأملةً خاتم الخطبة غامزة بعينيها لوالدها قائلة:

- لم يكن حلمًا إذًا..

احتضنها الأسيوطي مقبّلاً جبينها متمنيًا لها السعادة..

جلست (نهي) في شرفتها متأملة بحر الإسكندرية..

تعشق الجلوس أمامه ولو لساعات طوال ؛ لاسيما في فصل الخريف ومع لفحات الهواء البارد.. تكتب في مفكرتها الإلكترونية..

تكتب أحلامها.. أهدافها للعام الجديدة

بلاد ستسافر إليها.. إنجازات عليها أن تحققها قبل انصرام العام..

تذكرت شيئًا فرفعت هاتفها ملتقطة صورة سيلفي في شرفتها والبحر وراءها ونشرتها على موقع التواصل الاجتماعي الشهير.

كاتبة تحتها الهاشتاج المتكرر

#إسكندرية_العشق

كانت تعرف أن الأمر متكرر لدرجة الابتذال. لكنها تعنيها حقًّا..

تعشق الإسكندرية ليس باعتبارها مكان ولادتها وطفولتها ونشأتها

بل لأنها كانت ترى فيها هوية وثقافة وتاريخًا..

تعشق معالمها. شوارعها.. بحرها.. والآن عليها أن تودع كل ذلك في خلال شهور معدودة لتسافر مع حسام كي يديرا شركة والدها في لندن..

كانت حياتها بسيطة وأحلامها ليست مستحيلة.. قصة حب رائعة وزواج ناجح.

والسفر للعمل في إحدى شركات والدها بالخارج والرجوع إلى هواء الإسكندرية المنعش عدة مرات بالعام في فصل الشتاء الذي تعشقه.

كانت أحلام "نهى" ببساطة تتحقق، وبحر الإسكندرية بهوائه المنعش ونسيمه البارد يداعب وجهها راسمًا ابتسامة مشرقة.. واعدًا بنهاية سعيدة.. أو إذا شئت فقل بداية سعيدة لحياتها مع الرجل الوحيد الذي اختاره قلبها..

بعد خمس سنوات

فوق صخرة بعيدة على شاطئ ميامي جلست "نهي" تتأمل البحر بنظرة جليدية وتحتسي قهوتها ببطء

نعم.. غيرتها السنوات. في عيونها دموعا حبيسة ونظرة تحدي وقوة يجتمعون معًا في مزيج عجيب..

كتبت في مفكرتها ما تريد إنجازه اليوم فقط، وكانت كلها أمور خاصة بالشركة والعمل..

لم تتغير خططها فقط بل وكذلك تغيرت شخصيتها أيضًا.. بل وأفكارها وحتى نظرة عينيها..

توفي (الأسيوطي) بعد خطبتها بشهر إثر أزمة قلبية بعد أن تأثرت أحواله المادية بتقلبات البورصة. كانت تريد أن تبكي وتنهار.. تعطي مجالاً ووقتًا للحزن لكن كانت هذه رفاهية كبيرة ولم يكن لديها الوقت..

طلب حسام منها أن تتخلص من كل هذه الأعباء وتعلن إفلاس الشركة وبيعها واقترح والده أن يشتري كل شيء بثمن بخس..

ابتسمت نهى بمرارة وهي تنهي فنجان قهوتها وتتأمل صفحة بحر الإسكندرية الحبيب متذكرة صفعة غادرة غيرت حياتها في غمضة عين..

نهي المرفهة الرقيقة ابنة رجل الاعمال الشهير..

تركت وراءها رجلاً أحبته. وأبًا فقدته. وروحًا دفنتها وبراءة

كانت..

ودفنت نفسها في العمل. وظلت تحارب من أجل إنقاذ شركات والدها. عملت بجد.. سعت وتعبت وسهرت كما لم تفعل من قبل. لم تتخيل يومًا أن يخذلها أول رجل أسلمت له قلبها بدون قيدٍ أو شرطٍ. كانت تحب بكل نفسها. وعندما فقدت. لم تجد حتى نفسها لتركن إليها..

أصبحت "نهى الأسيوطي" في خلال سنوات سيدة الأعمال المقاتلة الشرسة التي يخشاها المنافسون ويحترمون كفاحها. أحلامها تحققت. ولم تتحقق..

نعم..

سافرت لبلاد كثيرة حول العالم. لكنها لم ترَ إلا المطارات والفنادق وطاولات الاجتماعات فقط..

رأت الدنيا بزاوية أخرى مختلفة..

كيف كانت ترى الحياة وردية من قبل؟!

لم يعدنا أحدٌ أبدًا بأننا سنكون سعداء وبأن قصصنا ستكون مذهلة بنهاية سعيدة..

إن لم تكتسب السعادة بيديك فلن يمنحها لك أحد.. وكانت سعادتها في نجاحها. في كونها سندًا لنفسها.

تحولت من (نهى) ابنة رجل الأعمال البريئة الساذجة لـ (نهى) سيدة الأعمال العملية؛ صاحبة العقلية الجبارة والنجاح الكبير في عالم الأعمال..

لديها قلب ينبض.. نعم.. لكنه ينبض -فقط- ليعيش..

وهل يُؤتمن على قلبها رجلٌ آخر؟!

لماذا كانت سعيدة مع حسام؟! كان هذا يؤرقها دائمًا ويثير تساؤلاتها.. كانت صغيرة. ولم يكن يحبها كل الحب الذي تخيلته!!

هل كانت هذه (سعادة الجهل)؟!.. هل تتمنى لو ظلت في جهلها وسذاجتها البريئة؟!

ربما..

لكنها ممتنة لكل ما حدث..

فكل ما نمر به يمثلنا ويجعلنا ما نحن عليه في النهاية..

ابتسامة وقلب ممتلئ بالحنين. وفنجان قهوة. ونسيم البحر البارد..

هذا ما يشحذ همتها كل صباح ويجعلها قادرة على مواجهة العالم..

بقبضة متحفزة. وابتسامة باردة

التقطت صورة (سيلفي) مع البحر..

وتحتها كتبت..

"بعض الحكايات، تكتمل بالفراق!!

***

وجهًا لوجه

مؤمن راشد

"مكان جميل .. أليس كذلك؟!"

نظر إليَّ وهو يبتسم..

"أعرف أنه يعجبك، لقد شاهدته مرة وأنا أتصفح الإنترنت، فصممت أن نأتي سويًّا".

سكت هنيهة ثم أكمل بصوت عالٍ كأنه يستدرك: "لن يكون الأخير، بالمناسبة، لدي خبر سار، لقد حصلت على إجازة من العمل حتى نهاية الصيف، يمكننا أن نقضي باقي أيام الصيف معًا ونحن نستمتع بالسياحة، سنذهب أولاً في رحلة نيلية من أسوان إلى القاهرة، ثم سننطلق إلى الغردقة، سنشاهد تلك الدلافين التي تقفز في المياه، لقد شاهدت مقطعًا عنها اليوم، ثم.. ثم سنذهب إلى واحة سيوة حيث النخل وبحيرات الملح، ثم ننطلق إلى دهب حيث الشعب المرجانية ذات الـ..."

لم يعد يتحمل بعد أن تغيرت نبرة صوته، أجهش بالبكاء..

وخلع نظارته السوداء..

وجهك هكذا أفضل يا عزيزي..

جثا على ركبتيه وأخذ يقبِّل يدي..

"لم أكن أقصد، كنت أتصفح هاتفي، ولكن هذا اللعين انحرف عن الطريق وصدمنا، لم يكن بسببي، ليتني كنت أنا المصاب".

كنت أود أن أرفع يدي وأضعها على رأسه، وأقول له: قضاء وقدر، أسباب أدت للحادث سواء كنت تتصفح هاتفك أم لا، المهم أنك بخير، والأهم أننا الآن سويًّا نتحدث ونتواصل وجهًا لوجه بدون ذلك الحائل الذي تنظر إليه دومًا، حتى أصبحت أسمع فيه صوتك فقط..

كفكف دموعه وقام محاولًا التبسم: "ما هذا؟! سأفسد تلك اللحظة الجميلة".

استدار خلفي وأمسك بمقبض الكرسي وأخذ يمشي بهدوءٍ، ثم همس في أذني: "سنظل معًا في سعادة إلى الأبد".

يظنني ألعن تلك اللحظة التي حكمت عليَّ بأن أقضي ما بقي من عمري على كرسيٍّ متحرك، لا يتحرك مني شيء..

ولكن قلبي يرقص فرحًا..

أمتن لهذا الحادث الذي أحيا مشاعر كنت قد ظننتها ماتت إلى الأبد..

هذه المشاعر الحية أجمل بكثير من أجساد متحركة متكلمة ميتة.

ما أجمله من منظر!

***

الزهرة

مؤمن راشد

استيقظ كعادته في السابعة صباحًا، موعده البيولوجي منذ كان طيارًا حتى تقاعد منذ سنتين في سن الخامسة والأربعين.

لبس ثيابه واستعد للخروج وممارسة بعض الرياضة، وفي طريقه صادف زوجته الحسناء تلبس ذلك الفستان الأسيوي ذا الألوان المتوهجة، وتجلس في الحديقة وهي تداعب القطة النادرة التي أحضرها لها كهدية في إحدى رحلاته لروسيا.

همَّ بالتجاهل والانصراف حتى لا يكون هذا اللقاء مدعاة لمناقشات وخلافاتٍ في مطلع اليوم هو في غنى عنها، ولكنه قرر أن يلقي التحية على عجالة.

"عزيزتي، كيف حالك؟ تبدين رائعة اليوم".

رفعت رأسها ببطء لتنظر إليه، ما زال يحتفظ بوسامته ولياقته، ابتسمت ابتسامة مقتضبة: أنا بخير وأنت؟

"أنا بخير"، ثم نظر إلى جانب الحديقة فلم يرَ الزهرة الاستوائية، والتي تزهر كل خمس سنوات ولم يبقَ على تفتحها إلا شهرًا.

"أين الزهرة؟!"

للأسف، لقد ماتت.

"وكيف ذلك؟!"

من الواضح أنها لم تلقَ الرعاية الكافية.

"لقد وضعتها في فخارة تركية كبيرة تساوي ألف دولار، وجلبت لها سمادًا خاصًا من اليابان، كيف لم تلقَ الرعاية الكافية؟!"

ابتسمت الزوجة وقالت له: عزيزي، لقد أحضرت لها الكثير بالفعل، ولكن الزهرة كانت في حاجة إلى ما هو أهم من ذلك، لقد كانت ببساطة في حاجة إلى الماء، ويبدو أنك انشغلت فنسيت أن تسقيها بشكل دوري حتى ذبلت.

ثم قامت وانصرفت.

***

حدس صادق

رحاب محسن

نظرت إلى المرآة وتطلعت بفضول إلى وجهها الشاحب وعينيها الغائرتين والهالات السوداء الداكنة التي أحاطت بعينيها. تساءلت بالفضول ذاته: متى حدث كل هذا؟ ما الذي جرى لي؟ نظرت فلم تجد سوى عظام كساها بعض اللحم وتجاعيد غائرة أحاطت بملامحها جعلت عمرها يبدو أكبر بكثير من حقيقته. جعلتها تبدو في الثمانين من عمرها بينما لا تزال في الرابعة والعشرين. أنهكها المرض ورسم الإرهاق على وجهها. سلبَها حيويتها وجمالها الخلاب. إلا أن تجاربها هي ما تجعلها هي. إنها ما يعطي لحياتها معنى فريدًا خاصًا بها وحدها. تأملت وجهها الذي غزته أفاعيل الزمان. إنه يروي حكاية بائسة لفتاة عذبتها الأيام. كان لديها الكثير من الأحلام التي تحولت لبقايا أوهام وتناثرت كما الرماد على السرير الذي رقدت عليه أيامًا طوال وستدفن معها تحت التراب الذي سيواري جسدها عما قريب. إنها على يقين من أنها ستزوره عاجلاً غير آجل؛ فمرضها سيرديها في نهاية المطاف. كان أمر الموت عاديًا بالنسبة لها، شأنه كشأن سائر أمور حياتها. لم تكن تخشاه ولم تكن تحبه. كان حقيقة لا مناص منها. حقيقة تبدو جلية حين يرحل عن دنياها أحد أحبابها. ورغم افتقادها الشديد لهم فإنها لا تسعى للموت أبدًا ولا تحاول استدراجه. إنها تعي جيدًا أن أيامها في هذه الدنيا غدت معدودة والدليل على ذلك هو صورتها

الماثلة أمامها في المرآة. صورة فتاة سجنها جسدها الذي أنهكه المرض. تطلعت إلى ذلك السرير الذي آوى جسدها الهزيل سنين طويلة. شهد أحلامها الجمة وعنفوان طفولتها البريئة. عصف بها طوفان الذكريات وأغرقها. سالت دموعها المتبقية لتعكس مشاعرها الملتهبة. استعرت مشاعرها كحمم البركان. وكانت العبرات هي المتنفس الوحيد لما يختلج في صدرها من مشاعر كثيرة. كانت الفتاة تئن من ألمٍ لا تدري أهو من جراء مرضها الجسدي الذي التهم كيانها أم أنه من جراء أحزانها. دفنت طفولتها في ذلك المكان ولقي شبابها حتفَهُ خلف تلك المرآة اللعينة. تلك المرآة التي لا تستحي أن تخبرها بعيوبها كاملة كما هي. ودت لو تحطم المرآة فتتهشم معها ملامح وجهها البائسة إلا أنها ستظل قابعة بداخلها مهما فعلت ومهما حاولت طمسها عنوة. جلست على السرير وعيناها لا تكادان تفارقان المرآة. خفت بريقهما إلى أن انطفأ وغزت أفكارها السوداء وجهها البائس فبدت جلية في تعابيره. تساقط شعرها دفعة واحدة من جراء العلاج فقد كانت تعاني مرضًا مشئومًا يدعى السرطان. نظرت مرة أخرى فلم تجد شيئًا جديدًا قَطّ. إنها ذات الملامح الباهتة المنطفئة. ودت لو يتغير شيءٌ واحدٌ فقط. ودت لو تستعيد بريق عينيها أو شعرها أو لون جلدها أو شفتيها الورديتين. ودت لو تستعيده للحظة واحدة بعد. إن طموحاتها غدت ضئيلة جدًّا هذه الأيام فلا تكاد تغادر دماغها. كانت أحلامها كبيرة يومًا ما وقد بلغت عنان السماء. أما الآن فهي لا تملك سوى أن تئدها في مهدها فهي لا تريد أن تتألم. يكفيها ما يلازمها من آلامٍ مبرحة لا تغادرها للحظة واحدة. تسلبها النوم ليلاً وتكاد تذهب لبها. أجل.. الفتاة تكاد تجن، ويا لها من مسكينة! لطالما تشاجرت مع خالقها في بدايات مرضها العضال غير عابئة بما قد يلم بها من سخط خالقها ثم تعود بعد ذلك لترجو عفو بارئها عما بدرَ منها آنذاكٍ من سذاجة وسوءِ فهمٍ. أما الآن وقد اقتربت من خط النهاية فهي تقيم لكل كلمة حسابها إذ هي لا تدري أيهما يسبق: أكلمة طائشة تجري على لسانها الأهوج

أم لقاء ملك الموت؟ تبعثرت الأفكار في دماغها الفوضوي. اختلطت الكلمات فلم تعد تميز حروفها، تشابكت فلم يعد لها معنى. لم يعد لأفكارها الجمة محلٌّ من الإعراب. حاولت أن تلملم شتات المفردات لتكوِّن جملة إلا أنها عجزت عن ذلك عجزًا أربكها كثيرًا. وقفت قبالة المرآة فوجدت عبراتها تنساب على وجنتيها. إنها تمقت شعور العجز ذاك.. تمقته بشدة! لطالما أحبت نفسها حبًّا بالغًا وهو ما دفعها إلى الاستمرار. أما الآن، فهي تكرهها وتكره ارتباكها. أيقنت أن نهايتها غدت قريبة. استلقت على السرير فقدماها صارتا عاجزتين عن حملها رغم كونها فقدت كثيرًا من وزنها. قدماها المنهكتان اللتان كانت تجوب بهما حديقة منزلها حين كانت صغيرة لم تعودا قادرتين على الاحتمال. لقد صارعت ذلك الداء لعامين متتاليين وفي كل ليلة تحاول فيها الخلود للنوم كانت تظن أنها الليلة الأخيرة إلا أن ظنها كان كثيرًا ما يخيب. تطلعت إلى المرآة مرة ظنتها الأخيرة وتساءلت: أما آن لها أن ترتاح قليلاً؟ أما آن لها أن تغادر هذا العالم؟ أما آن لها أن تستحيل عظامًا تلتهمها الديدان؟ كانت على يقينٍ من أن ظنَّها سيخيب هذه المرة أيضًا. فما الفرق بين هذه المرة وسابقاتها؟ إلا أنها لم تكن على صوابٍ. تطلعت إلى السقف المتهالك فوق رأسها. ودَّت لو تلتهمها أفكارها فتكف عن مصارعتها ليل نهار. خارت قواها وشعرت بروحها تنسحب ببطءٍ شديدٍ. أدركت أنها ستلفظ أنفاسها الأخيرة على ذات السرير الذي شهد حزمها واستسلامها، مرحها وأحزانها، بريقها وانطفاءها، نجاحها وإخفاقها، أنينها وضحكاتها. إنها هالكة لا محالة. أخذت تئن وترتجف إلى أن سكن اضطرابها وانتهى كل شيء. ابتسمت فقد صدق حدسها هذه المرة.

***

مرحبًا بكم في عقلي

رحاب محسن

مرحبا بكم في عقلي.. وهو ليس مملاً على الإطلاق!

واحد، اثنان، ثلاثة.. أعلم يقينًا أنه عليّ أن أعد خطواتي ذهابًا وإيابًا حين أنوي ارتياد أي مكان وإن لم أفعل فإن شيئًا بالغ السوء سيحدث بلا أدنى شك، أليس كذلك؟ قد تعتقدون أني مجنون. يعتقد الكثيرون أني كذلك إلا أنني لا آبه أبدًا بما يعتقدون. فما يهمني هو ألا يحدث شيء سيء لي أو لأسرتي فحينها لن أسامح نفسي قط. تبًّا! لقد أخطأت العد وعليّ أن أعود أدراجي من جديد. هيًّا فلنبدأ من الواحد الصحيح. أم أنه عليّ اعتبار الصفر رقما في حد ذاته؟ حسنًا لا يهم. حقيقة لا أدري.. إن ذهني مشتت قليلاً هذا اليوم. لا عليكم من هذا فأنا مضطر لأبدأ من جديد. واحد، اثنان، ثلاثة.. وعودة للجنون، قد يزعم البعض أن ما أقوله هو محض هراء. لحظة واحدة من فضلكم، أهو جنون أم هراء؟ الزموا الدقة أرجوكم فهذه اللا مبالاة هي ما توقعنا في المشكلات. مشكلات؟ هل قلت مشكلات؟! يا للمصيبة! أرجو ألا تحدث مشكلة اليوم بسبب تهوُّري الزائد هذا! حسنًا.. لقد أخطأت من جديد وهذا ليس جيدًا على الإطلاق فهو يعني بالتأكيد أنه عليّ أن أعيد الكرة ثانية. واحد، اثنان، ثلاثة.. حسنًا توقفوا للحظة أرجوكم. لمَ لا نقول اثنين ثم أربعة؟ لماذا يتوجب علينا أن نذكر الرقم ثلاثة؟ لطالما كرهت الأرقام الفردية لأنها تدعو

للتشاؤم بعض الشيء. علام الضحك أيها الحمقى؟ إنه شيء منطقي للغاية. على العموم أنا لا أعبأ مطلقًا بأفكاركم البلهاء. حسنًا أنا آسف. أرجوكم اقبلوا اعتذاري. سأرسب في امتحان الغد إن لم تقبلوه فرجاءً سامحوني! والآن إلى أي رقم انتهينا؟ لا.. كان عليَّ أن أكف عن الثرثرة وأن أعير كل انتباهي للعد بدلاً من ذلك. والآن عليَّ أن أبدأ من جديدٍ. تبًّا لقد سقطت! يا للكارثة لقد اتسخت ثيابي. تلطخ بنطالي بالوحل وتلطخ حذائي كذلك. ماذا عليَّ أن أفعل؟ بم تفكر أيها الأخرق؟! بالطبع عليك أن تعود إلى منزلك لتنظف ما أفسدته بلا مبالاتك. ما الذي جرى لي؟ أنا لم أعد كما كنت. لماذا يحدث لي كل هذا؟ أنا أستحق ذلك عن جدارة. أجل هذا مؤكد. فأنا شخص سيء وأستحق كل ما يحدث لي. لا.. هذا ليس عدلاً! سأتأخر عن المدرسة بهذا الشكل. يا إلهي.. ماذا عساي أفعل يا ترى؟ لطالما تحدَّث الجميع عن المقاومة والإرادة وعن شيءٍ آخر يُدعَى العزيمة. أما أنا فلا أعرف عن هذه الأشياء شيئًا. كل ما أعرفه هو أنها محضُ مفرداتٍ خاوية لا معنى لها. شعارات فارغة يتردد صداها في رأسي وليست لدي أدنى فكرة عن كيف حدث ذلك فرأسي مزدحم للغاية ولا يوجد به أي مكان شاغر. أشعر أن رأسي يكاد ينفجر. اضطررت للعودة إلى منزلي غير عابئٍ بَعدُ خطواتي؛ فهناك ما يشغلني أكثر وهو تنظيف ثيابي مما أصابها. هكذا هو حالُ تلك الأفكار. إنها تتبدل باستمرار من تلقاء نفسها. فكرة قوية تحل محل الفكرة الأضعف منها ولا تلبث أن تستقر في دماغي حتى تستبدل بفكرة أخرى أقوى وأشد بأسًا منها. تبًّا لحالي البائسة تلك التي تدفعني للجنون إن لم أكن مجنونًا أصلاً! ولكن ما الذي يجعلني أنصاع لأوامر ذلك المتنمر الذي يسكن دماغي طيلة الأربع والعشرين ساعة؟ هل أنا ضعيف حقًّا؟ هل أفتقر لتلك الإرادة التي يتحدثون عنها ولا أفهمها؟ ولماذا يخبرني ذلك المتنمر أن الأمر الذي يطلب مني تنفيذه هو آخر ما سيأمرني به؟ وما إن أنفِّذه حتى يجد شيئًا آخر ليلومني على عدم تنفيذه. لماذا يلازمني التوتر حتى أنصاع لأوامر ذلك المحتال؟

وما هي ماهيته؟ أعني ذلك المتنمر. أي نوع من الكائنات الشريرة هو؟ أعلم أن هذه الأفكار غير منطقية بالمرة وأنا متيقن من ذلك إلا أني لا أستطيع الإفلات من بين براثنها. لقد احتجزتني رغمًا عني وأحكمت قبضتها عليَّ وتكاد تفجر رأسي. سترديني قتيلاً! بل ليتها ترديني قتيلاً حتى أرتاح مما أعانيه! إلا أنه يبدو أنه ليس ثمة نهاية لمعاناتي. متى بدأ كل هذا؟ ليتني أعرف. بل ليتني أستطيع أن أضع حدًّا لمعاناتي وإن كلفني ذلك حياتي نفسها. والأدهى أنني حين أصرح بهذا الأمر لغيري فإنهم يتهمونني بضعف الإيمان ويكادون يقذفونني بالكفر والإلحاد. ولا ينفكون يقارنوني بغيري ممن يعانون مشكلات تفوق مشكلتي سوءًا وضراوة. أنا أقدر أن مشكلتي ليست بهذا السوء وأن ثمة آخرين يعانون أضعاف ما أعانيه إلا أن هذا لا يحل المشكلة بل يزيد الطين بلة ويزيد الوضع تعقيدًا. أهو ذنبي؟ أهو ذنبي أنني لا أعاني بالقدر الكافي الذي يعاني به بقية الخلق؟ ليتني أجد إجابات شافية لأسئلتي المتعددة فقد نالت مني أفكاري وأغرقتني في مجاريرها العفنة. وصلت إلى منزلي، أدرت المقبض ودلفت إلى الداخل. أغلقت الباب الذي تعودت أن أغلقه قرابة سبع مرات أو حتى أشعر بالارتياح. أذكر أنني جاوزت عشر مرات ذات يوم. إنني أخشى أن يسطو أحدهم على منزلي في غفلة مني. لم أتجاوز الثلاث مرات هذه المرة فقد تذكرت أمر الثياب المتسخة. هرعت إلى الحمَّام لأنظف ما أستطيع. اعتدت أن أسكب الكثير من المنظفات من شتى الأنواع على ثيابي إلى أن اهترأت. أسرعت لأحضر المنظفات الخاصة بي وسكبتها على ثيابي دفعة واحدة دون أن أخلعها غير مكترث بأنها قد تحرق جلدي إن وصلت إليه. وهذا ما حدث بالفعل، احترق جلدي ولم أعبأ قَطّ بما حدث. تابعت عملي دونما صراخ فأنا لا أستحق أن أصرخ أو أتأوه. بل عليَّ أن أتألم في صمتٍ فهذا ما يستحقه أمثالي من المذنبين. كل ما دار بخلدي هو أن أنظف ما طال ثيابي من جراثيم ستجلب لي المرض بلا شك. عليَّ أن أتخلص منها وبسرعة بالغة. نظرت إلى يدي اللتين تآكلتا من فرط

استخدامي للصابون المطهر. كنت أغسل يدي في المرة الواحدة حوالي عشر مرات أو حتى أشعر بالارتياح. لدي يقين لا يخالطه شكٌّ بأني إن لم أفعل ذلك فسوف أمرض، وإن مرضت فلن أذهب للمدرسة، وإن لم أذهب للمدرسة فسأحرم من حضور الامتحانات، وإن حرمت من حضور الامتحانات فسأرسب، وإن رسبت فلن ألتحق بالجامعة، وإن لم ألتحق بالجامعة فلن أحصل على وظيفة، وإن لم أحصل على وظيفة فسأصير مشردا! سلسلة لا تنتهي من التكهنات المأساوية. يقنعني عقلي بأن كل هذا سيحدث إن لم أنظف يدي جيدًا ولذلك فإني أؤثر الطريق الأسلم وهي أن أفعل ما يطلبه مني دون شكوى فليس بوسعي احتمال العواقب المخيفة ولا التوتر الذي سأجنيه إن لم أنفِّذ أوامره. قد يعتقد أحدكم أني أرتاح بمجرد أن أفعل ذلك إلا أن هذا ليس صحيحًا البتة. فسرعان ما يجد عقلي المجحف شيئًا آخر ليعذبني به كذكرى أحدهم بالسوء في غيابه ليقنعني بأمرٍ غير منطقي على الإطلاق وهو أنني سأرسب في الامتحان من جرَّاء ما فعلته. وعليَّ أن أرضخ بالتأكيد لما يقول تفاديًا للعواقب لأني إن رسبت بالامتحان فلن ألتحق بالجامعة وإن لم ألتحق بالجامعة.. حسنًا أنتم تعرفون التتمة جيدًا فلا داعي لذكرها إذًا! ما من عقل بشري يتوقف عن العمل وإلا فسيموت الإنسان. ولكن عقلي أنا لا يكف عن التذمر أبدًا. صمم عقلي بحيث يشكو ويتذمر بشكل متصل يدفعني بسرعة مخيفة إلى حافة الجنون إلى أن ينتهي بي المطاف مقيدًا على سرير في مستشفى الأمراض العقلية. ويا لَهُ من أمرٍ مُرعبٍ بحقّ! ترى ماذا سيحل بعائلتي حين أرحل؟ سينتهي أمرهم. أدرك أنني أصبحت عالةً عليهم. أدرك ذلك جيدًا إلا أن غيابي سيزيد الأمر سوءًا. أنهكتني أفكاري فانهرت وهويت على أرضية الحمام غير عابئ أبدًا بملامسة ثيابي لأرض الحمَّام المبتلة مدركًا تمامًا أني سأندم على ذلك لاحقًا. إلا أن عنف أفكاري أصاب مفاصلي بالخدر فلم تقوَ على حملي. لا أعتقد أني سأكون قادرًا على العودة للمدرسة هذا اليوم. يا لَهُ من يومٍ بائس! تمنيت لو

تظلم الدنيا أمام ناظري للأبد. تمنيت لو أفارق الحياة على أرضية الحمَّام تلك. يا لها من فوضى عارمة! ثَمَّة فوضى من حولي وأخرى في دماغي. الفوضى من حولي مرئية للجميع أما تلك التي في دماغي فلا يبصرها أيٌّ كان! تبًّا لهم! إنهم يزعمون أنهم يعرفون كل شيء. لم أهتم في هذه اللحظة بكوني سأرسب في امتحان الغد نظرًا لكوني ذكرتهم بالسوء في غيابهم. لم يكن هناك أحد في المنزل لينجدني. أحزنني أنني وحيد تمامًا. آلمتني ساقي نظرًا لما سكبته عليها من محاليل التنظيف إلا أنني لم أصرخ ألمًا فلا يجدر بي إبداء تذمر أو ضجر مهما حدث. على إظهار الرضا دائمًا كي لا أغضب خالقي أو هذا ما اعتقدته على الأقل. أنا أنكر على نفسي كل شيء بما في ذلك مشاعري. بكيت رغمًا عني فقد فاض الكيل. ما عساي أفعل سوى ذلك؟ توقف الزمن ولم يتوقف عقلي عن الصراخ. إنه يدعي أنني مثير للشفقة وأنني أسترعي اهتمام الآخرين. ما زالت ساقي تؤلمني ولم يتوقف عديم الرحمة ذاك عن الصراخ بي أن أكف عن المزاح وتمثيل دور الضحية. أنا أعرفه جيدًا. لن يتوقف أبدًا حتى بعد أن ألفظ أنفاسي الأخيرة. أنا هالك لا محالة ويا لها من نهاية بائسة! استسلمت لرقدتي تلك إلى أن غلبني النعاس. يبدو أنني غفوت قليلاً بينما لا يزال ذلك الوحش يقهقه في الخلفية.

***

ندم بعد جفاء

رحاب محسن

كثيراً ما نتمنى إصلاح ما أفسدته أيدينا، كثيراً ما نتمنى عودة الزمن لنرمم ما انكسر، نتمنى لو لم يفت الأوان. إلا أن الزمان لا يحابي أحدًا أبدًا. اجتاحني شعور الذنب وغدًا كالمطرقة التي تكاد تفجر رأسي. كنت أشعر بطرقاتها على دماغي. خيِّل لي أني اقترفت أسوأ ذنب في العالم.

أمي.. تلك الإنسانة التي شهدت أولى خطواتي وسمعت أولى كلماتي. تلك التي شاركتني أفراحي وأتراحي وتألمت لألمي فلم يفعل ذلك سواها. لولاها لما عرفت للتضحية معنى ولا للأخلاق مرادف. عشت بين أحضانها أسعد أيام حياتي. لم تدخر جهدًا في منحي خير حياة قد أحلم بها. عشت معها عشرين عامًا فلم أخش شيئًا بقدر ما خشيت أن يصيبها الزهايمر حين تبلغ أرذل العمر، وقد حدث ما كنت أخشاه؛ فحين بلغت الستين من عمرها أخذت ذاكرتها تتدهور شيئًا فشيئًا. لم يكن التدهور ملحوظا جدًّا في البداية، إلا أنه غدا جليًّا مع مضي الوقت. كنت أخشى ألا أستطيع العناية بها وكان جل تفكيري الأناني هو كيف سأتحملها؟ كيف سيتسنى لي أن أحتمل خرفها وتصرفاتها اللا متوقعة؟ نسيت حينها أنها تحملت تصرفاتي البلهاء حين كنت صغيراً بنفس راضية وقلب حمول. في بداية مرضها، كانت تنسى أشياء بسيطة كأين وضعت نظارتها أو كيس نقودها. كانت تضعها في مكانٍ ما ثم لا

تذكر أين وضعتها بعد ذلك بدقائق فتظَلُّ تبحث عنها طيلة النهار. ثم ساء الوضع قليلاً، فكانت تنسى مثلاً إلى أين نحن ذاهبون، فأخبرها بلطف بداية أن وجهتنا هي البيت ثم لا ألبث أن أتملل وأتأفف حين تعيد السؤال نفسه للمرة الخامسة، فأخبرها بغضب أننا عائدون إلى البيت. فتكف أحيانًا عن إعادة الاستفسار من فرط الخجل وأحيانًا أخرى تنسى ما قلت وتعيد الكرة مرات أخرى. لا أدري كيف نسيت حينها كيف أعادت لي الكلمة نفسها عشرات المرات حتى يتسنى لي حفظها.

تردى الوضع أكثر، فأضحت تعيد القصة نفسها المتبقية في ذاكرتها منذ عشرات السنين أكثر من خمس مرات في اليوم ذاته. كنت بداية أتظاهر بأنني أستمع إليها كي لا أحرجها، ولكن بعد ذلك بقليل صرت لا أتكلف حتى عناء التظاهر، فكنت أتعمَّد تجاهلها. ليست لدي أدنى فكرة عن أيٍّ وَحشٍ عديم الرحمة غدوت حتى أعاملها بهذه الطريقة الفظة. غاب عن ذهني كيف كانت تعيد لي القصة الطفولية نفسها مئات المرات وأستمتع بسماعها بل وأطلب منها أن تعيد روايتها مرة أخرى. وكانت تفعل ذلك دونما تذمر. قد يغشاها النعاس أثناء القراءة فتغفو قليلاً فأوقظها فور انتباهي لذلك حتى تتم القصة، فتستيقظ ولا تنهرني أبدًا بل تتابع قراءة القصة من جديدٍ حتى يتسنى لي النوم بهدوءٍ.

لم تستمر الحال على هذا المنوال بل ساء الوضع كثيراً هذه المرة. نسيت ذات مرة أن أوصد باب الشقة بالمفتاح، وقد اعتدت أن أفعل ذلك كي لا تخرج أمي منه بينما أغط في النوم، ونمت غافلاً عن فعلتي تلك. ويبدو أن أمي نهضت أثناء نومي وغادرت البيت. وعندما استيقظت بحثت عنها في كل مكان. جبت غرف الشقة بأسرها باحثًا عنها إلا أني لم أعثر عليها أبدًا. غادرت البيت لأبحث عنها في الشارع. ترى أين ذهبت تلك العجوز؟ لا يمكنها أن تبتعد كثيراً. أخذت أركض فزعًا خشية ألا أجدها. حل الليل وانتابني الهلع الشديد. يا إلهي! أي جريمة بشعة

ارتكبت؟ أهذا هو عقابك؟ هل ضاعت أمي للأبد؟ بدأت أعود أدراجي، بعدما بلغ مني الإرهاق واليأس مبلغًا، عازمًا على العودة للبحث عنها صباح الغد. دارت بخلدي مئات الأفكار. أدركت أنها كانت تعيد القصة نفسها عشرات المرات لأنها كانت تريد التحدث إلى فحَسب، وذهنها المسكين لم يسعفها لتجتر قصة أخرى من ذاكرتها. كنت أبكي بحرقة متسائلاً لما أسأت معاملتها؟ ماذا دهاني؟ بماذا كنت أفكر؟ قطعت وعدًا على نفسي أمام الله بألا أسيء معاملتها مجددًا وأن أحسن إليها فيما تبقى من عمرها.. هذا إن وجدتها! وفجأة لمحت خيالها قادمًا من بعيد فشرعت أركض إليها بلهفة كالظمآن الذي سار في الصحراء لساعات طوال وقد وجد لتوه نبع ماء يظنها عذبة. وجدتها أخيراً في شارع مجاور لذاك الذي يقع فيه منزلنا. احتضنتها بقوة وبكيت. ربتت على رأسي قائلة: "لماذا تبكي يا بني؟ أين كنت؟ لقد بحثت عنك طويلاً!" إنها تبحث عني بينما كنت أتمنى رحيلها في الأيام السابقة. لم أحفظ جميل صنع أمي التي وهبتني الحياة.

عدنا إلى البيت، وفي اليوم التالي استيقظت لأجد مفاجأة غير سارة بانتظاري. لقد بللت أمي ثيابها لأول مرة منذ زمن طويل، وطال البلل السرير الذي أنام عليه؛ فقد جعلتها تنام إلى جواري كي أطمئن إلى عدم مغادرتها المنزل في غفلة منِّي. وبمجرد أن رأيت ذلك المشهد، جن جنوني وكان وقع المشهد على كالصاعقة. نسيت تمامًا الوعد الذي قطعته على نفسي وثرت وكأنما فاض بي الكيل. لم تردعني نظرات أمي الخجلة التي تستسمحني عذرًا عن إفراغ غضبي عليها. نهرتها كثيراً ولم أستح أن أخبرها كم أتمنى أن تختفي من حياتي حتى أرتاح. اغرورقت عيناها بالدموع وأخذت تبكي قائلة بصوت متهدج: "آسفة يا بني.. أعلم أنني أثقلت عليك كثيراً. ولكن لا تقلق؛ فسأغادر هذه الدنيا عما قريب." أعادتني كلماتها الأخيرة إلى رشدي وتذكرت عهدي الذي أشهدت الله عليه ثم لم أجد حرجًا في نقضه. كانت كلماتها كصفعة على وجهي الغاضب المتجهم. هل حقًّا سترحل أمي عما قريب؟

أهذا ممكن أصلاً؟ أنساني غضبي أنها لطالما بدَّلت لي ثيابي، التي بللتها حين كنت صغيراً، دون إبداء أي ضجر. لم تتأفف أبدًا من خدمتي التي كانت ترهقها بلا شك. بل كانت سعيدة برؤيتي أكبر أمامها يومًا بعد يوم. انهمرت دموعي على وجنتي؛ فذلك الأحمق يا أمي قد كبر ليؤذي من تمنت أن يكبر يومًا. مسحت عبراتها قائلاً: "أنا آسف يا أمي.. آسف.. لا تحزني أرجوك."

تملكتني بعد ذلك رغبة قوية في معرفة ما إذا كانت أمي لا تزال غاضبة مني. كان ذلك السؤال يقلقني ويؤرق مضجعي ويسلبني التركيز في شتى مهام حياتي. خشيت أن تنتهي حياتها دون أن أعرف الإجابة فتضيع الفرصة للأبد ويقتلني شعور الذنب والندم بعد ذلك. وأخيراً قررت أن أسألها قبل فوات الأوان؛ فالوقت ينفد بسرعة بالغة. استجمعت ما تبقى من شجاعتي وسألتها: "أمي.. هل أنت غاضبة مني؟" فسألت في تعجب: "لماذا؟ لماذا تقول ذلك؟" لم أعلم بما أجيبها. هل أحدثها عن إساءاتي المتكررة لها فأفسد آخر أيامها؟ إنها لا تذكر جفائي وإهانتي لها. وعلمت فيما بعد حقيقة أمر من ذلك بكثير وهي أن أمي في الغالب لا تذكر من أكون أصلاً. صارت أمي تهذي بكلام لا أفهم منه حرفًا واحدًا. صار من العسير جدًّا تبين ما تريد وكانت تبكي كثيراً لأنها عاجزة عن إعلامي بما ترغب به. فكنت أحاول أن أسري عنها على أحمل بعض همومها؛ فكم حملت عني همومًا في صغري. حاولت جعل أيامها القليلة المتبقية خيراً من سابق عهدها بالزهايمر. حاولت رد جزء بسيط مما قدَّمته لي. علمت حينها ما المقصود بأرذل العمر وعلمت كم هو من المفجع ألا يعلم الإنسان بعد علم شيئًا. كنت أتمنى أن يطيل الله في عمرها ليس من أجلها وإنما من أجلي؛ فأنا لن أحتمل لا فراقها ولا شعور الذنب الملازم له. فيا رب امنحني بعض الوقت علها تتذكر من أكون وتسامحني على ما فعلت.

مرت بضعة أيام قبل أن تلفظ أمي أنفاسها الأخيرة وتفارق الحياة. ذهبنا إلى

المسجد لنقيم صلاة الجنازة على جثمانها قبل أن نشيعها إلى مثواها الأخير. وقفت صوب جثتها أقيم شعائر الصلاة. لم أذرف أي دموع؛ فلا يجوز لي أن أبكي على فراق أمي فقد جعلت سنينها الأخيرة جحيما لا يطاق. ربما استراحت أخيرًا من إيذائي لها. ربما رأف الله بحالها فأنقذها من ذلك الابن العاق. شيعنا الجنازة وأنزلت أمي إلى ذلك المكان المخيف المسمى بالقبر ثم خرجت وذرفت الدموع. لم أكن أنتحب على وفاتها بل كنت أبكي حالي التعسة. أنا من فرطت في أمي أثناء حياتها وها أنا ذا أحرم بكاءها بعد مماتها. وحين نصب صوان العزاء، كنت مستمرًا في البكاء. ظنَّ الجميع زيفًا أن دموعي تلك هي من جراء فراقها، وحاولوا مواساتي والتهدئة من روعي إلا أن الحقيقة كانت أنني لا زلت أبكي حالي وما آلت إليه. ترى.. هل سامحتني أمي؟ كيف سيكون مصيري حين ألقى ربي يومًا ما؟ ثمة أسئلة كثيرة تحير عقلي ولست أجد لها أي أجوبة. ويبدو أن تلك الأجوبة ستظل محجوبة عني للأبد. لقد فات الأوان، ولا أدري ماذا يجدي الندم بعد الجفاء عند فوات الأوان.

***

ركام التخاذل

رحاب محسن

كان يومًا شاقًا.. أنهيت لتوي يومي الدراسي في كليتي التي اخترت الانتماء إليها بكامل إرادتي. توجهت بعد ذلك إلى محطة القطار الذي تعودت أن أستقله يوميًّا للعودة إلى منزلي. لم أكن على دراية أبدًا بما ينتظرني ذلك اليوم في ذات المكان الذي أرتاده باستمرار. لم تكن لدي أدنى فكرة عن أن حادثة مفجعة على وشك الحدوث وأن تلك الحادثة المأساوية ستغيِّر حياتي للأبد. كان ذلك هو العام الأول لي في تلك الكلية. كنت ساذجة إلى أبعد الحدود. سرت مسرعة نحو منفذ بيع التذاكر. لم تكن محطة القطار مزدحمة على الإطلاق. وقفت في الصف منتظرة حلول دوري لأبتاع تذكرة. لم يكن أمامي سوى شخصين فحسب. كنت متعبة من جراء اليوم الطويل وفجأة شعرت بيدٍ امتدت لتلامس جزءًا خاصًا من جسدي. لم أصدق ما حدث للتو وهيء لي أني كنت أتخيل. ما زالت تلك اليد العابثة تمسك بقوة بذلك الجزء. أخذت أفكر بسرعة: ربما لم يقصد ذلك الشخص المساس بجسدي. ربما حدث ذلك رغمًا عنه إلا أن المكان لم يكن مزدحمًا أبدًا حتى يمكن لهذا أن يحصل. لم أحاول التملص بداية وإنما رضخت في استسلامٍ. شعرت بفزع وتجمدت في مكاني. لم أدرِ ما عليَّ فعله. أصابتني صدمة فعجزت عن الحراك تمامًا. ما الذي جرى لي؟ أنا لم أكن هكذا أبدًا! إلى أين ذهبت تدريبات الفنون القتالية التي اعتدت ارتيادها في

صغري؟ تبخَّر كل هذا من دماغي في لحظة واحدة فلم يعد له وجود. لم أصرخ ولم أطلب النجدة. لم أضربه ولم أنهَل عليه بالسباب. كنت ساذجةً لدرجة أنني لم أعرف كيف ألقي السباب ولدرجة أنني بررت فعلته بأنه لم يقصد إيذائي. التفتُّ نحوه لأجده يتحرك يمنة ويسرة محاوِلاً أن يلوذ بالفرار ومحاولًا التملص من جريمته النكراء. ابتعت تذكرتي وانطلقت نحو القطار عابرة البوابات. لقد أنكرت على نفسي كل رد فعلٍ يذكر من غضب وخلافه. أيقنت أن الأمر لن يمر مرور الكرام وأن عواقبه الوخيمة ستصيبني بلا شك عاجلاً أم آجلاً. إلا أني لم أعرف قدر الأذى الذي ألحقته بي تلك الحادثة حينها بل عرفت ذلك فيما بعد. عدت إلى منزلي لأستذكر دروسي طالبة من أمي أن تنهرني إن لم أفعل ذلك على الوجه الأكمل. أنكرت على نفسي كل شيءٍ: الحزن والابتئاس، الغضب والهياج.. لقد ارتكبت جريمة بحق نفسي أكثر شناعة من تلك التي ارتكبها ذلك الشهواني بحقي. قادتني سذاجتي لندمٍ لا يمكن علاجه. دفنت الذكرى في مكانٍ ما بداخلي تحتَ ركام من التجاهل لتصعد إلى السطح بين الفنية والأخرى لتعذبني وتنغص على حياتي. أضحت تؤرق مضجعي وتجعلني أخشى الناس كما لم أخشَهُم من قبل. لقد تحطم شيءٌ ما داخلي وصرت عاجزةً عن ترميمه. رويت القصة لصديقتي بعد حدوثها بنحو ثلاث سنين، فروت قصة مماثلة. لم أجد أحدًا ليخفف عني وقع الصدمة بل كان الجميع يبررون الجريمة بأن التحرش أمر عادي ولا سيما في مجتمعنا هذا ولا يمكن تفاديه. أخذوا يعقدون المقارنات بيني وبين غيري ممن تعرضوا لعنف جنسي أشد وطأة ووحشية مما تعرضت له كمن اغتصبن مثلاً. زعموا أن التحرش عادي لأنه يحدث لجميع البنات. ليست مأساة أن يغتال أحدهم شرفك عنوة. لا مشكلة أن ينتهك أحد حرمة جسدك؛ فعرضك مستباح تمامًا لبعض الكلاب تنهش فيه كما تشاء في شرع هؤلاء. وأي شرع هذا الذي ما أنزل الله به من سلطان؟ قد تعتقد أنه ليس

من حقك أن تغضب. فاصمت إذا؛ حتى لا يقع المزيد من الضرر. أكره جسدي الذي أعتقد زيفًا أنه دفع ذلك الحيوان لإشباع شهوة دنيئة داخله. تكرر الأمر، فقد كنت أستقل سيارة أجرة في العام نفسه وجلس إلى جواري رجل. لم يخطر ببالي لوهلة أن شيئًا كهذا يمكن أن يحدث. لم أتخيل في أسوأ كوابيسي حدوث مثل هذا الشيء. امتدت يده ببطء لتلامس ما بين رجلي. وكما في المرة الماضية، لزمت الصمت تمامًا ولم أبدِ أيَّ تذمُّر. لم أنههِ ولم أصرخ به وإنما استسلمت. استمر ذلك الوحش بإمساك مناطقي الخاصة عدة مرات منتشيًا بتحسُّسها. ولمرة أخرى، حرمت نفسي من إبداء أي رد فعل صغيرًا كان أو كبيرًا. أود لو أصفعه، بل أود لو أقتله نظير ما فعل. أود لو أذيقه الألم نفسه وأجرعه من الكأس نفسها. أتمنى لو أعذبه كما عذبني إلا أن الأوان قد فات وما عاد بإمكاني إعادة ما ضاع. نزل الشخص من الحافلة دون إبداء أي ندم. عللت ما حدث بأنه ربما مريض عقلي وربما لم يقصد هذا إيذائي هذه المرة أيضًا. عدت إلى منزلي واغتسلت؛ فقد شعرت بالتقزز والقذارة. قمت بغسل جسدي مرات ومرات عليَّ أن أخلصه من دنس تلك اللمسات الدنيئة، إلا أن أثرها بقي رغم كل ما فعلت. بقي أثرها محفورًا في نفسي ووجداني حتى وإن محوت البصمات عن جسدي. حتى وإن تجنبت الذهاب إلى ذات المكان، حتى وإن عدلت عن ارتداء الزي نفسه للأبد الذي يزعمون أنه ما جلب لي الخزي، فإن وقع هذه الصدمة في نفسي سيظل حاضرًا للأبد. قد يجبرني مضي الزمن على الاحتكاك بالناس من جديد؛ فالحياة لن تتوقف عند تلك الواقعة بل قد يقلل خوفي منهم إلا أن ذكرى ذلك الجزء المغتصب من كرامتي وذكرى تلك اللمسات ستبقى تطاردني إلى الأبد. ستراود مخيلتي بين الحين والآخر. أتساءل لماذا لم أصرخ؟ لماذا لم أدفع الأذى عن نفسي في حين كان باستطاعتي فعل ذلك؟ ثمة شخص ما يصرخ بداخلي إلا أني الوحيدة التي تسمع صراخه. هناك جزءٌ مني

يتمنى عدم حدوث ما قد حدث. وهناك جزء آخر يتمنى تكرار الحادثة كي يتسنى لي الدفاع عن نفسي واستعادة بعض ما فقدته. هناك جزء يعتقد أنه خطئي على نحو ما وآخر يعتقد أني لست إلا ضحية مجتمع مريض. قد أحاول أحيانًا إنكار ما حصل وتخيل أنه لم يحدث بالأساس. بل قد أتخيل أني تصرفت على نحوٍ أفضل إبان حدوثه. قد أزعم في محاولة للتسرية عن نفسي أن كل تلك الذكريات هي محضُ أوهامٍ صاغها عقلي. لقد أنكر الآخرون عليّ مشاعري وادعوا أني أبالغ كثيرًا وأنكرتها على نفسي ما زاد الوضع سوءًا. لقد خذلت نفسي وانتهى الأمر بتكاسلي عن الدفاع عنها. ويا له من خذلان! دفعني جبني وسذاجتي إلى توسم حُسن نية المجرم. إنني لا أجد جوابًا قَط للسؤال المتكرر ذاته الذي حيَّر عقلي: لمَ لم أدفع الأذى عن نفسي؟ سيبقى الجواب محجوبًا عني طيلة حياتي إلا أن مخاوفي قيدتني حينها وأعجزتني عن فعل أي شيء وعصفت بذهني تخمينات وتبريرات فصرت ألقي باللوم على نفسي. ولكن ما العمل الآن؟ لقد سلبني ذلك الشخص شيئًا نفيسًا ولا يمكنني استرداده مهما فعلت. ما تراه يعيد لي حقي المسلوب؟ ماذا عن ثقتي بنفسي وكرامتي اللتين ضاعتا للأبد؟ هل يفيد كوني عدوانية تجاه البشر؟ حدث ما حدث وانتهى الأمر! إنها حقيقة مفجعة تثير في نفسي الكثير من الحزن والغضب. هل غدوت نوعًا من الحيوانات حتى ينظر إلى ذلك الحقير تلك النظرات القذرة ولا يهدأ له بال سوى بالانقضاض على واقتناص تلك اللمسات منِّي؟ لم أبدِ تذمرًا يُذكَر لأني توجست أن يفعل المزيد. لقد خشيت الذود عن كرامتي ما آلمني كثيرًا. لقد تبدلت حياتي ونظرتي لنفسي تمامًا بعد الحادثتين. غدوت أراها متخاذلة، ضعيفة ومستكينة إلى أبعد الحدود. لن أسامحها أبدًا ما حييت مهما أبدت بعد ذلك من مواقف طيبة. أشعر بالذنب والخزي الشديدين. أشعر أني من جلبت الألم والعار لنفسي لا بطريقة ارتدائي لثيابي كما يزعم أولئك الحمقى وإنما بتخاذلي واستسلامي.

أنا من سيعاني من جراء خطئي الفادح. أنا السبب! شعرت بأن جسدي عاقبني وأني لا أستحق الحياة فيه. لماذا ولدت على هذه الهيئة؟ كرهت جسدي ولا ذنب له. أنا المذنبة إذ تخاذلت عن الذود عنه. أنا من دفنته تحت ركام التخاذل الذي ستبقى ذكراه تطاردني ما حييت.

***

حلم جميلة

شيماء علي محمد

جلست أمام النيل في حالة من السعادة والاندهاش أسترجع حديث ريم عن عادل صديقنا وطلبه للزواج مني..

وظللت أتحدث إلى نفسي كثيراً ولا أكاد أصدق كل ما يدور في ذهني وأتمتم كالمجنونة..

كيف حدث هذا؟ حقًّا أنا؟ لا لا يمكن تصديق هذا؟

لكنه كان يتحدث في الأمر بجدية واضحة ولا يمكنه قول ذلك لمجرد التسلية بالكلام معي فحسب؟

أنتِ تستحقين أن تفرحي وعادل هو من كنتِ تتمنين.

هل تتذكرين تلك المرة الأولى التي تعرفتِ عليه فيها؟ هل تتذكرين ذلك الحلم؟

وظللت هكذا أستعيد بعقلى ذكرياتى قبل أن ألتقى بعادل للمرة الأولى.

ذات يوم استيقظت من نومي سعيدة وفرحة بحلم غريب عن شخص وسيم حسن الطلة أنيق ومهندم جالس بمفرده على طاولة في كافيه وكان مستغرقًا في الكتابة وظلَّ يكتب لساعتين وأنا جالسة أمامه على الطاولة المقابلة جذبتني له

طريقه الجلسة والتركيز في العمل وفجأة رفع رأسه ونظر أمامه فشعرت بارتباك شديد وصرفت وجهي للناحية الأخرى وأنا أنظر إليه بطرف عيني في فضول بالغ وإذ به ينادي على النادل ويتمتم معه بضع كلمات ويشير نحوي، وكتب ورقة صغيرة ثم قام وغادر المكان وكأن الساعة تشير إلى انتهاء هذه اللحظات الجميلة الصامتة ثم أقبل إلى النادل ومعه ورقة صغيرة.

ويقول لي: الأستاذ عادل الذي كان جالسًا هنا ترك لكِ هذه الورقة.

فقلت له: من أستاذ عادل هذا؟ أنا لا أعرفه!

النادل: الأستاذ عادل غلاب المذيع المشهور.

فإذ بي أتناول الورقة من النادل وأفتحها بمنتهى الفضول والشغف لأجد مكتوب بها جملة واحدة غير مكتمل (إنتي روحك حلوة وجميلة أتمنى تكوني.. (

تتمنى أكون ماذا؟ لمَ لم تكمل الجملة؟! وأين ذهبت؟ ولماذا انصرفت سريعًا هكذا؟

واستيقظت من نومي مذعورة سعيدةٌ قلقة متوترة ولدي فضول لأعرف من هو عادل غلاب ومن أين أعرفه؟ فأنا لم أشاهده من قبل! وما هي تكملة الجملة التي كتبها في الورقة؟

فأنا شخصيًا أؤمن بالعلامات فما معنى هذا الحلم الغريب؟

جلست حائرة وإذ بي أسمع صوت ضوضاء خارج غرفتي..

وخرجت من غرفتي على صوت أختي وهي تشاهد التلفاز على قناة للأطفال.

أنا: ندى هل ستظلين هكذا طفلة صغيرة دائمًا.. صباح الخير.

ندى: صباح النور.. نعم الناس هكذا عادةً يلقون التحية أولًا ثم يبدأون بالزعيق.. بابا أخبرني أنه يريدك أن تتصلين عليه بعدما تستيقظين من نومك.

أمسكت بهاتفى واتصلت على والدي..

بالمناسبة أنا جميلة أحمد زين الدين منصور صاحب سلسلة زين منصور للعطارة ومن الذين هاجروا للقاهرة بحثًا عن الحياة المدنية دون التخلي عن الأصول الصعيدية العتيدة وكان محبًا للشعر والأدب وكان مثقفًا جدًّا وحنون وطيب القلب لأقصى درجة.

والدتي توفاها الله بسبب مرض السرطان وكانت صدمة كبيرة لنا جميعًا.

وعاش والدي بعدها لا يعرف في حياته غير عمله وأنا وندى أختي الصغيرة.

أنا: صباح الخير أبي.

والدي: صباح النور يا جميلة.. اسمعيني جيدًا، لا تقومي بالطبخ اليوم، سوف أصطحبك أنتِ وأختك كي نتناول الغداء معًا في مطعمٍ فاخرٍ، ثم نستمتع بقية اليوم خارج المنزل معًا، تغييراً لمزاجنا والجو الروتيني اليومي الذي تعودنا عليه.

لم أتعجب من تصرف أبي ولكني أعلم أنه يريد أن يخفف عني أعباء المنزل حيث أنني أصبحت مكان والدتي بعد وفاتها..

وظلت ندى تبدل بين محطات التلفاز وهي تحدثني: تعالي يا جميلة نشاهد هذا البرنامج الرائع.. برنامج (عيش اللحظة) للمذيع عادل غلاب، سوف يعجبك كثيراً حيث أنه ممتلئ بالتفاؤل والحيوية والحماس.

استوقفني الاسم بشدة عادل غلاب ومذيع هل يا ترى أنا نائمة أم مستيقظة؟!

فذهبت مسرعة لأشاهد البرنامج وإذا بي أقف من هول الصدمة محدثةً نفسي: إنه هو بعينه الذي رأيته في الحلم، يحمل الملامح ذاتها، نفس الشبه ونفس العيون!.. كنت في غاية الاندهاش والاستغراب.

وفي إليوم التالي استيقظت على صوت رنين الهاتف المحمول وكانت ريم صديقتي من أيام الجامعة تتصل بي، استعجبت ذلك كثيراً فمنذ سنة لم تحدثني..

أنا: مرحبًا ريم كيف حالك حبيبتي؟

ريم: كيف حالك يا جميلة، لقد اشتقت إليك كثيراً.

أنا: الحمد لله بخير، ما كل ذلك الغياب؟ أين أنتِ طوال تلك المدة؟

ريم: كنت في سفرٍ يا جميلة وعدت منذ أسبوع، وقد قررت عقد حفلة بمناسبة عيد ميلادي وسوف أدعو فيها جميع أصحابنا من أيام الجامعة، حقًا إننى أشتاقكم جميعًا.

أنا: كل عام وأنتِ بخير يا حبيبتي وعساكِ تبلغين ألفًا من الأعوام.

ريم: حفظك الله لي يا جميلة، حسنًا سوف أنتظرك غدًا في تمام الساعة التاسعة، لا تتأخري ولا تنسي أن تحضري معكِ أختك ندى.

أنا: حسنًا سوف أخبر والدي أولًا وأعلمك برأيه في حضورنا.

وتجمعنا كعادتنا على السفرة وأخدنا نتجاذب أطراف الحديث وقلت في نفسي هذه اللحظة المناسبة لكي أخبره.

أنا: أبي هل تتذكر ريم صديقتي من أيام الجامعة، والتي كنت أذاكر معها؟

والدي: بالطبع أتذكرها فوالدها كان رجلًا في غاية الأدب والاحترام.. ولكن ما الذي ذكركِ بها الآن؟!

أنا: لأنها حدثتني اليوم وقامت بدعوتي أنا وندى لحضور حفل تقيمه بمناسبة عيد ميلادها.

بابا: وأنا أوافق على تلك الدعوة بشرط ألا تتأخروا.

الحقيقة

شيماء علي محمد

في اليوم التالي بدأت أستعد أنا وندى للذهاب إلى حفلة ريم وكان يومًا عجيبًا مليئًا بالحماس فاستيقظت وأنا في حالة غريبة سعيدة جدًّا؛ لأنني سوف أشاهد صديقتي المقربة لقلبي وظللت أستعيد أيام الكلية وذكرياتها وما مررت به من صعاب وأيضًا يوم وفاة والدتي ظلت ريم بجواري لثلاثة أيام لتخفف عني أنا وندى الصدمة وأنها بالفعل أقرب صديقاتي ووصلنا إلى ريم وكان لقاء حميمًا للغاية ودموعًا كثيرة وضحك كثير وقابلت باقي أصدقائنا من دفعتنا، ولكن وقعت عيني على آخر شخصٍ كنت أظن أنني من الممكن أن أقابله هنا ألا وهو عادل غلاب!

نظرت إليَّ ريم متسائلة: مَن هذا الشخص يا ريم؟

ريم: إنه عادل غلاب المذيع المعروف صاحب برنامج (عيش اللحظة) لقد تعارفت عليه في دبي حينما كنت هناك وأصبحنا أصدقاء وهو شخص محترم جدًّا تعالي لأعرّفك عليه.

أنا وفي حالة من الذهول والاستغراب الشديد: لا لا لا غير موافقة.

وجذبتني ريم وذهبنا إلى عادل غلاب.

ريم: عادل.. أحببت أن أعرّفك على أغلى صديقة لي وأختي بحق جميلة.

عادل: مرحبًا بكِ يا جميلة.. ريم لم تتوقف عن الحديث عنكِ منذ أتيت.

جميلة: حقًا.

وعلت الضحكات في المكان وظللت طوال السهرة مندهشة من هذه الصدفة ولم أستطع تفسير الحلم. وظللت في فضولٍ عارمٍ.. أتمنى أن تكوني؟ أن تكوني ماذا؟ أتمنى أن أحصل على الإجابة.

ودقت الساعة معلنة وقت قدوم والدي فاستأذنت ريم وقدمت إليها هديتها وقلت لها والدي سوف يأتي الآن ولنا لقاء آخر إن شاء الله.

حيرة

شيماء علي محمد

بعد عدة أيام من الحفلة وأنا كنت قد تناسيت الموضوع والدهشة والغموض واعتبرتها مجرد صدفة فلا يوجد في حياتي وقتٌ لكي أفكر كثيرًا ولكن حينما أجلس بمفردي يتسلل إلى صورته في الحلم وهو في أبهى صورة له ولكن سرعان ما أفيق وأتذكر أنه مجرد حلم ولكنى هناك شيئًا يجذبني إلى التفكير به.

وبعدها فاجأني والدي بأحلى خبر كنت أتمناه بشدة كنت منهمكة في أعمال المنزل ونادى على أنا وندى

إن شاء الله بعد أسبوع من الآن سوف نسافر لأداء العمرة معًا نحن الثلاثة.

أنا وندى: حقًّا يا أبي هذا هو أجمل خبر سمعناه وارتمينا في أحضانه باكين من شدة الفرحة.

وبدأنا نستعد ونجهز التحضيرات أنا وندى ووالدي من شراء لوزام العمرة بمنتهى السرور وكنا فرحين للغاية وجاء يوم السفر وسافرنا ووصلنا أولًا إلى المدينة ووصلنا الفندق ثم نزلنا قرب صلاة الفجر إلى المسجد النبوي وكنا فرحين جدًّا وكانت روحانيات جميلة جدًّا وشعورنا بالهدوء الروحاني وظللت أدعو كثيرًا لي ولندى ولولدي ودخلنا الروضة الشريفة وصلينا ودعونا الله كثيرًا.

ثم ذهبنا إلى مكة وحان وقت العمرة، وكنت أعلم أنه عند رؤيتي للكعبة

أول مرة لي دعوة مستحابة وعند رؤيتي للكعبة أول مرة كنت في حالة غريبة لا أستطيع أن أوصفها فكنت فرحة جدًّا ولا أكاد أصدق وكانت الدعوة الأولى التي خرجت من فمى يارب اجمعني بعادل على كل خير واستغربت كيف تذكرته وكيف دعوت هكذا، ولكني دعوت وأكملنا الطواف وأنا أدعو لنفسي ولأختي ولوالدي ولعادل إحساسي به كان شديدًا في هذا المكان الطاهر وأنا في العمرة وأتممت الطواف ثم ذهبنا إلى السعي وظللت أردد نفس الدعوات حتى أتممت السعى وكنت في حالة شديدة من السعادة تلك هي المرة الأولى التي تغمرني فيها تلك المشاعر الجميلة وصلينا ثم ذهبنا إلى الفندق نحل من أحرامنا ونستريح قليلًا.

وظللنا خمسة أيام ثم رجعنا وكانت ريم في انتظاري في المطار وكنت فرحة جدًّا لرؤيتها وتجاذبنا أطراف الحديث وقالت لي شيئًا غريبًا على مسامعي ولكنه ليس بغريب على قلبي فكنت أشعر بشيء ما داخلي وأنَّ الله سوف يتقبَّل دعواتي فقالت لي.

ريم: أريد أن أخبرك أمرًا على أن يظلّ سرًا فيما بيننا، هل تتذكرين عادل غلاب المذيع يريد مقابلتك ليحدثك في موضوعٍ ما.

أنا: أي موضوع هذا؟!

ريم: لا أدري تمامًا ولكني أشعر بأنه يريد أن يتقدَّم لخطبتك حيث أنه لم يتوقف عن الحديث عنكِ قَط منذ يوم تلاقيتما في حفلة عيد ميلادي وأصبح دائم السؤال عنكِ وأنا أخبرته أنكِ في عمرة وقال لي اسأليها أن تدعو لي ولكنني بالطبع لم أخبرك بشيءٍ كهذا الأمر.

أنا: فضحكت.

ريم: علام تضحكين؟!

أنا: ليس على شيء، أنا متعجبة فحسب.

ريم مندهشة: حسنًا ماذا قررتِ إذًا، هل أخبره بموافقتك؟

أنا: بالطبع لن أقوم بمقابلته ولا يمكن أن أفعل شيئًا كهذا دون عِلم والدي؛ فأنا لا أجرؤ على فعل شيءٍ خاطئٍ دون علمه ومعرفته.

ريم: حسنًا ولكن ماذا إن كانت توقعاتي في محلها، ستكونين قد ضيعتِ تلك الفرصة من بين يديكِ يا بلهاء!

أنا: لو كان هو من نصيبي وقدري فسوف ييسر الله لي ذلك الأمر، جميعنا كفتيات نريد أن نشعر بالحب وأننا مرغوبٌ فينا فنحب ونُحَبّ ونجد سندًا لنا نرتمي في أحضانه يوم أن تضيق بنا الدنيا وحالها.

وأدرت وجهي أنظر إلى الطريق وأنا مبتسمة ولكن بداخلي راحةٌ كبيرة وقلبي يرقص من الفرحة.

شعور جميل حينما تشعر برضا الله عليك وأيضًا استجابة الدعاء فورًا.

وبعد يومين حدثتني ريم وقالت إن عادل يبعث لكِ برسالة معي وسوف أحضر اليوم كى أسلمها لكِ.

وجاءت مساءً وذهبنا لمكان نجلس فيه قريبًا من النيل ومعها الرسالة وفتحتها بسرعة ووجدت مكتوب فيها)إنتي روحك حلوة أوي وجميلة، أتمنى تكوني شريكة حياتي.

ونظرت إلى الورقة بمنتهى الدهشة، وأخيرًا استطعت أن أعرف بقية الجملة التي في الحُلم وأن الله كان يخبرني في تلك الرؤية بأن هذا الشخص هو من نصيبك يا جميلة وكنت سعيدة ومرتاحة جدًّا.

ريم: هل أخبره بموافقتك؟

أنا: ضحكت وهززت رأسي معلنة الموافقة.

ريم: حقًّا موافقة.. أنا سوف أحدثه كي أخبره الآن.

أنا: وكنت في ملكوتٍ آخر من التفكير والسرحان ونظرت إلى السماء: شكرًا يارب.. الحمد لك على نعمك الكثيرة الحمد لله..

فرحة ولكن

شيماء علي محمد

ريم تتصل بعادل لتخبره بموافقتي متحدثةً له بمنتهى الحماس.

ريم: مرحبًا عادل.. كيف هي أحوالك يا عريس؟

عادل في صدمةٍ من الفرحة: حقًا يا ريم؟!

ريم: نعم هذا حقيقي وأنا جالسةٌ معها الآن.

عادل: هل يمكنني أن أحدِّثها؟

وأنا ما بين استنكار وحياء وفرحة.. مشاعر مختلطة ولكنها جميلة في الوقت ذاته.

بمنتهى الخجل والرقة: مرحبًا.

عادل: مرحبًا يا جميلة، حقًا إنني في غاية الفرح ولا أدري ماذا أقول، لم أستطع نسيانك منذ رأيتك، قطعًا لن أجد أفضل منكِ خلقًا وتربية، من بيتٍ طيبٍ وأسرةٍ طيبة، أنتِ مَن ستحافظين عليَّ وعلى بيتي.. جميلة أنا أحبك.

وأنا في منتهى الخجل ولم أستطع الرد

الحب ليس حلوًا فحسب، بل هو أجمل شيءٍ خلقه الله لعباده رزقٌ وهبة منه لنا كي نستطيع الحياة.

عادل: متى يمكنني مقابلة والدك؟

جميلة: سوف أسأله وأبلغك الموعد الذي يناسبه.

عادل: حسنًا، ستجدين رقم هاتفي مع ريم.

وانتهت المكالمة وعدتُ إلى المنزل وكنت أفكر كيف سأخبر والدي ويا تُرى كيف سيكون رده ولكني شجعت نفسي بأني سوف أخبره بمنتهى الصراحة بما حدث ولم أشعر بنفسي من كثرة التفكير إلا ويوجد صوت طَرقٍ على باب غرفتي.

والدي: هل أذنتِ لي أدخل يا جميلة؟

جميلة: بالطبع يا أبي تفضل بالدخول

والدي: فتاتي الجميلة كيف حالها؟

جميلة: الحمد الله.. بخير يا أبي

والدي: أنا أفهم ابنتي جيدًا، حينما يشغل بالها وعقلها أمرٌ ما.. ما بكِ احكِ لي

جميلة: دون أن أتفوه بكلمة واحدة ارتميت في حضنه وظللت أبكي

ربَّت عليَّ وظلَّ يحتضنني كثيرًا دونما كلام.

وبعد ما انتهينا جلسنا نتحدث سويًّا.

قال لي: ما بكِ يا حبيبتي؟

أبي هل تتذكر عادل غلاب المذيع صديق ريم الذي حدثتك عنه قبل ذلك؟

والدي: نعم بالطبع أتذكره.

جميلة: اليوم أرسل لي مع ريم يبدي رغبته في الزواج مني، ويريد أن يحصل على موعدٍ معك حتى يتقدم لخطبتي.

والدي بابتسامة جميلة: هل هذا ما يجعلك تبكين؟

جميلة: أنا كنت أبكي لأنني لم أكن أصدق لماذا ظهور هذا الشخص بالأخص في حياتي ولماذا يختارني أنا دونًا عن جميع مَن حوله من الفتيات كي يتقدم لي؟!

والدي: لأن الله يحبك ويريدُ لكِ أن تفرحي، وعادل شخصية مكافحة واسمه جميع الناس تشهد به كما أنه إنسان على قدرٍ عالٍ من الاحترام وذو خلق وعلى تربيةٍ حسنة جعلته يأتي إليك ليطلبك من بيت أهلك دون أن يفكر في التلاعب بمشاعركِ خارجه، ولذا فأنا موافق عليه جدًّا.

هل تعلمين.. سوف أخبرك سرًا.. هل تعلمين حينما ذهبنا إلى العمرة بماذا كنت أدعو؟

جميلة: بماذا دعوت يا أبي؟

والدي: كنت أدعو أن يكون عادل هذا من نصيبك ويسعد قلبك.

أنا تفاجأت من حديث والدي وذهلت ولم أدرِ هل أخبره بأن أول دعوة لي أمام الكعبة كانت "اللهم اجمعني بعادل" أم أخبره بحلمي به قبل حتى أن أعرفه أو ألقاه.

قال لي: اذهبي كى تحدثيه وتخبريه بأن يأتي غدًا السابعة مساءً، فستجدينه ينتظر مكالمتك بفارغ الصبر.

رحلة العمر

شيماء علي محمد

وبالفعل قمت بإبلاغ ريم بالخبر وكادت تطير فرحًا كأنها هي العروسة ولست أنا.

أنا: حينما أمسكت بهاتفى كي أتصل عليه وأخبره بالموعد المرتقَب، قام بالرد على الفور وكأنه كان ينتظر تلك المكالمة في لهفةٍ وشوق.

عادل: خيراً أفرحيني.

جميلة: حسنًا، والدي يخبرك بأن تشرفنا غدًا في تمام الساعة السابعة مساءً.

وشعرت بهاتفي لشدة فرحة عادل ويكأنه يتراقص فرحًا وسعادة، ولا يوجد على فم عادل سوى كلمة أحقيقي هذا؟

عادل رجل على قدرٍ من المسئولية والأخلاق، غير أنني حينما رأيته للوهلة الأولى فقد تهت فيه بحقٍّ، وكاد قلبي أن يلمس الأرض، فقد كنت أتمنى أن أجرب الحب وأطير فرحة به.

خرجت إلى والدي فوجدته يستمع إلى أغنية فأمسك بيدي ورقصنا سويًّا بما يعرف بـ (الرقص السلو) وكان في غاية الفرحة والسعادة.

والدي بالنسبة لي هو أغلى من حياتي كلها، وبينما نحن كذلك نتراقص في فرحة عارمة إذ دخلت علينا ندى: ما كل هذا، أخبروني كي أفرح معكم، ما الجديد؟

والدي: أختك صارت عروسة.

ندى: حقًا؟ مباركٌ عليكِ.. مَن هذا الذي دعت عليه أمه؟! وأخذت تضحك، ثم أردفت بالطبع لا من سعيد الحظ هذا؟ ولا تقل لي عادل غلاب.. صحيح؟!

والدي: هو عادل بالفعل.. كيف عرفتِ هذا؟!

ندى: إممممم أنت لم تره وهو ينظر إليها كل لحظة في احتفال ريم بعيد ميلادها.

جميلة: يكفى هذا يا ندى وخجلت جدًّا من أبي.

والدي: كفى.. ست البنات خجلت يا ندى.

وبعد السهر والضحك والمرح دخلت غرفتي كي أتوضأ وصليت ركعتين أشكر ربي على نعمه عليَّ وعلى رزقه وحلمي الذي يتحقق ودعواتي في الكعبة بأن يحفظ لي والدي وندى ونمت الحمد الله فرحة وسعيدة للغاية.

في اليوم التالي اقترب موعد حضور عادل وأنا أقوم بتجهيز نفسي بينما تقوم ندى ببعضٍ من الغمز واللمز هي وريم في جوٍ من الفرحة والسعادة والضحكات العالية الصاخبة.

ندى: أنا غير قادرة على تصديق أنه سيأتي يوم وتغادرينا وتذهبين إلى بيتك.. أنتِ تعنين لي أختي وأمي وكل شيء.

وجدت نفسي أرتمي في حضنها.. كفاك سخفًا وحماقة، فأنا لا يمكنني أبدًا أن أتركك أنتِ ووالدي.

وتلقيت هاتفًا من عادل يخبرني أنه قد اقترب من المنزل.

ذهب والدي يستقبل عادل ومعه والدته وجلسوا يضحكون قليلًا وندى وريم تمرحان معهم قبل البدء في أي حديث.

وأنا دخلت وسلمت عليه وعلى والدته التي كانت الفرحة تغمرها منذ رؤيتها لي وضمتني إليها في حضنها كأنها تعرفني منذ زمن، وقدمت إليهم أكواب العصير.

والدي: قال لي فلتجلسي معنا يا ست البنات.

عادل قال له بدون مقدمات كثيرة: يا عمي أنا أبتغي خطبة جميلة وكم يسعدني وأتمنى موافقتك.

والدي قال له: الأهم هو موافقة صاحبة الشأن.

ولكني أريد أن أخبرك شيئًا هامًا يا بني.. جميلة هذه قطعة منّي بل هي حياتي كلها، لا بُدَّ أن تعدني بأنك سوف تحافظ عليها فهذا هو أهم لدي من كل التفاصيل، لا تكسر قلبها يومًا أو تحزنها.

عادل: بالطبع يا عمي جميلة هذه في عيني كما هي في قلبي.

والدته: فلتخبرني يا حاج ما هي طلباتكم فما تطلبونه من عادل سيكون جاهزًا به بإذن الله.

والدي قال لها: يا أم عادل ابنك سيتزوج جوهرة، لذا أنا لا أريد منه أكثر من أن يحافظ عليها ويصونها، فليس الأثاث ولا بعض من تلك الحاجات هي التي سوف تحافظ على ابنتي هو عادل فحسب من بيده أن يسعدها.

انتهت جلستنا على خيرٍ وقُمنا بقراءة فاتحة الكتاب والحمد لله واتفقنا أن نعقد البناء والعرس بعد شهرين حيث أن كُلَّ شيءٍ جاهز، وعلى أن نقوم بعقد حفلة عائلية هنا في المنزل نهاية الأسبوع القادم نرتدي فيها ما يعرف بـ (دبل الخطوبة).

بعد انتهاء يوم الخطوبة كنت فرحة للغاية وجلست أتحدث مع أبي بخصوص لوازم المفروشات وغيرها كي أستشيره وأتخذ رأيه، وقلت له إن عادل ووالدته حقًا أسرة جميلة وفي غاية الذوق والاحترام.

والدي: بالطبع يا ابنتي عسى الله أن يفرح قلبي بكم قريبًا فأنا لن أعيش لكم طوال العمر وأريد أن أطمئن عليكما قبل...

وهنا قاطعته قائلة: يا أبي، ربنا يبارك لنا في صحتك وعمرك وتفرح بي وبندى وبأحفادنا كذلك.

قالت ندى مقاطعة هذا الحديث الدرامي: ما لكم جعلتما الحديث دراميًا هكذا، نحن نريد أن نفرح فحسب الليلة.

وانتهت هذه الليلة السعيدة التي تعتبر بداية جديدة لي فاشعر بفرحة تارة والقلق من المجهول تارة أخرى والاطمئنان بأني سوف أرتبط بإنسان محترم أشعر معه بالارتياح والأمان.

وتم بحمد الله العرس، أقيم في أفخم الفنادق وسط فرحة عارمة من كل المدعوين وسعدنا معهم وبهم ووالدته كانت من أسعد الناس بنا واعتبرتني ابنتها التي لم تنجبها حتى إنها أوصت عادل بي واعتبرتها عوضًا لي عن أمي.

آخر اليوم قالت لوالدي: جميلة هي ابنتي وأصبحت فردًا من العائلة.

قبّل والدي رأسي: مبارك عليكِ يا ست البنات.

وانتهى اليوم وذهبنا إلى بيتنا الجديد وأنا أحمد الله على هذه الفرحة الكبيرة في حياتي وعوضه لي عن كل لحظة ألم وحزن شعرت بها وبدأت حياتنا الجديدة بالحب والتفاؤل.

وصلينا ركعتين حمدًا لله وأن يبارك لنا في حياتنا

عادل: يا جميلة أنتِ نعمة كبيرة جدًّا، حقًّا لو ظللت أشكر الله كثيرًا عليها غير كافٍ أن أوفيكِ حقك

شكرًا يا حبيبي حفظك الله لي ولا يحرمني منك البتة.

وتفاجأت بعادل يخبرني عن رحلة عمرة تجمعنا آخر الشهر ودمعت عيني من الفرحة لتحقيق أمنيتي بزيارة الكعبة أنا وعادل معًا.

كم هي بسيطة تلك الحياة وجميلة عندما تشارك فيها كل لحظة مع إنسان تحبه ويحبك من قلبه كم يهون عليك كل هذا الألم والحزن الذي عشته قبل أن تعرفه، فيكون هذا عوضًا لك من الله عز وجل الحمد لله.

***

لن نكون معًا

نانسي عزمي

ماذا سيحدث إذا استيقظت ولم يكن هناك أحدٌ لا بشر ولا طيور ولا حيوانات. كنت سآخذ إفطاري ثم أصعد في سيارتي لأسافر إلى مرسى مطروح لأقف أمام البحر وأجدك هناك تنتظرني لنكون آدم وحواء وحدنا في هذا الكون الواسع ليتوقف الزمن لنتعرف على بعض لنبحث عن السعادة سويًّا بعيدًا عن العادات والتقاليد والمجتمع فقط أنا وأنت. كل يوم أستيقظ بهذا الحلم الذي أتمناه أن يحدث منذ أن رأيتك وتعرفت عليك كنت الضحكة الكنت بنتظرها لتلئم جراحى المفتوحة فأنا لست إلا امرأة ضلت طريقها بزواج لم ينجح فخرجت منه بطفلين مهزومة المشاعر فاقدة لنفسي وذاتي، وما أدراك أن تكون امرأة مطلَّقة في وطن كوطني ومجتمع كمجتمعي لا يرحم المرأة إذا فشلت في زواجها فقط هي وحدها من تحتمل عبء فشل الزواج وتربية الأطفال ومصاريفهم حتى لو كان الرجل مخطئًا فالمجتمع لا يعترف بخطئه؛ لأن الرجل لا يخطئ ولا يفشل ولا يحتمل أخطاءه؛ فقط المرأة هي من تأخذ هذا العبء هي من يجب أن تنسى أنها امرأة فقط هي أم يجب أن تهتم بأولادها من جميع النواحى إلى أن تنهار تمامًا ولا تجد أحدًا يساندها معنويًّا لتستطيع أن تتخطى هذه المرحلة من حياتها فهي من أخطأت وهي من عليها أن تتحمل وتدفع ثمن خطأ لم تفعله مهما كان سبب فشل الزواج فالمرأة لا تجد من

يفهمها أو يحس بها أو من يطبطب عليها إلى أن رأيتك وبدأت أتذكر أني امرأة وبدأ قلبي يدق دقات سريعة مسموعة وفي لحظة رؤيتي لك لقد تفاجأت بأنك شاب صغير في السن وجميل ولك عيون ملونة تجعلني أنسى نفسي، أنا تفاجأت لأني توقعت أن يكون معلم الموسيقى كبيراً في السن وليس صغيراً ومن حسن حظي أن ابنتي أحبت نفس الآلة التي أحبها؛ الجيتار ومن أول يوم كنت ودودًا معي كأنك تعرفني من سنين، حتى ابنتي أحبتك لطيبتك وحنيتك معنا وبدأت الراحة النفسية تدخل حياتي، وساعدني وجودك وروحك الحلوة على مسامحة الماضي، وبدأت أنظر للمستقبل بنظرة تفاؤل تم فتح باب حجرة السعادة وبالرغم من فارق السن الكبير بيني وبينك لأني أكبر منك ب7 سنين ولكن عمرك ما حسستني بفارق السن لطالما أحسست أنك أكبر مني باحتوائك الحنون لي وتفهمك لظروفي وحبك لأولادي فكيف لي ألا أقع في حبك ومنذ هذه اللحظة أصبح يوم الدرس هو يوم عيدي وذات يوم ضايفتني بكوباية شاي على الرغم من أني أشربه من غير سكر إلا أنه كان أحلى كوباية شاي شربتها في حياتي، وبدأت أحاديثنا تتعمق وتحكي لي كل شيء يخصك وعن هذه العروس التي جلبتها إليك أمك ولكنك رفضتها لأنها ليست الفتاة التي تتمناها وعلمت بداخلي أنك تتمنى أن أكون لك وحدك إلى أن جاء اليوم الذي اكتشفت فيه ما شدني إليك أكثر وهو صوتك فعندما جاء ميعاد الدرس وأنا أدخل من باب السنتر أتاني صوتك وأنت تغني لوائل جسار أغنية النهاية واحدة وكان صوتك مفعمًا بالأحاسيس وجعلني أحس أنك تحتضني بصوتك وتحملني لعالم آخر غير عالمنا الذي نعيش به وزادت سعادتي عندما علمت أنك ستقيم حفلة غنائية وستغني فيها وحدك وبذلك أعطتني يومًا آخر سعيدًا في حياتي، وعندما اشتريت منك التذاكر نظرت في عينيّ بعمق وقلت لي: انتظر حضورك وأصر عليه بشدة ومافيش أعذار فقلت له: أكيد سأحضر ما أقدرش ما أحضرش وعندما أتى يوم الحفلة تأنقت واستعددت بفستان حريري لونه أحمر

وصندل كعب متوسط واهتممت بنفسي كأنثى للمرة الأولى منذ زمنٍ بعيدٍ وكان هذه الحفلة أعادتني للحياة مرة أخرى ومن داخلي كنت أعلم أن كل أغنية موجهة لي أنا ترسلها لي كرسائل خفية لتقول فيها كم أنت تحبني وأنك تبادلني نفس الشعور وعندما رأيت نظرة عينيك لي في الحفلة نظرة انبهار وإعجاب بشكلى فزادت سعادتى ولكن كانت هناك جملة توجع قلبي فأنا أعلم (لا يمكن أن نكون معًا) فليس لي إلا أن أسرق لحظات أو ساعات من الزمن لأكون فيها معك وكان أكثر شيء يحزني أنك لا تحادثني في الهاتف ولا أعلم السبب إلى أن جاء اليوم الذي أجد فيه هاتفي يرن وأجدك أنت المتصل من كثرة سعادتي وقفت أنظر للهاتف غير مصدقة نفسي أنه فعلاً أنت، إلى أن أجبت الهاتف وأجدك تحادثني بسعادة طاغية تقول لي: إوعى تلغي حصة اليوم أريدك أن تأتي وعندما تأتي لا تذهبي إلى أي مكان فقلت له وأنا أضحك: حاضر لن أذهب إلى أي مكان فعلمت أنه فهم أني أحاول أن أتهرب منه لأهرب من إحساسه الطاغي الذي يحاوطني من كل جهة، وبالفعل استعددت وتأنقت بفستان صيفي مليء بالورود والفراشات وذهبت له، وعندما رآني لمعت عيناه وقال لي: ادخلي ادخلي، فستانك حلو قوي ياريتك تلبسي فساتين أكتر بتبقى حلوة عليكي.

وخجلت كثيراً لكلامه ودخلت وأنا أنظر في الأرض من خجلي الشديد وكانت حفلة جميلة استمتعت فيها كثيراً. وعندما حان ميعاد ذهابي رأيت الحزن في عينيه وأصر عليَّ أن أبقى قليلاً ولكن للأسف كان يجب عليّ الذهاب وأنا أشكر الله على هذه اللحظات التي أكون فيها معك وأنا أعلم جيدًا أننا لن نكون معًا وكان أكثر شيء يشدني إليه دفاعه عني ووقوفه الدائم بجانبي. وبعد أن مر كام أسبوع حدث عراك شديد بالكلام ووصل إلى التشابك بالأيدي وأنا خفت عليه كثيراً فذهبت إلى عنده وظللت أحاول تهدئته، إلى أن حاولت أفصل بينهم ولكن الرجل دفعني بشدة وهو غاضب لأسقط على الأرض فزاد غضب إبراهيم وأنا أحاول أن

أنهض رأيت إبراهيم وهو يمسك ياقة الرجل ويضربه بشدة وعنف فذهبت إليه ووضعت يدي عليه وقلت له: اتركه أرجوك كفاية كده. إلى أن تركه وقام الرجل وهو يهدده بكلام كتير إلى أن ذهب ونظر لي إبراهيم نظرة غضب واستنكار لما فعلته وقال لي: مين السمح ليكي بالتدخل إنتي مش شيفاني راجل كفاية إنتي مش أمي علشان تحميني دا دوري أنا. أنا مش قادر أسامحك على تدخلك ده. وأجبته وأنا تخنقني دموعي: أنا آسفة لم أقصد أن أتدخل وأحزنك. بجد أنا آسفة أرجوك سامحني أنا عملت كده لأحميك منه كنت خايفة عليك وغصب عني ما قدرتش أمسك دموعى فنزلت على وجهي. وعندما رأى دموعي فزاد غضبه وقال: هعمل إيه بأسفك أنا كنت هقتله لأنه دفعك على الأرض فقلت: أنا آسفة وماقدرتش أقف أمامه أكتر من كده وذهبت إلى المطبخ لأعمل له كوب ليمون لتهدئته وأعطيته له وأنا أقول: أرجوك أن تهدأ، لن أفعلها مرة أخرى أنا آسفة ولكن اهدأ.

إبراهيم: منى اذهبي من أمامي حالاً لا أريد أن أراكِ الآن.

منى: لم أستطع أن أنطق بكلمة فأخذت حقيبتي وذهبت لأجلس في سيارتي. لأنهار في بكاء شديد لخوفي عليه وخجلاً من نفسي لأني فضحت نفسي أمامه وأمام الجميع في المكان. في حين بالداخل كان إبراهيم يحاول أن يهدأ إلى أن اقتربت منه أستاذة فاطمة التي تعطي دروس الرسم لتقول له: لقد قسوت عليها بشدة هي فعلاً كانت خايفة عليك إن الراجل يئذيك وكمان منهارة زيك وأكتر ياريت ماتكونش مشيت أنا هاروح أشوفها وأطمن عليها.

وعندما خرجت فاطمة رأت منى وهى منهارة في البكاء وعادت إلى ابراهيم لتقول له ما رأت.

فاطمة: لقد رأيت منى وهي تجلس في السيارة ومنهارة في البكاء أرجوك اذهب إليها لتهدأ مش هينفع تسيبها تروح كده .جلس إبراهيم على مقعدة وهو

يخبئ وجهه بيديه ليلم شتات نفسه ثم قام وذهب إلى المطبخ ليأخذ زجاجة مياه وأخذها وذهب إليها وعندما خرج إبراهيم ورأى منى بهذه الحالة أحس بوخزة في قلبه لقد تألم لأنه رآها هكذا ثم دق على شباك السيارة ثم فتحت له باب الشباك فقال لها: اشربي قليلاً من الماء لتهدئي وبلاش تعملي كده تانى فاهمة. منى: حاضر مش هعمل كده تاني.

إبراهيم: شاطرة اشربي الماء واهدي اتفقنا؟

منى: اتفقنا.

ذهب إبراهيم ليجلس في الكرسي بجانب منى إلى أن هدأت وأعطت له زجاجة المياه ثم قالت له: سأذهب لأني تأخرت.

وبعد هذا الموقف توطدت العلاقة بيني وبين إبراهيم علاقة صداقة في الظاهر وفي باطنها حب غير معلن لأنه لا يمكن أن نكون معًا. إلى أن جاء يوم قبل عيد ميلادنا بيومٍ نعم لا يوجد هناك خطأ بل صدفة لا تتكرر فتاريخ ميلادنا واحد في نفس اليوم وفي نفس الشهر والاختلاف في سنة الميلاد فقط وتفأجأت منى بمكالمة من إبراهيم: ألو، إزيك يا منى أخبارك إيه.

منى: الحمد الله أنا بخير ماتقولش إنك هتلغى الحصة.

إبراهيم: لا ما اقدرش ألغيها أنا بتصل علشان نِفسي نقضى عيد ميلادنا سوا مع بعض لوحدنا إيه رايك؟

بعد هذه الجملة لم أعد أسمع سوى دقات قلبي وهي تدق بشدة من الفرح وبعد أن طال صمتي لخجلي الشديد منه سمعته يقول: ألو منى إنتي لسه معايا.

قالت منى: أيوه يا إبراهيم أنا معاك وطبعًا موافقة قول لي هنروح فين. إبراهيم المكان مفاجاة اعملي حسابك هنفطر ونتغدا سوا.

وبكل خجل قلت: حاضر هنتقابل فين؟

فقال لي: اتركي سيارتك في جراج مول العرب وأنا هاخدك من هناك الساعة 9 صباحًا.

منى: اتفقنا مع السلامة.

إبراهيم: مع السلامة.

وبعد ما أغلقت الهاتف مع إبراهيم كانت الفرحة لا تسعني وفتحت دولابي لأقلب في فساتيني لأعلم ماذا سألبس إلى أن استقررت على فستاني الشيفون الأصفر المليء بالورد الأحمر ثم وضعته على الكرسي وذهبت لأنام واستيقظت في اليوم التالي الساعة 7 صباحًا وذهبت لأستعد للفرحة القادمة لليوم الذي لن أنساه في حياتي ووصلت جراج مول العرب ورأيته هناك ينتظرني أمام سيارته وهو في أبهى صورة ولم أستطع أن أشيح بنظري عنه وصعدت معه في سيارته وذهبنا إلى مقهى على النيل للإفطار وأكلنا ونحن نتحدث عن كل شيء وبكل سلاسة وبراحة نفسية كبيرة ثم انتهينا من الإفطار ثم غادرنا المقهى لنذهب إلى مكان به غناء كاريوكي ورقص وأصر على أن أغني وقلت له: أنا فعلاً بحب الغناء جدًّا ولكن صوتي سيء جدًّا.

وقال إبراهيم: أنا مُصر لازم تغنيلي أغنية.

وأمام إصراره وافقت وقررت أن أغني أغنية أنغام يا ريتك فاهمني وغنيت الأغنية بكل إحساسي لتصل الأغنية إلى قلبه ويفهم ما في قلبي له من حب. وعند انتهائي من الغناء سمعت تصفيقًا قويًّا منه فضحكت بشدة وسعادة فقلت له: إيه رايك في النشاز ده.

إبراهيم: لا ما تقوليش كده صوتك مش وحش خالص أنا اللي عجبني أكتر من صوتك اختيار الأغنية عرفتي منين إني بحب أنغام؟

منى: قلبي كان حاسس إنك بتحبها. وفجأة اتغيرت الموسيقى إلى موسيقى رقص هادئ وقال لي: تسمحيلي بالرقصة دي. وبكل خجل وأنا أنظر في الأرض وافقت فمسكني من يدي وشدني إليه ووضع يدي على ظهري ووضعت يدي على كتفه ولكم تمنيت ألّا تنتهي هذه اللحظة أبدًا وأظل أشم رائحة عطرة وأستمد قوتي منه، إلى أن انتهت الموسيقى واستيقظت من تأثير الموسيقى لأراه ينظر لي نظرة لن أنساها أبدًا، ولأول مرة أرى ما يحاول أن يخفيه في عينيه ثم تمالك نفسه وقال لي: أكيد جعتي هيًّا بنا نذهب للمطعم للغداء. فقلت له: هيًّا بنا لنذهب. وعدنا إلى أكتوبر لنأخذ الغداء هناك لأكون قريبة من بيتي. وتناولنا الطعام ونحن هادئان قليلا الكلام من تأثير المشاعر التي بداخلنا وعند انتهاء الغداء قررنا تبادل الهدايا وأعطيته هديته وأنا أقول له: كل سنة وإنت طيب. وكانت ساعة وجرافتة ومحفظة ومعها أنواع الشيكولاتة اللي بيحبها وأعطى لي هديتي وكانت شيكولاتة وإيشارب وقال لي: حتى تتذكريني دائمًا وقلت له: أنت لا يمكن نسيانك.

ثم نظرت في ساعتي وقال لي: حان ميعاد ذهابك يا سندريلا.

فضحكت وقلت له: آه حان ميعاد ذهابي يا أمير.

فضحك وقال: إذًا هيًّا بنا يا سندريلا لنذهب. وضحكنا سويًّا وصعدنا إلى السيارة لنعود إلى سيارتي. وعندما وصلنا إلى سيارتي قال لي: مش عارف أشكرك إزاي دا أحلى عيد ميلاد مرّ عليا فقلت له: أنا المفروض أشكرك لأنك رجّعت الروح تاني ليّا.

فقال إبراهيم: إيه رأيك نوثق هذه اللحظة بصورة تجمعنا.

فقلت: موافقة. وأخذنا صورة سيلفي وكانت الصورة جميلة جدًّا ويطغى عليها السعادة.

ثم أخذ لي صورة وحدي ليحتفظ بها وودعتة وذهبت إلى سيارتي وأنا أطير

من السعادة وتكاد قدمي لا تلمس الأرض ويا ليت كل أيامي الماضية والقادمة تكون مثل هذا اليوم ولكن للأسف لن نكون لبعض. وعندما كان إبراهيم يذهب بسيارته كان يحس بسعادة طاغية وبأسف شديد وهو يقول لنفسه لن نكون لبعض.. ولكن بإرادتنا أو من غير إرادتنا نقع في الحب والعشق وأشم رائحتك من بعيد فتشدني إليك فأتذكر احتياجي لك وأنسى كل ما حولي حتى اسمي ثم أذهب إليك حتى تدعس قدمي على خط الحدود فأتكهرب وأتذكر وأعود للوراء ودموعي على خدي.

وما زال الحب باقيًا في قلوبنا وظللنا هكذا نخطف لحظات من الزمن ثم نقول لن نكون لبعض، وبالرغم من الفوارق التي بيننا إلا أنه استطاع أن يمتلكني بشخصيته الحنونة وبتفهمه وأنا امتلكته باحتوائي وفهمي له ولكنه لا يمكن أن يخطو نحوي، ولا أنا يمكن لي أن أخطو له ولذلك يظل الوضع على ما هو عليه، ويظل المجتمع كما هو بدون تغيير ولن نكون معًا.

منى: ولكني سأظل أحبك وسأظل معك.

إبراهيم: ولكني سأظل أحبك وسأظل معكِ.

ولن نكون معًا

***

أمل طالب

صلاح عبد الله

لفحت نسمة هواء وجه "عمرو" وكان يجلس في ثالث صف في حافلة الركاب وحملت تلك النسمة رائحة عطرة ممتزجة بحضور أنثوي رقيق يأتي عن يمينه من الحسناء الجالسة بجواره، مما داعب إحساسًا غريزيًّا بالسعادة ينبعث ربانيًّا من داخله بلا أي نوازع للنفس أو سوء للنوايا، ولم ينغمس كثيراً في هذا الإحساس، واستفاق على حيرة بسيطة فهل القادمة هي محطته المنشودة أم لا؟! نظر يمينًا ويسارًا فوجد النيل يظهر من الجانبين فتمتم متسائلاً:

- أين نحن الآن بالضبط يا ترى؟

فجاءه الرد بنفس نبرة التمتمة الهادئة من عن يمينه:

- هل أستطيع مساعدتك؟

- أشكرك، لكن هذه أول مرة أعبر فيها النيل فلا أميز الاتجاهات.

- تعبر النيل..! لقد كبرت الموضوع جدًّا (قالتها ببشاشة بغرض تهدئته قليلاً)

- أنا آسف هذا شعوري حاليًا (رد بابتسامة وفعلاً شعر بالراحة)

- أين هي وجهتك؟

- محطة الجامعة.. جامعة القاهرة..

- جميل باقي لك محطتين.

- أشكرك هل وجهتك الجامعة أيضًا؟

- أنا؟! أشكرك على مجاملتك الرقيقة لكن هل أبدو لك أني ما زلت طالبة؟

- حقًّا لا أدري، أنا نجحت في الثانوية العامة وهذه أول مرة أتجه فيها للجامعة.

- إممم من الممكن أن تكوني أكبر مني لكن بمقدار بسيط..

- لا يا أستاذ يا جامعي أنا لست طالبة أنا أنهيت دراستي الجامعية منذ سنتين وحاليًا موظفة في شركة تقع بعد الجامعة (قالتها بمزيج من السرور والابتسام).

- جميل جدًّا اعتقدت أن بعد الجامعة لن أجد وظيفة، كلما أتابع الأخبار أو أصادف نماذج من العائلة أو أخوات أصدقائي أسمع ما شابه.

- أبدًا.. ومن يدري! المستقبل في علم الله فقط، لكن بما أنك طالب فكن طالبًا واجتهد وتثقف واقرأ كثيرًا واعرف عن كل الأشياء قدرَ ما تستطيع، ما هي كليتك؟

- التنسيق رشحني لكلية الحقوق. (قالها بتفاؤل ونبرة من يتشبث بالواقع ولا يعترض عليه) وما هي الكلية التي تخرجت منها؟

- أنا حصلت على البكالوريوس من كلية التجارة قسم محاسبة فالأرقام والحسابات باتوا أصدقائي، وأعمل محاسبة أيضًا في شركة إلكترونيات.

- إذا حينما تحتاجون محاميًا أنا في الخدمة مجرد أربع سنوات وأكون تحت أمركم (قالها ضاحكًا وهو يتطلع إلى الطريق كمن يخشى أن يفقد محطته).

- لا تقلق تمر السنون سريعًا، لكن الأهم هو الاستفادة، أنت عليك أن تجتهد وظني بك أنك ستنجح.

- شكرًا على تفاؤلك وعلى ثقتك فيّ، هل أستعد للنزول أم أنتظر؟، سألها وهو يتبين ملامحها الشابة ووجهها الضحوك وكأنه لا يريد لهذه المحادثة أن تنتهي.

- نعم استعد لقد دنوت، محطتك القادمة انهض يا طالب (قالتها بنبرة أنثوية حازمة وباسمة في الوقت ذاته).

- أشكرك جدًّا أنا اجهدتك جدًّا، تشرفت بلقائك أنا "عمرو" هل ممكن أسألك عن اسمك؟

- عفوًا لم أفعل شيئًا، وفرصة سعيدة، أنا اسمي "أمل".

تحرك "عمرو" واقفًا واتجه إلى مكان النزول، ونظر للأمام فوجد قبة الجامعة بشكلها المهيب على مرمى البصر، ووجد الطريق أمامه مرصوفًا والحافلة تنطلق بسلاسة فتطلع إلى السائق فوجده هادئًا خلف المقود وبابتسامة أمل استأذنه في النزول قائلاً:

"المحطة القادمة إذا سمحت".

***

بحر الحب

أمل عبد العظيم

كان الدولفين حافظ يقوم بجولته المعتادة في بحر الحب فهو حارس من حراس الحدود بين مملكة القروش ومملكة حوريات البحر، منذ مئات السنين؛ تم تقسيم بحر الحب بين المملكتين بأمر ملك بحر الحب الحوت العظيم بعد تكرار حوادث الاعتداء على حوريات البحر من القروش المفترسة فلحم حوريات البحر لذيذ وشهي ولا تقاومه القروش الجائعة، لم تكن معظم القروش مفترسة للحوريات ولكن هناك قلة منهم تفعل ذلك مما اضطر الحوت العظيم إلى تقسيم بحر الحب بينهما وأوكل بمهمة الإشراف على المعاهدة وحفظ الحدود بين المملكتين إلى الدلافين الحارسة فهي من ألدّ أعداء أسماك القرش ولها القدرة على هزيمتها، وتم سن قوانين لعقاب كل من يحاول اجتياز الحدود أو الاقتراب من الحوريات وتراوح العقاب لأي قرش من النفي إلى الإعدام في حالة التسبب في موت حورية أو تهديد سلامتها.

فكر حافظ بصوت مسموع : لقد عم السلام بحر الحب منذ تلك المعاهدة، ولا يجرؤ أي قرش على الاقتراب من الحدود أو حتى رؤية حوريات البحر أصبح عملي هذا مملاً فلا جديد يحدث أسبح في نفس المكان وأراقب منذ سبعة أعوام ولم أسجل أي تجاوز من أي قرش لقد استسلم القروش ونعمت الحوريات بالأمن.

وعلى صخرة في منطقة الحوريات جلست حورية من أجمل حوريات البحر واسمها حوراء لها شعر بلون الذهب يغطي ظهرها كله وأعين واسعة بزرقة السماء الصافية تحرسها رموش كثيفة، ولها أنف دقيق وفم شهي، بوابتاه شفتان قرمزيتان تتوارى خلفهمَا أسنان كاللؤلؤ الأبيض ويجمع كل هذا وجه دائري كوجوه الأطفال، نصفها الأعلى يشبه البشر ومن أول وسطها جذع سمكة وذيلها.

اعتادت حوراء الذهاب إلى تلك الصخرة القريبة من الحدود بين مملكة الحوريات ومملكة القروش يوميًّا لتتأمل غروب الشمس وتغني بصوتها العذب؛ فقد منح الله الحوريات صوتًا فاتنا يخلب الأسماع وتهتز له القلوب حتى إن البشر الذين يعيشون على البَر نسجوا حولهنِ قصصًا خيالية وحذَّروا الصيادين فيها من الاقتراب من الحوريات لأنهن يسحرن البشر بغنائهن فيقترب الصياد المسحور من الحورية ليقبلها فإذا هي تغرس أنيابها في رقبته وتغرقه في أعماق البحر وتأكل لحمه هي وصاحباتها؛ وما علم البشر من وراء هذه القصة المفتراة على الحوريات وهم تجار ومغامرون يطاردون الحوريات ويحاولون اصطيادهن بكل الطرق وعندما ينجحون في اصطياد واحدة منهن يقومون بحبسها في إناء كبير مليء بالماء وتعذيبها حتى تبكي؛ فدموعها ثمينة جدًّا عند البشر ويستخدمها الكيميائيون منهم في تحضير إكسير الحياة الذي يعتقدون أنه يطيل أعمارهم.

تذكرت حوراء بعد ما انتهت من الغناء التحذيرات التي سمعتها من والديها ومعلميها بوجوب الابتعاد عن البشر وعن القروش لتعيش بأمان.

كان الشيء الوحيد الذي يهددها هو الملل الذي يغزو روحها فكل يوم يشبه اليوم الذي سبقه واليوم الذي يليه في عينها حزنٌ دفين لا تعرف مصدره، وفي قلبها شوق لا تعرف لمن!!

وعلى الجانب الآخر من بحر الحب كان قرش شاب يدعى قاروش ممتلئًا

بالفضول سمع كثيراً عن جمال حوريات البحر وعذوبة غنائهن ويحلم لو يستطيع رؤية حورية بحر واحدة وسماع صوتها (ولكن الدلافين الحارسة تملأ الحدود بين المملكتين كما أن العقوبة كبيرة لمن يتجاوزها) قالها قاروش لنفسه مذكرًا.

أخذ قاروش يتجول يوميًا في منطقة الحدود بين مملكة الحوريات ومملكة القروش ليرى أي ثغرة يستطيع الدخول منها إلى الجهة الأخرى، وأخيراً وبعد ثلاثة أسابيع وجد بغيته في مكان صغير خلف مجموعة من الصخور الحادة والممتدة بين المملكتين وهو خالٍ من الدلافين الحارسة لخطورته وندرة من يغامر بتخطيه.

ولكن إصرار قاروش لا يحده حدّ وفضوله كبير (حتى وإن جرحت أثناء السباحة بين الصخور الحادة لا يهم فأنا سأحقق حلمى أخيراً) وعند غروب الشمس تسلّل قاروش إلى منطقة الحوريات من وسط الصخور الحادة حتى وصل إلى صخرة مميزة هناك ومن مكانه في الماء رآها من ظهرها وهي لا تراه؛ حورية من أجمل حوريات البحر تشدو بصوتها العذب كلمات ساحرة تخلب الألباب وقال لنفسه (سبحان الله مبدع الجمال إن ما أراه وأسمعه يفوق كل الحكايات التي رويت عن الحوريات).

آثر قاروش الاختباء عن عيون حوراء وظل أيامًا يتسلل إلى تحت صخرتها ليسمع غناءها ويراها دون علمها وحدث له ما لم يكن في حسبانه؛ فقد هام بها حبًّا واستحال حبه شوقًا للقياها وجهًا لوجه ونوى قاروش على مواجهة حوراء، وفي ذلك اليوم وبعد ما أنهت حوراء غناءها ظهر قاروش أمامها ففزعت وصرخت وولت هاربة.

سبحت حوراء بعيدًا وقالت لنفسها: (إنه قرش مفترس عرفته من صورته التي شاهدتها في مدرستى وهو عدو لحوريات البحر ولكنه بدا مسالمًا لم يحاول حتى

ليان للنشر ولتوزيع

الاقتراب مني أو مهاجمتي سمعته ينادي عليّ (يا حورية البحر الجميلة) يا ترى لِمَ كان يناديني؟

حزن قاروش كثيراً لفرار حوراء منه وفزعها لرؤيته وسأل نفسه ما السبيل إليها وكيف أصل إلى قلبها؟؟

ثم خطر خاطر له: (السلحفاة الحكيمة سأبعث برسالة لحورية البحر معها وهي مسموح لها بالتنقل في البحر كله لن تشك بها الدلافين).

وفي صبيحة اليوم التالي ذهب قاروش للقاء السلحفاة الحكيمة التي يزيد عمرها عن الثلاثمائة عام وحكى لها حكايته فردَّت عليه قائلة (ما تفعله مخالف لقوانين بحر الحب التي وضعها الحوت العظيم منذ مئات السنين وإذا رأتك الدلافين الحارسة فستلقى عقابًا شديدًا يا قاروش أخفه النفي وأشده الإعدام).

ردَّ قاروش: (إنني أتحمل كامل المسئولية عن نفسي أيتها السلحفاة، وحياتي بدون حورية ليست حياة إنها موت بالبطيء) هكذا هو الحب يجعلنا شجعانَ إلى حدِّ التهور ويعمي عقولنا عن الأخطار المحدقة بنا.

قاروش للسلحفاة: (لا أريد منك سوى توصيل رسالة منِّي إلى حورية البحر أليس بحرنا هو بحر الحب وهذه رسالة حب).

السلحفاة: حسنًا يا قاروش سأوصل الرسالة إلى حورية البحر وفاءً للحب.

كتب قاروش رسالته في صدفة خضراء وأغلقها وسلمها للسلحفاة.

لم تذهب حوراء إلى صخرتها منذ رأت قاروش فتلك وصايا والديها ومعلمتها بوجوب الابتعاد عن القروش والصيادين.

وفي ذلك اليوم كانت حوراء واقفة مع رفيقاتها من حوريات البحر عندما رأت السلحفاة الحكيمة قادمة نحوهن تسأل عن حورية البحر التي تغني عند غروب الشمس كل يوم بالقرب من الحدود..

فنطقوا في صوت واحد هي حوراء فالتفتت إليها السلحفاة وقالت:

(اسمك جميل يا حوراء وجمالك مبهر حقا لقد سلبتى القرش المسكين عقله وقلبه)

حوراء: (قرش ومسكين كيف هذا أيتها الحكيمة؟؟!!)

السلحفاة: (إنه الحب يا عزيزتي يجعلنا مساكين، ألم تجربيه من قبل؟!)

حوراء: (بلى أحببت والدي وصديقاتي وصخرتي والشمس عند الغروب وأحصنة البحر الصغيرة).

السلحفاة: (ليس هذا الحب هو ما أقصده يا حوراء إنه حب من نوع آخر هو حب النقيض هو حب يحتوي السعادة والحزن جنبًا إلى جنب، هو حب الاختلاف وليس حب التشابه، هو حب ما لم نتخيل أن نحبه يومًا ما).

حوراء: لا أيتها الحكيمة لم أجرب هذا الحب فهو محرَّمٌ علينا معشر الحوريات حفاظًا علينا.

السلحفاة: (لقد جئت إليك يا حوراء برسالة من القرش الذي هربت عند رؤيته البارحة وليس مطلوبًا منك أي شيء إذا أردت أن تردي على رسالته فسأحملها إليه، وإذا لم تردي فسأخبره برفضك الرد عليه.

فتحت حوراء الرسالة وفيها (إلى أجمل ما رأت عيني وأعذب ما سمعت أذني، كنت أسمع عن حور الجنة وحوريات البحر فلا أصدق وجودهن حتى أبصرتك فعلمت أن وصفهم كان قليلاً فأنت أجمل من حور العين وكل حوريات البحر. اسمحي لي بلقائك لمرة واحدة وأعدك ألا تندمي على ذلك أبدًا). قاروش.

نبض قلب حوراء بشدة، إنها المرة الأولى التي تسمع فيها هذا الكلام، لقد

أحبت والديها وصديقتها والشمس وحصان البحر الصغير، ولكنَّ أحدًا منهم لم يقل لها مثل هذه الكلمات الرائعة!

أخذت حوراء صدفة زرقاء وكتبت فيها (قد آذنت لك باللقاء يا قاروش قابلني عند صخرتي عند غروب الشمس الغد) إمضاء حوراء

أخذت السلحفاة الصدفة من حوراء وعبرت الحدود لقاروش مسلمة له الرسالة.

طار قاروش فرحًا وأخد يقفز في الماء عندما أتاه رد حوراء على رسالته ولم ينم ليلته لكثرة تفكيره في حوراء وهل ستحبه كما أحبها هل سيعجبها شكله هل ستراه بعين قلبها وتعرف عمقَ شوقه لها؟؟؟!!

وعند غروب الشمس الغد تسلَّل قاروش إلى منطقة الحوريات واقترب من صخرة حوراء (هي لم تأتِ بعد، ربما أتيت مبكرًا قال قاروش في نفسه بعد دقائق قليلة أتت حوراء وجلست على صخرتها وأظهر قاروش نفسه على سطح الماء قائلاً: السلام على حوراء الجميلة شكرًا لكِ سماحك باللقاء.

نظرت حوراء إلى عين قاروش فرأت فيها حبًّا عميقًا وشغفًا؛ فعلمت أنه صادق، فالعيون مرآة الروح ولا تخطئ أبدًا.

حوراء: (وعليك السلام يا قاروش أنت قرش شجاع حقًّا وتخاطر كثيرًا بالدخول إلى منطقة الحوريات فهل أستحق كل هذا العناء منك يا قاروش؟؟)

قاروش: تستحقين أكثر يا حوراء عندما تحبينني مثلما أحببتك ستعرفين السبب وراء تهوري ومخاطرتي بحياتي فمولانا الحب هو أقوى بكثير من مولانا الحوت العظيم الذي وضع لنا القوانين، وقديمًا قال شاعر البشر جلال الدين الرومي: (ولتعلم أن النصح بلا جدوى للعاشقين، فإن هذا العشق نهر لا تقوى السدود جميعها على تغيير مساره قيد أنملة).

استمر لقاء حوراء وقاروش لساعاتٍ كانا يحكيان كل شيء وأي شيء حكت حوراء عن أسرتها وصديقاتها وألعابها وطفولتها وحكى قاروش عن حياته ومطارداته والمعارك التي خاضها مع القروش الأخرى من أجل الغذاء أو من أجل البقاء.

ثم توالت اللقاءات بين حوراء وقاروش ووقعت حوراء في حبه وفتن كل منهما بالآخر رغم كل الفروق بينهما؛ فالحب لا يعرف الاختلافات، ولا يعترف بها إلى أن أتى اليوم الموعود؛ كان الدولفين حافظ يقوم بجولته المعتادة على الحدود بين مملكة الحوريات ومملكة القروش عندما سمع غناءً عذبًا لحورية بحر فاقترب من الصوت فرأى العجب حورية تغني لقرش وتنظر له بحب وافتتان.

قال حافظ لنفسه: (ما هذه البلهاء؟! ألا ترى أنه قرش وفي طبعه الافتراس كيف تأمن على نفسها معه ألم يحذرها والداها ومعلموها من القروش المفترسة وطبعها الماكر؟؟!!)

اقترب حافظ من قاروش صارخًا: (كيف تجرؤ أيها القرش على تخطي الحدود إلى مملكة الحوريات بل وتقترب من إحداهن؟؟! ألا تعرف عقوبة ذلك؟؟)

قاروش: (لقد طاوعت قانون الحب وقانون قلبي أيها الدولفين ولم أهدد حياة حورية البحر تلك هي حبيبتي حوراء) وأنا أفديها بنفسي وبحياتي.

حافظ: أنا متعجب من جرأتك أيها القرش وستدفع ثمنها غاليًا تعالَ معي باسم قانون بحر الحب أألقي القبض عليك لمخالفتك وعبورك الحدود وتهديد حياة الحوريات؟! ستنال عقابك الذي تستحقه.

شعرت حوراء بالخوف الشديد على قاروش وتوسطت بينه وبين الدولفين حافظ واغرورقت عيناها بالدموع وقالت: (أرجوك يا سيادة الدولفين سامحه من أجلي أنا من شجَّعتُه على الحضور أعدك ألا أراه مرة أخرى، وأنت يا قاروش احلف أنك لن تتسلل إلى الحدود أو تحاول رؤيتي مرة أخرى).

رقَّ حافظ الدولفين لعبرات حوراء وقال مخاطبًا ومحذرًا قاروش: (من أجل عيون حورية البحر الجميلة ولئلا يجرح قلبها مرتين مرة بفراقك ومرة بعقابك سأعفو عنك هذه المرة، ولكن عيني لن تتركك، ستكون تحت مراقبتي ولو لمحتك تقترب من الحدود فلا رحمة بك سيتم القبض عليك ومحاسبتك على ما مضى من تجاوز منك.

تنفس قاروش الصعداء فقد أيقن بالهلاك بعد رؤية الدولفين له، ولكن حوراء أنقذته وأنقذت حياته.

هو الحب ينقذنا من مهالك الحياة وقد قال البشر عن هذا (يكفي أن يحبك شخصٌ ما لتنجو، ويكفي أن تحب شخصا ما لينجو).

غاب الفرح عن وجه حوراء منذ افترقت عن قاروش ولم يبتسم وجهها إلا عندما تتذكر أيامهما معًا.. وضحكاتها سويًّا ثم تعود فتبكي شوقًا وحنينًا إليه ولا يعزيها في حزنها إلا علمها أنه بخير ولم يعاقب بسبب حبه لها.

ومرَّ شهرٌ كاملٌ على الفراق بين قاروش وحوراء كأنه عامٌ كاملٌ وليس شهرًا هكذا حدَّث قاروش نفسه (لم يمر يوم لم أفكر فيه بحوراء أو أتخيل طريقة جديدة للوصول إليها فكرت في الهرب من بحر الحب أنا وهي، ولكن في هذا خطورة على كلينا وقد نهلك نحن الاثنان في البحار الأخرى؛ حيث لا قوانين ولا دلافين حارسة، فكرت في التسلل إليها عند صخرتها، ولكن الدولفين حافظ يراقبني دائمًا ويسأل رفاقي عن خطواتي هو لا يثق في وعدي له بالابتعاد عن حوراء. وله الحق في ذلك؛ فكل ما يشغلني هو سؤالٌ واحدٌ كيف السبيل إليكِ يا حبيبتي؟؟؟

الدولفين حافظ: (العاشقون لا يستسلمون أبدًا) قالها لنفسه وهو يراقب قاروش محاولاً قراءة أفكاره هو يعلم بحكم خبرته أن هذا القرش لن يستسلم، قد تستسلم حوراء فهي قد ربيت على الخوف والطاعة أما هذا القرش فهو جريء

ومُغامِر تربى على الشجاعة والإقدام والمعارك؛ لذلك لا أستغرب أن يفعل شيئًا متهورًا على أن أكون دائمًا متأهبًا. ثم تحسس صفارته.

لم لا تأتي حوراء إلى منطقة القروش للقائي؛ فهي ليست مراقبة مثلي من الدولفين وهي حرة في الخروج من منطقتها على عكسي؟؟) خطرت هذه الفكرة على بال قاروش الذي ذهب عقله من شوقه لحوراء ثم ردَّ على نفسه (ولكن أليس في هذا خطورة على حياتها وخاصة إذا انتبهت لها القروش الأخرى؟)

قاروش: (بالطبع لا، فأنا قرشٌ قويٌّ وشجاعٌ، أستطيع حماية حبيبتي سآخذها لمكان آمن لا يعرفه سواي

هو العشق يجعل البعض مجانين لا يقدرون عاقبة الأمور وقد يسيئون للمحبوب وتعمى أبصارهم عن مصلحته.)

ذهب قاروش إلى السلحفاة الحكيمة حاملاً رسالة منه إلى حوراء سلمت السلحفاة الرسالة إلى حوراء وفيها (شوقي إليكِ يا حوراء يقتلني والأمل في لقياكِ يحييني، قابليني غدًا عند نهاية صخرتك في منطقة القروش واحذري من الصخور الحادة، هناك سأكون بانتظارك في نهايتها. لا تخافي، ستكونين بأمانٍ معي يا حبيبتي. وإذا لم تأتِ يا حوراء فسوف أخترق الحدود وآتي إليكِ ولا يهمني حتى لو ألقت الدلافين الحارسة القبض عليَّ) إمضاء المحب قاروش.

خافت حورية على قاروش لو لم تذهب لأتى هو وفي ذلك خطورة عليه وكتبت له رسالة: (سآتي يا قاروش في ميعادنا المعتاد عند غروب الشمس انتظرني في نهاية الصخورفي منطقة القروش).

إمضاء حوراء

كان لحوراء صديقة واحدة مقرَّبة إليها اسمها هيرا وقد أخبرتها عن علاقتها مع

قاروش التي حذرتها من الاستمرار فيها مما جعل حوراء تبتعد عن هيرا؛ لأنها لا تحب قاروش ولا تثق في حبه لحوراء.

كانت حوراء تستعد للذهاب للقاء قاروش قابلتها هيرا مصادفة وسألتها: (إلى أين أنتِ ذاهبة يا حوراء، ولم تسبحين بسرعة؟! ردَّت عليها حوراء إلى حبيبي في مملكة القروش.)

أصيبت هيرا بالذعر وصرخت قائلة: (كيف تفعلين هذا بنفسك؟ قد تموتين وتمزِّق جسدك الصخور الحادة قبل أن تقابلي قاروش، أو قد تراكِ القروش المفترسة فتلتهمك التهامًا، ألا تفكرين في والديكِ ماذا سيفعلان إذا أصابك مكروهٌ؟ قد يموتان حسرةً عليكِ وأنا يا حوراء كيف تتركينني وقد تعاهدنا على الصداقة الأبدية؟؟!)

ردت عليها حوراء (أنت لا تفهمين يا هيرا، إنني أحبه، إن روحي معه وهو لي الآن كل شيء لي وأنا مستعدة أن أخاطر من أجله بكل شيء).

هيرا: (أنت مصممة على قرارك يا حوراء؟؟)

حوراء: (نعم يا هيرا ورجاء لا تخبري أحدًا، سأعود بعد رؤية قاروش إلى منطقة الحوريات).

هيرا: (هل تضمنين هذا يا حوراء؟)

حاولت هيرا منع صديقتها من الذهاب؛ فهي ليست واقعة تحت سلطان الحب مثلها وما زال لديها عقل ترى به عواقب الأمور، ولكن لم تستطع منعها.

سبحت حوراء على طول الصخور بين حدود مملكة الحوريات ومملكة القروش، وكانت الصخور كلما اقتربت من مملكة القروش تزداد حدةً وتجرح جسدها الرقيق فامتلأت ذراعيها وذيلها بالجراح ونزفت منها الدماء. وصلت حوراء أخيراً إلى نهاية الصخور وهناك وجدت قاروش بانتظارها كان قلب حوراء يدق

بجنون فللمرة الأولى تخالف القوانين وتعبر الحدود إلى منطقة القروش (ولكن قاروش هنا إذًا أنا آمنة) حدثت حوراء نفسها.

قاروش: أتبعيني بسرعة يا حوراء قبل أن يرانا أحدٌ، هناك كهف قريب لا يعرفه أحدٌ سنختبئ به.

دخل قاروش وحوراء إلى الكهف ليختبآ فيه وعندما التفت قاروش إلى حوراء أصابه الفزع عندما رأى على يديها وفي ذيلها جروحًا كثيرة يقطر منها دمٌ أحمر قانٍ وعلم أنه بعد وقت قصير ستصل رائحة دماء حوراء إلى القروش الأخرى وستتبع الرائحة حتى الكهف وقد تفترس القروش حوراء.

فوجئ الدولفين حافظ بحورية بحر تقترب من الحدود بين مملكة القروش والحوريات فقال:

(ماذا هناك أيتها الحورية من تكونين؟ ولِمَ أنت خائفة؟ هل هددك قرش أو صياد من البشر؟)

هيرا: (أدعى هيرا سيدي، الدولفين وأنا بخير، لكني خائفة على صديقتي حوراء التي ذهبت للقاء حبيبها في منطقة القروش).

حافظ: (أعرف حوراء وقاروش وقصتهما، ولكن ما الذي أصابها؟ هل ذهب عقلها تمامًا؟! لو شعرت بها القروش لهاجمتها فورًا. لم يُبقِ لها الحب عقلاً. سأذهب بسرعة إليها هل تعرفين مكان لقائهما؟)

هيرا: (لقد قالت حوراء شيئًا عن نهاية الصخور الحادة في منطقة القروش).

حافظ: (أعرفه، إنه مكان خطر أنا ذاهب بأقصى سرعة).

شمت مجموعة من القروش رائحة الدماء وتتبعوها ليصلوا إلى الكهف الذي يختبئ به الحبيبان.

واقتحموا الكهف عليهما ولمعت أعينهما بالرغبة في افتراس حوراء.

وقف قاروش بينها وبينهم قائلاً: (لا تقتربوا منها، إنها حبيبتي وليست فريستي).

القروش: (أيها المخادع ومن يأتي بحبيبته إلى منطقة القروش إلا ليفترسها كنت تأكلها وحدك والجراح التي تملأها دليل على ذلك دعنا نشاركك الوليمة لا تكن طماعًا يا قاروش.)

رأت حوراء نهايتها عندما نظرت في عيون القروش ثم سمعت صفارة قوية وغابت عن الوعي.

عندما رأى دولفين الحارس القروش على باب الكهف أخذ ينفخ في صفارته بتتابع حتى اجتمعت حوله عشرات الدلافين الحارسة واقتحم الكهف وأنقذ حوراء الفاقدة وعيها من كثرة الدماء التي نزفت من جروحها وألقى القبض على القروش كلها بما فيهم قاروش.

فتحت حوراء عينيها لتجد نفسها في مشفى الحوريات وحولها أهلها وصديقاتها، وفي جانب الغرفة السلحفاة الحكيمة والدولفين حافظ. تأملت جسمها المليء بالجروح التي تمت خياطتها وتطهيرها، ولكن الجرح الأكبر لم يداوِه أحدٌ وهو جرح قلبها.

نظرت إلى الدولفين حافظ سائلة: (كيف حال قاروش هل هو بخير؟؟).

ردَّ الدولفين حافظ: (هو بخير ولكن ليس لوقت طويل لقد ألقي القبض عليه لتعريض حياة حورية للخطر بعد استدراجها إلى منطقة القروش.)

سالت الدموع من عيني حوراء بغزارة واعتصر الألم قلبها وشعرت بخواء لا مثيل له لقد ذهب قاروش بلا رجعة.

وفي جانب الحجرة قالت السلحفاة الحكيمة لنفسها للمرة الأولى في حياتي الطويلة لم أكن حكيمة، ليتني تذكرت قول البشر (مَن أحب من غير جنسه فهو ظالم لحبيبه ولنفسه).

نظر الدولفين حافظ إلى حوراء وتمتم لنفسه: (إن الإنسان قبل الحب شيءٌ وعند الحب كل شيء وبعد الحب لا شيء).

***

حواديت

نرمين أحمد دميس

على رصيف محطة القطار كنت أنتظر كعادتي مع جموع الناس قطارالخامسة والثلث صباحًا، والمعروف بـ "قطار الصحافة" حيث كان مختصًا بنقل الصحف اليومية قبل أن يصبح قطارًا للركاب انقطعت كل صلةٍ له بصاحبة الجلالة ولم يعد يحمل إلا اللقب فقط.

فأنا طالبة بإحدى الكليات النظرية أقطن في إحدى مدن الأقاليم وقد اعتدت السفر إلى الكلية بالقطار المكيف عدا أيام محاضرات السابعة والنصف صباحًا والذي لم يكن متاحًا للحاق بها إلا قطار الصحافة هذا، فكان ركوبه بمثابة مغامرةٍ يومية.

ما زال الظلام مخيمًا على أنحاء المحطة؛ فالشمس لم تبعث بخيوط أشعتها الذهبية بعد، فبدونا جميعًا كظلالٍ لأشخاص غير واضحي الملامح والقسمات ثم أتى القطار القديم المتهالك الخارج من الخدمة كورقةٍ مقطوعةٍ من كتاب لم يعد لها قيمة إلا في لف الساندوتشات أو قراطيس المسليات؛ فالنوافذ مهشمة والأبواب صدئة والمقاعد متهالكة والعربات مظلمة تتخللها إنارة ضعيفة من ثنايا النوافذ المطلية بالأتربة والشحوم وأزيز الشبابيك غير المحكمة شديد الإزعاج، فيا لها من مزحةٍ سخيفة أن يتهالك قطارٌ لنقل الصحف فيصبح قطارًا لنقل الأرواح.

تدافع الجميع على أبواب عربات القطار؛ فالكل يطمع في الحصول على مقعدٍ يكمل عليه نومه، فالتذكرة رخيصة الثمن والمقاعد لصاحب النفس الطويل والأسرع في الوصول، أما أنا فلم أكن طرفًا في هذه المنافسة غير المتكافئة وكنت أدخل مع آخر الركاب فإما أن أجد مقعدًا بالصدفة أو يتنازل لي شابٌ شهمٌ عن مقعده، هذا إن وجد للأسف.

أغلب ركاب هذا القطار من الفئات الاجتماعية البسيطة الغالبة في مجتمعنا، وكان من بينهم وجوهٌ اعتدت رؤيتها فهم يركبون نفس القطار كل يوم، ولكني لم أعبأ يومًا بالتأمل فيهم أو الاهتمام بهم خاصةً مع رغبتي في الاسترخاء لتعويض قسط النوم الناقص.

وسار القطار يقطع القرى والمدن تتلخلخ عرباته فوق القضبان معلنةً تقادمها ورغبتها في التخريد كرجلٍ مسن يمشي بخطواتٍ متعثرة مستندًا إلى عصًا في يده مقاومًا لعجزه وتقدُّم سنِّه من باب حلاوة الروح.

وفي منتصف الطريق الزراعي بالقرب من إحدى القرى هدأ سير القطار حتى توقف فجأة وعلمنا أن عطلًا أصابه وأنه أمامنا وقتٌ للتغلب على المشكلة فاستاء الجميع وانطلقت عبارات التذمر والضيق:

_ لم نسافر قبل طلوع الشمس لنتعطل في النهاية عن مصالحنا.. إلى متى سيستمر هذا الحال؟

وبعد وقتٍ قصيرٍ من الهرج والمرج والصياح بلا جدوى استسلم الجميع للأمر الواقع ودعوا الله أن ينتهي الأمر سريعًا، وراح كلٌ منهم يقطع الوقت بطريقته الخاصة؛ فمنهم من خلدَ إلى النوم وآخرون راحوا يطالعون الجريدة اليومية وغيرهم يتناولون إفطارهم من ساندوتشات الفول والفلافل الساخنة التي اشتروها من المحطة قبل ركوب القطار وطائفةٌ أخرى أخذت تتجاذب أطراف

الحديث وتقص ظروفها ونتائج هذا التأخير.

فقد كنا في أوائل التسعينيات ولم تكن التكنولوجيا والأجهزة المحمولة وشبكات الإنترنت قد اجتاحت مجتمعنا المصري بعد ليدس كلٌ منهم عينيه في جهازه كما يحدث الآن أو حتى يجري اتصالًا هاتفيًا للاعتذار أو الإبلاغ عن التأخير، أما بالنسبة لي فقد سنحت لي الفرصة هذه المرة أن أتأمل هؤلاء الأشخاص وأحلل أنماطهم وبدا لي الأمر كأنه مشهدٌ سينمائيٌّ لفيلمٍ واقعي.

فهؤلاء مجموعة من النسوة الريفيات اللاتي يحملن أكياسًا كبيرة من الخيش تحوي كمياتٍ كبيرةٍ من الخضراوات الطازجة نتاج زراعتهم يذهبن لبيعها في المدينة منذ الصباح الباكر ليعدن في الظهيرة ببضعة جنيهات تعينهن على العيش وضيق الحال فراحت إحداهن تقص رحلتها في جهاز ابنتها العروس وتسرد القائمة الطويلة التي اشترت بعضًا منها وما زال الكثير بعد والأخرى تتحدث عن توفير نقود الجمعية التي دخلتها لتأمين نفقات ابنها الطالب الجامعي المغترب والثالثة تشكو ضنك العيش؛ فزوجها لا يسعى وراء رزقه فينام نهارًا ويسهر بمقهى البلدة ليلًا ولا يكترث بأعبائه كربٍ للأسرة ويترك الأمر كله على كاهلها، وغيرها من حكايا النسوة التي لا تنم عن ضيق حالهن فقط وإنما تنم أيضًا عن نساءٍ قويات محاربات مسئولات تحمل أكتافهن أثقالًا أكبر منهن فيحملنها متوكلاتٍ على ربهن في العون والقدرة على الاحتمال.

وهذا عسكري التجنيد الشاب القروي في مقتبل العمر الفخور ببيادته وبدلته العسكرية حتى إنه يداوم على ارتدائها في أيام الإجازة فتجده يمشي معجبًا بنفسه فيها ويشعر بالزهو والسعادة عندما يناديه الناس "يا دفعة" أو عندما يخرج الكارنيه الخاص به فتذكرته مجانية وهو يعتبر فترة تجنيده تلك على الرغم من المخاطر والاغتراب أفضل من البطالة أو العمل الشاق في الأرض الزراعية بمقابل

زهيد، كما أنه يرى في التجنيد فرصة لاكتساب الخبرات والعلاقات الجديدة في بيئة مختلفة وهو الآن في مأزقٍ حقيقيٍّ فهو عائد من الإجازة ويجب عليه تسليم نفسه إلى الخدمة في وقتٍ مُحدَّد فلا مزاح ولا أعذار مع الجيش وأنظمته الصارمة.

وما زلنا عالقين في الطريق والوقت يمر والجميع متوتر من تبعات هذا التأخير ولا نرى أو نستشعر أيَّ تقدُّم في الأمر، ويبدو أيضًا أننا سنبقى هكذا لبعض الوقت.

وذهبت ببصري لآخر العربة لتقع عيني على رجلٍ في أواخر الخمسينيات يبدو من هيئته والأظرف البنية اللون التي يحملها والتى تشبه تلك الموجودة بالمصالح والهيئات العامة أنه موظف حكوميّ وقد أسند رأسه إلى الشباك ونظره شاخصٌ خارجه لا يتحدث مع أحد أو حتى يتذمر مع المتذمرين ويبدو على وجهه أنه يحمل جبالًا من الهموم فربما يكون مسافرًا بهذا الظرف المحشو بالأوراق لمد فترة خدمته سنة أو سنتين مثلًا فهو بالتأكيد أبٌ لأبناء في مراحل التعليم المختلفة أو لابنة في سن الزواج وما زالت أعباؤه ثقيلة أو ربما يكون قد تم نقله من عمله إلى خارج مدينته فيضطر للسفر يوميًّا ذهابًا وإيابًا فيتكبد بذلك مشقةً ووقتًا وتكاليف إضافية هو في غنى عنها ويحاول جاهدًا العودة إلى عمله بمدينته وأيًّا كان سبب همه المكتوم والمرتسم على ملامحه فهو متضرر أشد الضرر من التأخير مثله في ذلك مثل الجميع.

وعلى المقعد المقابل جلس مجموعة من العمال والذين بدا من حديثهم أنهم عمَّال محارة ونقاشة وتركيب سيراميك يقومون بتشطيب شقة لضابط برتبة كبيرة في الداخلية ويقولون إنه بالرغم من حزمه وكثرة طلباته وتعديلاته إلا أنه كريم اليد يعطي بسخاء وسيأتي من ورائه خيرٌ كثيرٌ يستحق السفر والعناء وهم قلقون أن يغضب لهذا التأخير فيخصم من اليومية أو تطير منهم المقاولة بالكامل.

وانقطع حبل تأملاتي وخيالاتي بصوت البائع المتجول بالقطار حاملًا جردله

الثقيل الممتلئ بزجاجات المياه الغازية المدفونة وسط مكعبات كبيرة من الثلج لتحافظ على شيء من برودتها يطرق عليه بفتاحة الزجاجات بنغمةٍ مرحةٍ رنَّانة تجذب انتباه الركاب مناديًا:

_ الساقع وصل، مين عاوز يطري على قلبه ويقولي هات؟

ويظل يدور بين عربات القطار مناديًا وممازحًا الركاب ومكونًا صداقات مع المعتادين منهم ركوب هذا القطار يوميًّا حتى أنهم أصبحوا يعرفونه ويعرفهم بالاسم.

وجذب انتباهي وسط كل هؤلاء البسطاء رجلٌ أنيق المظهر مهندم الثياب مصفف الشعر بعناية يفصح لمعان حذائه "البانس" عن اهتمامه البالغ بمظهره وعلو طبقته الاجتماعية وأن موعده المبكر فقط هو ما اضطره لاستقلال هذا القطار؛ لذا فهو طوال الوقت مستاءٌ من الزحام والضجيج يلعن اللحظة التي تعطَّل فيها القطار فأطالت مقامه في هذه الأجواء وينظر إلى المحيطين في تعالٍ وكِبْر شاكيًا في نفسه ظروف القطار المتردية ويثور غضبًا إن زاحمه طفلٌ أو حقيبةٌ ثقيلة.

ظللت أتأمل تلك الوجوه والأنماط المختلفة المنطوية على عوالم داخلها.. عوالم تختلف ظروفها ومشكلاتها وحتى آمالها وأحلامها فلكلٍ منهم حياته التي يعيشها بحلوها ومرها وله غده الذي يحلم به ولكن القاسم المشترك بينهم جميعًا هو أن يكون الغدُ أفضل من اليوم.

ووسط تلك الأفكار والخيالات المتزاحمة في رأسى أتاني صوتُ كمسري القطار صائحًا:

_الحمد لله أبشروا فقد تم إصلاح العطل وسنتحرك خلال دقائق معدودة.

وبالفعل بدأ القطار في السير رويدًا رويدًا بسرعة متدرجة حتى سار بسرعته المعتادة فتهللت الأسارير وهدأت النفوس فأخيرًا انتهت الأزمة وبدأ كلٌ منهم

التفكير في كيفية تعويض هذا التأخير أو تبريره إن أمكن عند الوصول كلٌ على حسب ظروفه.

ثم دخل القطار المحطة وبدأ ركابه يستعدون للنزول مسرعين يحملون أمتعتهم ويصطفون قرب باب العربة للتحرك فور توقف القطار فهم في عرض دقيقةٍ واحدة لتعويض الوقت الفائت أما أنا فلم أكن في عجلة من أمري مثلهم؛ فأنا أعلم أن المحاضرة قد فاتتني بالفعل، وأنني لن أستطيع الدخول في منتصفها وسأضطر إلى الانتظار في كافيتيريا الكلية حتى موعد المحاضرة التالية ولكن لا شك أنني كنت أسعدهم بالتجربة رغم ضياع المحاضرة والتي أعطتني فرصة الاقتراب منهم وملاحظتهم ولو لبرهة من الوقت لأعلم أن الدنيا تمتلئ بالكادحين الصابرين المعاندين لظروفهم والمؤمنين بقضاء الله وقدره وأن لكلٍ منا نصيبه المكتوب من الرزق ومن السعادة أو الشقاء.

ونزلت من القطار وأنا عازمةٌ على أمرٍ واحد؛ أن أكتب قصصهم وحكاياتهم وأمزج أحلامهم المبتورة فأتخيل نهايةً سعيدةً لهذه الأحلام وتلك القصص، النهاية التي يستحقونها.

فإن لم تصبح تلك النهاية السعيدة واقعًا ملموسًا ذات يوم أكون قد أعطيتهم الفرصة لتحقيق حلمهم السعيد حتى وإن كان على الورق.

***

لا تكسر الحلم

نرمين أحمد دميس

في قريةٍ بعيدةٍ بعيدة وكأنها في الطرف الآخر من الدنيا عاش أناسٌ بسطاء يعملون بجدٍّ فيزرعون ويحرثون وبالكاد يوفرون قوتَ يومهم، وكان يحكمهم طاغية يعيش في قصرٍ كبيرٍ محاط بأسوار وحراس يبتلع الخير كله ولا يترك لهم إلا فتاتًا.

شاع بين أهل القرية أن الطاغية عثر على كنزٍ مدفون بأرضها واحتفظ به في حجرة سرية بالقصر وكان هو سر ثرائه ورغد عيشته؛ فعاش أهل القرية يحلمون باليوم الذي يفنى فيه الطاغية ويصبح الكنز لهم؛ فهو لا أسرة له ولازوجة ولا ولد فيتبدل حالهم ويعوضون سنوات الفقر والبؤس.

واستمر الحال على ما هو عليه حتى خرجَ من بينهم شابٌّ فتيٌّ قويٌّ تمرد على استكانتهم واستسلامهم وأخذ يحثهم على الثورة من أجل أنفسهم والاستماتة في سبيل الحصول على حقهم في الكنز فهو ملكٌ للقرية كلها طالما وجد في أراضيها، وأن انتظارهم لفناء الطاغية وحسب ما هو إلا ضعفٌ وتواكلٌ وتقاعس فعليهم أن يحاربوا فالله لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم كما قال سبحانه في كتابه الكريم.

لم يستجب أهل القرية لمحاولات الشاب معهم؛ فهم يؤثرون الانتظار عن أن يشنوا حربًا خاسرة يفقدون فيها خيرة شبابهم ورجالهم، فالصبر جميل وأمر الله نافذ لا محالة ذات يوم، أو هكذا كانوا يقنعون أنفسهم.

يئس الشاب من تغييرهم وتنوير عقولهم واكتفى بمجموعةٍ من الشباب اقتنعوا بفكره وانضموا إليه وعاهدوه على الإخلاص للهدف وأخذوا يخططون في سرية تامة للهجوم على القصر واستغرق ذلك وقتًا طويلًا ليدرسوا المداخل والمخارج وأطقم الحراسة وتحركات الطاغية وكل تفصيلة تيسر لهم نجاح الخطة، وحانت ساعة الصفر.. الساعة المنتظرة.. وبالفعل اقتحم الشباب القصر وتمت العملية بنجاح كما خطط لها وأصبح كل شيء تحت سيطرتهم فقد كان كل شيء مدروسًا بعناية ودقة متناهية، وأخذوا يبحثون عن الكنز والحجرة السرية.

وفي هذه الأثناء سمع أهل القرية بما حدث وأسرعوا يتجمهرون حول القصر ينتظرون خروج الأبطال ومعهم الكنز الذي لطالما انتظروه لسنواتٍ وسنوات وهو الآن من حقهم جميعًا وليس للشباب أن يستأثروا به بدعوى أنهم هم مَن حرَّروه من قبضة الطاغية.

وكانت المفاجأة؛ فقد خرج الشباب بأيدٍ فارغة بعد أن فتشوا كل شبر في القصر بلا فائدة فلا وجود لأي كنزٍ، ففزع أهل القرية من هول المفاجأة المدوية وأحسوا بخيبة أمل تسكنهم وتتغلغل فيهم وصاحوا في الشباب:

"لقد عشنا عمرنا كله نحلم بهذا اليوم وبالكنز والخلاص معًا، وتحملنا ما تحملنا من أجل تلك اللحظة وهذا الحلم الجميل، وأما الآن فقد كسرتم الحلم ولم يعد هناك ما نتحمل لأجله فليتكم تركتمونا على حالنا، سامحكم الله".

فردَّ الشباب مستنكرين: "أتقولون هكذا بدلًا من أن تشكرونا!! لقد حررناكم من سرابٍ ملككم وأكذوبة صدقتموها وأما الآن فأنتم تقفون على أرضٍ صلبةٍ ثابتة وترون الغد واضحًا دون زيف، فعيشوا واقعكم واحلموا حلمكم الذي تستطيعون تحقيقه بأيديكم."

وعادوا جميعًا إلى حياتهم ولكن ترى من كان منهم على صواب؟ وهل عادوا كما كانوا أم تغير داخلهم شيء ما؟

***

نفحات

نرمين أحمد دميس

"برجاء ربط الأحزمة"

ما إن سمعت هذا النداء حتى أحكمت ربط الحزام الخاص بي وأسلمت رأسي إلى مقعدي وأغمضت عيني وذهبت قبل ثلاثة أشهر.

كانت ليلةً مقمرةً من ليالي شهر رمضان حيث تتنزل الرحمات وتجاب الدعوات وتعتق الرقاب، وكنت أتناول طعام الإفطار بمنزل والدي، وكالعادة امتدت المائدة بكل ما لذَّ وطاب احتفاءً بالأولاد والأحفاد، ووسط تلك الأجواء الأسرية الدافئة كان بالي مشغولًا بأمرٍ هام حاولت الالتهاء عنه بالانغماس وسط عائلتي وتجمعنا معًا.

صليت صلاتيّ العشاء والتراويح ودعوت ربي وتوسلت إليه أن يجبر خاطري ويفرح قلبي هذه الليلة، فقد كنت أشبه بطالبٍ ينتظر نتيجة الامتحان بلهفةٍ وشوق يشوبهما الكثير من القلق والتوتر ولكنها كانت نتيجة من نوعٍ خاصٍ؛ فذاك اليوم كان موعد قرعة الحج السياحيّ والذي كنت قد قدمت له وزوجي العام الماضي ولم يحالفنا الحظ، فكُنَّا نطمع أن يعوضنا الله هذا العام ويثلج صدورنا بزيارة بيته الحرام، وأداء تلك الفريضة العظيمة.

حاولت الدخول على موقع قرعة الحج ولكن للأسف دون جدوى وفشلت أيضًا شركة السياحة التابعون لها في الوصول لأي معلومات.

كنت أعلم أن القرعة قد انتهت وأنه قد تم اختيار حجاج هذا العام بالفعل، وعلى الرغم من ذلك لم أكف عن دعوة ربي بيقينٍ وتضرعٍ وتوكلٍ عليه سبحانه حتى بزوغ الفجر فهو ولي ذلك والقادر عليه.

جافاني النوم حتى ملأت الشمس الدنيا بنورها فاستسلمت أخيرًا لتعبي ورحت في النوم لبضع ساعات لأستيقظ وأعاود الاتصال بالشركة لمعرفة الخبر اليقين فتركتني الموظفة على الهاتف للتحري عن أسمائنا.. دقات قلبي تعلو وتتسارع، وأوصالى ترتجف من شدة الخوف والترقب ولكن هناك بصيصًا من راحة وطمأنينة يسكنني في ذات الوقت، ربما هو التوكل على الله واليقين به الذي يحدثني بأن ربي لن يخذلني هذه المرة، ووسط معركة المشاعر تلك أتاني صوت موظفة الشركة مبشرًا أننا من المحظوظين هذا العام فعرفت دموع الفرح لأول مرةٍ في حياتي وأخذت أحمد ربي وأشكر فضله وأيقظت كل من في المنزل لأخبرهم وأنا أقفز فرحًا كطفلةٍ صغيرة فقد استجاب الله دعائي وأصابتني نفحة من نفحات رمضان المباركة.

أفقت على صوت الحجاج في الطائرة يلبون فرحين: "لبيك اللهم لبيك... لبيك لا شريك لك لبيك... إن الحمد والنعمة لك والملك... لا شريك لك" .

فانضممت إليهم ملبيةً استجابة لنداء الله عز وجل واستشعارًا بواسع فضله لاصطفائه لنا ونيل هذا الشرف وتلك الفرصة لتزكية نفوسنا وتطهيرها.

ثم جاءت اللحظة المرتقبة، اللحظة التي توقف فيها الزمن وشلّت عقارب الساعة وربما توقفت الأرض بدورها عن الدوران.. لحظة الوقوف أمام الكعبة بيت الله الحرام للمرة الأولى في حياتي فأحسست برعشةٍ دافئةٍ تسري عبر جسدي كله تفصلني عن العالم من حولي وكأنني أقف وحدي في ساحتها وامتزجت مشاعر الفرح والانبهار والامتنان وعدم التصديق في سيمفونيةٍ رائعة تعزفها روحٌ متعطشةٌ للقاء روحاني مع ربها.

وطفت بالكعبة وهيَّأ الله لي السبل لأكون قريبةً منها فازددت روحانيةً وصفاء واكتشفت أن كسوة الكعبة ليست مجرَّد رداءٍ أسود اللون ولكنها مزينةٌ بآياتٍ قرآنيةٍ لا نراها عند النظر إليها من بعيد.

وواظبت على أداء الصلاة بالحرم واللواذ به وقضاء أمتع الأوقات في قراءة القرآن والدعاء وإمعان النظر إلى الكعبة وتملية العين منها حتى جاء يوم التروية الثامن من ذي الحجة والذي يذهب فيه الحجيج إلى "مني" للمبيت بها سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن أغلب الشركات ومعهم شركتنا لا تفعل ذلك خوفًا من تأخُّر بلوغ عرفة في اليوم التالي بسبب الزحام الشديد فاستسلمنا على مضض بدورنا لقرارهم فنحن عديمو الخبرة بالأمر وبالطبع نخشى ضياع عرفة لا قدَّر الله.

وأثناء تجهيز حقيبة السفر استعدادًا لعرفة نظرت إلى الكعبة على شاشة تلفاز الغرفة فوجدت ساحتها غير مزدحمة كالعادة فشعرت أنها تناديني للطواف بها فذهبت وزوجي لنطوف أروع طوافٍ ولمسنا جدران الكعبة بأيدينا واستلمنا الركن اليماني لأربعة أشواط وأنا لا أكاد أصدق أن هذا هو موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأغدق الله علينا من فضله فحظينا بركعتين في "حجر إسماعيل" الذي هو جزءٌ من الكعبة ثم أدّينا صلاة العصر وعدنا إلى غرفنا لاستكمال الاستعداد لعرفة.

كانت تلك نفحة إيمانية ألهبت حماسنا وشحنت هممنا لما هو آتٍ واعتبرناها بمثابة تعويض من الله سبحانه وتعالى عن عدم الذهاب إلى "مني" يوم التروية وكأنها علامة قبول، وشددنا الرحال إلى عرفة بعد أن أمدَّنا الله بمشاعر إيمانية عميقة جعلتنا على أهبة الاستعداد الروحاني لهذا اليوم العظيم المبارك، ومرَّ يومُ عرفة بين الدعاء وقراءة القرآن، وابتهلنا جميعًا إلى الله بالدعاء المخلص الصادق الصادر من القلب، دعاء للدنيا والآخرة، دعاء لأنفسنا وذوينا وأحبابنا.. فانسكبت العبرات وارتفعت الأصوات بالتوبة وطلب الرحمة والمغفرة والقبول.

وحرصت على عدم تضييع لحظة من عرفة دون مناجاة الله عز وجل حتى كانت عيني تدمع فرحًا وامتنانًا كلما تذكرت أنه سبحانه وتعالى يباهي بنا الملائكة في هذا اليوم فتزداد عزيمتي لأستحق تلك المباهاة عن جدارة.

ومع مغرب " عرفة" كان النفير إلى "مزدلفة" وكان مشهدًا عظيمًا فبينما كنت أستقل الحافلة كان الحجاج مترجلين من كل حدبٍ وصوب بعد الوقوف يومًا كاملًا على جبل الرحمة وفى سفحه في أجواء شديدة الحرارة داعين مبتهلين وازدحمت بهم شعاب الجبال وأوديتها وهم في ثياب الإحرام وكأنهم طيورٌ من الجنة تحلق آمنةً في ملكوت ربها فتمنيت لحظتها أن أكون سائرةً بينهم.

وكان يوم النحر، فذهبنا إلى مكة لطواف الإفاضة وكان من محاسن تقديمه على جمرة العقبة الكبرى هو أداءُ صلاة العيد بالحرم وكأن الله رتَّبَ لنا هذا الأمر بهذه الكيفية كي لا يحرمنا هذا الثواب وتلك المتعة الروحانية فما أكثر وأعظم نفحاتك ربي!! ثم ذهبنا إلى "مني" لرمي الجمار على مدار أيام التشريق الثلاثة وكان في انتظارنا نفحة أخرى لا تقل عظمةً عن سابقاتها فقد آثرت الشركة رمي جمرة اليوم الثالث ليلًا والعودة إلى مكة فلم نسترح لهذا الأمر وقررنا البقاء في مني للرمي بعد الزوال كما كان يفعل رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

وبالفعل حدث ما انتوينا وخرجنا قرابة الساعة الثانية ظهرًا لرمي الجمار والعودة إلى مكة سيراً على الأقدام فقد غادر أتوبيس الشركة ولا توجد أي وسيلة مواصلات وكأن الله أراد أن يحقق لي ما تمنيت ساعة النفير إلى مزدلفة، ومشينا وسط الحجيج حاملين أمتعتنا متحملين الحرارة والعطش الشديدين نحتسب كل هذه المشقة لوجه الله تعالى ونرجو منه أجزل العطاء في الدنيا والآخرة، واشتد بنا العطش وأصبحت حلوقنا جافةً كحجر صلد أحرقته أشعة الشمس ووجدتني أردد: الله يروينا.

وما هى إلا لحظات حتى وجدنا الكثير من الماء البارد فشربنا حتى ارتوينا وسقينا من حولنا وحمدنا الله الذي أتم فضله علينا بأن قطعنا الطريق في وقتٍ قصير عكس ماكان متوقعًا وخطونا أولى خطواتنا في الحرم وأذان العصر ملء أسماعنا.

حقًّا ما أجمل إخلاص النوايا لوجه الله تعالى!! فعندما أخلصنا النية وتكبدنا التعب والمشقة ابتغاء مرضاته عز وجل فقط حمانا وكفانا كل شَرٍّ وأمدَّنا بالقوة والقدرة ويسَّر لنا السبل.

وجاء يوم الوداع، وقد كنت أسمع ممن سبقوني لزيارة الكعبة أنهم لا يتمالكون أنفسهم لحظة الوداع، ويفقدون السيطرة على دموعهم أثناء إلقاء النظرة الأخيرة عليها، ولكن لم يحدث نفس الشيء معي، ولم أشعر بالرغبة في البكاء وسألت نفسي متعجبةً:

لماذا لا أبكي مثلهم؟! هل أقل عنهم تعلقًا ببيت الله؟! وجاءني الرد من ربي؛ فظللت أنظر إليها باسمةً مرددةً لقوله تعالى:

"إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد"

يقين عظيم ملأ قلبي بالعودة القريبة بإذن الله؛ لذا لم أبكِ، بل أطلت النظر إلى الكعبة أحفر أركانها وزواياها في ذاكرتي حتى يحين اللقاء الموعود مرةً أخرى.

حقًّا لقد كانت رحلةَ العمر، رحلة اقتربت فيها من ربي ومنحت فرصةً عظيمةً للبدء من جديد.. فرصةً جعلتني أستحي من التمادي في أخطائي وغفلتي ثانيةً فما أخطئ حتى أتوب وأرجع سريعًا فأنا محصّنةٌ بحجتي وعارٌ عليَّ أن أنسى ذلك الفضل وتلك النعمة التي يتمناها كثيرون.

إحساسٌ رائعٌ بصدق أن يسمعك ربك ويستجيب لك ويجيب حتى أمنياتٍ لم ترد على لسانك بل تمنيتها بقلبك فقط فالله أكرم من أن يردك خائبًا صفر اليدين.

كم هو عظيمًا أن تبذل كل طاقتك في التعبد والتقرب إلى الله سبحانه فيعينك وييسر لك وتشعر بقبوله لك وما تفعل من أجله؛ فقد شهدك مستميتًا في إرضائه لا تدخر جهدًا ولا طاقة فيتقبل عبادتك بما يشوبها من زلاتٍ غير مقصودة ويعاملك بما هو أهله ليس بما أنت أهله فهو يريد بل يحب أن يعطي.

يرسل إليك الرسائل والهدايا لشحن همتك وطاقتك ويساعدك على مغالبة نفسك وضعفها فتشعر دومًا أنك في معيته جل وعلا.

إلهي ما أكرمك وما أعظمك!! فلا تحرمنا زيارة بيتك الحرام مرارًا وتكرارًا ماحيينا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم.

***

سندريلا □□□□

نرمين أحمد دميس

الأمطار تهطل بغزارة تغسل الشوارع، فتضفي عليها لمسة الشتاء الساحرة، أصوات الرعد تعلو وتتتابع وتسبح بحمد ربها وكأنها أجراس إنذار لإفاقة البشر من غفلتهم، أضواء البرق تخطف الأبصار، وتحيل السماء المظلمة ظهرًا ساطعًا، الشوارع خاوية من البشر، المحال مغلقة، الحيوانات الضالة تختبئ في أوكارها من الطوفان، حتى الطيور تلوذ بأجنحة أمهاتها في أعشاش القش الهشة، أوراق الشجر تستمتع بملمس الماء سر وجودها والذي سيضيف جمالاً على جمال لونها الأخضر فيبدو أكثر زهاءً مع طلوع النهار، السكون مخيم على الأجواء سوى صوت الأمطار التي تعزف ألحان الماضي بدفئه العميق.

وقفت خلف زجاج نافذة حجرتها المغتسل برذاذ المطر تحتسي كوبًا من الشاي الساخن تتأمل هذا المشهد الرباني الرائع الجمال الذي أخذها إلى الوراء كثيراً، إلى أيام الطفولة البريئة، أيام الرقص تحت المطر، والدبدبة بالأقدام في مياهه، فتتشرب شعيراتها وملابسها بدموع السماء تلك وتختلط بدموع ضحكاتها البريئة فتعود إلى المنزل للاغتسال والالتفاف حول وجبة ساخنة مع الأسرة وسط حكايات أبيها الشيقة وذكرياته الجميلة.

راودها الحنين إلى تلك الأيام الخوالي فتحركت مشاعرها وفتحت صندوقها القديم المكتظ بذكريات الطفولة والشباب، فأخرجت منه صورًا، وقصاصات ورقية بخط يدها، وبقايا عرائسها المفضلة، وقصص الأطفال التي كانت تقرأها فتذهب معها في عالم من الأحلام تتخيل فيه نفسها بطلة القصة، فتارة تكون ذات الرداء الأحمر، وتارة أخرى تصبح سنووايت، أو تذهب في رحلة إلى بلاد العجائب مثل أليس أو تكون عروس البحر أو مثلا سندريلا....

سندريلا!!! لطالما أحبت تلك القصة وتخيلت نفسها الفتاة الفاتنة التي تزينت في أبهى الثياب وذهبت لتراقص الأمير في الحفل بلمسة من عصا الساحرة الطيبة، ثم تهرب مخلفة حذاءها خلفها ليستدل به الأمير عليها، فيتزوجها ويعيشان في تبات ونبات، هكذا كانت نهاية القصة الشهيرة، ويبدو أن هذه الليلة الممطرة الساحرة الجمال لم تحيي ذكريات طفولتها وحسب بل أحيت معها فضول الطفلة الساكنة داخلها، فراحت تتساءل: ترى كيف كانت حياة سندريلا بعد الزواج؟ هل دامت تلك السعادة الحالمة أم واجهت عواصف هددت تلك الحياة الهادئة؟ هل نالت منها علامات التقدم في السن أم ظلت الفتاة الفاتنة حلم الأمير الوسيم؟ وإن عاشت سندريلا بطلة الحكاية الرومانسية الأشهر في زمننا هذا، كيف كان سيكون شكل حياتها؟

ابتسمت ابتسامة عريضة لتلك الخواطر الطفولية وقالت في نفسها:

_ يبدو أنه حان وقت النوم، فقد أصبحت أفكر في خيالات افتراضية مضحكة.

فذهبت إلى فراشها والتفت في غطائها الوثير وراحت في سبات عميييييييق.

في شقة صغيرة بالطابق الثالث تعالى صوت شجارهما حول مصروف البيت فهي تخبره أنه لم يعد كافيًا فالغلاء قد أتى على الأخضر واليابس ومتطلبات الحياة

ليان للنشر ولتوزيع

والأولاد في ازدياد؛ فعليه أن يزيد المصروف.. فيخبرها بدوره أن هذا هو أقصى ما في وسعه وأنه أصبح كالثور المربوط في الساقية، ثم يخرج غاضبًا ويغلق وراءه باب الشقة بقوة فلا يتحرك لها ساكنًا فقد اعتادت هذا المشهد أول كل شهر.

تذهب لارتداء ملابسها استعدادًا للذهاب إلى العمل وتوصيل الأولاد إلى المدرسة في طريقها بسيارتها المتواضعة التي تفي بالغرض والسلام، فتقف أمام المرآة وتلاحظ الخيوط الفضية قد عرفت طريقها إلى شعرها الأبنوسي، وبدأت خطوط الزمن ترتسم على وجهها عاكسة ما مرَّ بها من أحداثٍ بحلوها ومُرِّها، وهاجمت البدانة قوامها الممشوق الذي كان أجمل مافيها، وغابت بسمتها المشرقة التي كانت تنير وجهها وتزيده جمالاً وبراءة، فتتحسر على نفسها قائلة:

_ أحقًّا تلك سندريلا الفاتنة الحالمة المدللة!! أم أن الهموم والأعباء قد بدلتها، وكبرت قبل الأوان، فخبا طموحها وحماسها وولى شغفها حتى أصبحت ترسًا في تلك الحياة الرتيبة الشاقة... آآآه لو تعود الساحرة الطيبة فتغير كل ذلك بعصاها السحرية كما فعلت من قبل.

وفجأة يأتي من خلفها صوت وهن حنون يقول: _والله زمان يا سندريلاااا..

فتتلفت حولها لتجد عجوزًا محنية الظهر تتكئ على عصا من أغصان الشجر وتمسك في يدها عصا طويلة قديمة فتحدق فيها سندريلا فاغرة فاها قائلة في حماس: يا إلهي!! الساحرة الطيبة بشحمها ولحمها! أين كنت طوال تلك المدة؟ انظري كيف أصبح حالي؟ لماذا تركتِني وحيدة؟

ترد الساحرة في حب:

_تركتك لحياتك الجديدة السعيدة مع أميرك الوسيم.

- أميري الوسيم!! يبدو أنك لا تعرفين ما آل إليه حالنا فالحياة ازدادت صعوبة

وأنا تعبت وقد جئت في وقتك تمامًا؛ فأنا في حاجة إلى عصاك وقواك السحرية.

- لقد انتهى عصر المعجزات يا حبيبتي، ثم إنني لم أستخدم عصاي تلك منذ زمن، وأخشى أن تكون قد فقدت فعاليتها.

- أتوسل إليك أن تحاولي فإن لم تجدِ نفعًا فلن تضر بالتأكيد.

رقت الساحرة لحال سندريلا وفكرت للحظات ثم رفعت عصاها بحركة دائرية لولبية وأشارت بها إلى رأس سندريلا وهي تتلو تعويذتها السحرية:

_ آبراااا كادبرااااا... آبرااااا كادبراااااا.

فعطست سندريلا عطسة قوية أغمضت فيها عينيها لتفتحهما فلا تجد الساحرة..

تستأنف سندريلا حياتها وهي مطمئنة لمفعول السحر فقد جربته من قبل وغير لها مجرى حياتها ويومًا بعد يومٍ تشعر بالراحة تعود لتسكن روحها وأصبحت أكثر نشاطًا وتحمُّلاً وتحسنت أحوالها مع زوجها الذي أصبح أكثر تعاونًا وتقديرًا لها هو الآخر وعاد إليها شغفها القديم بالموسيقى فراحت تعزف بأناملها على البيانو القديم المهمَل في ركن البيت فسرت أنغامه الحالمة في أنحاء المنزل وتحسنت أحوالهم المادية جراء بدء زوجها في مشروع عمره الذي لطالما حلم بتحقيقه.

واستقرت أحوال الأسرة وانفرج همها وعرفت السعادة طريقهم من جديد، وفي ليلة صافية السماء تتلألأ نجومها كحبات عقد من الألماس نظرت سندريلا إلى السماء قائلة:

- شكرًا لك أيتها الساحرة الطيبة فقد أسعدتني للمرة الثانية.

فتأتيها ضحكة دافئة من خلفها لنفس الصوت الوهن الحنون قائلة:

- لم أفعل شيئًا يا سندريلا.. السر هذه المرة كان فيك أنت.. فالعصا ذهب مفعولها وإنما كان التأثير بإرادتك القوية وحماسك وطموحك المتوهج فوجدت روحك الهائمة على وجهها واستخدمت نقاط قوتك فتغلبت على الصعاب ووازنت بين مسئولياتك ومشاكلك وبين غذاء روحك وشغفها.

قفزت سندريلا فرحة تحتضن ساحرتها الطيبة قائلة:

- شكرًا لك بحق هذه المرة فقد ساعدتني أن أجد نفسي من جديدٍ..

وجاء الصباح وتوقف المطر وبدت الأشجار خضراء زاهية، وخرجت الطيور تشقشق من أعشاشها، وحاولت أشعة الشمس الدافئة أن تجد طريقَها لإصلاح ما أفسده المطر في لوحتها الفنية الصباحية، فدبت الحياة في الشوارع من جديدٍ وعاد النشاط إلى البشر يذهبون إلى أعمالهم وأداء مصالحهم.

واستيقظت بدورها من نومها وفركت عينيها لتتيقن مما رأته أهو حقيقة أم ضرب من الخيال؟

وهبت مندفعة إلى المرآة وقد فهمت الرسالة جيدًا تقول لنفسها: فلنكن جميعا سندريلا.. ولكن سندريلا القرن الواحد والعشرين..

***

رحمة السماء

نرمين أحمد دميس

في ظهيرة يومٍ مشمسٍ من أيام فبراير الماضي.. خرجت من منزلي هادئةً صامتةً جامدة ملامح الوجه أخفي صرخاتٍ مدويةٍ داخلي ورغبةً ملحةً في البكاء والنحيب وأقاوم دقات قلبٍ يكاد ينخلع من مكانه في قفصي الصدري، قلبٌ يخفق ألمًا وحزنًا وخوفًا من القادم.

استقللت سيارة أجرة أخذت تجوب بي شوارع المدينة، وكان من عادتي أن أنظر من نافذة السيارة إلى السائرين في الطرقات أتأملهم وأتخيل مايدور داخلهم بنظرةٍ إلى وجوههم فكلٌ منهم يحمل داخله قصته الخاصة، فأطلق العنان إلى خيالي يؤلف قصصًا لوجوهٍ لا أعرفها قد يصيب في بعضها أو يخطئ، ولكني لم أرَ شيئًا ذاك اليوم ولم يجذب انتباهي ما يحدث خارج السيارة بل لعلّي حتى لم أسمع ضجيجَ آلات التنبيه حولي.

واستمرت السيارة في قطع الشوارع حتى وصلت إلى غايتى فنزلت منها أسير بخطواتٍ ثقيلة، وكأنى أحمل في قدمي أكياسًا من الرمل، وتوجهت إلى البناية التي أقصدها بنفس الملامح الجامدة والهدوء المصطنع أقابل وجوهًا تشبهني، وجوهٌ صبغها الحزن وكسي ملامحها ألم الانتظار والترقب لما هو آت.

صعدت السلم إلى الدور الأول.. المكان يعج بأناسٍ معلقة أنظارهم بباب غرفة

العناية المركزة يمكثون بالساعات في انتظار لحظة فتح الباب والسماح لهم بزيارة ذويهم والاطمئنان على وضعهم الصحي.

مريض العناية المركزة يطلق عليه "حالة" ليس استهانةً أو استخفافًا وإنما هو لفظٌ دارجٌ بين الأطباء وهيئة التمريض لكثرة ما يرد عليهم من الحالات كل يوم فهم يتعاملون مع الأمر بشكلٍ عمليٍّ يقتضي تنحية المشاعر جانبًا.

مؤلمٌ حقًّا أن يصبح أقرب الناس إليك مجرد حالة وسط حالاتٍ كثيرة لهم من يتألم لأجلهم مثلك.

وما زالت ساحة حجرة العناية تزدحم بالناس، بعضهم من المدينة ذاتها، والبعض الآخر من مدن أقاليم مجاورة، أو حتى من قرى تابعة لهذه الأقاليم.

منهم من قاربت حالته على الاستقرار والخروج إلى حجرةٍ خاصة، ومنهم من يتعلق بأمل سماع أخبار جديدة عن حالته من الطبيب المختص تفيد بتحسنها، ومنهم من طال انتظاره لرحمة السماء فحالته بمقاييس الطب والبشر لا جديد فيها ولا أمل فتنتظر نفاذ إرادة الله.

مشاعرٌ مختلطة ودعواتٌ مختلفة لأشخاصٍ يضمهم مكانٌ واحدٌ وينظرون إلى بابٍ واحد.

أما أنا فلم أكن أعلم بعد في أي فريقٍ سأكون، فوضع أبي ما زال مجهولًا بالنسبة لي حتى تلك اللحظة، فقد أتيت إلى المستشفى بعد اتصالٍ هاتفى علمت منه أنه أحس بالتعب أثناء انتظاره بالمسجد لأداء صلاة الجمعة ونقل للمستشفى.

ولا أعلم هل انتظرنا كثيرًا أم قليلًا حتى طلَّ علينا الطبيب ووجهه ينم عن وضع أبي دون كلام، وأطلعنا أنه حرج.

وظللت آتي إلى المستشفى وأنتظر مع المنتظرين فأدخل تلك الغرفة التي يصطف فيها المرضى كلٌ في ركنه لا يعلم بحاله إلا ربه، تمتلئ جنبات الغرفة بأنينٍ

غير مسموع يصعب تحديد مصدره، أهو من أعماق المرضى الذين هم بين يدي الله عز وجل؟ أم من صدور ذويهم الذين يحترقون لأجلهم وينتظرون رحمة السماء وكلمة الله وإرادته؟

يصاحب ذلك الأنين المكتوم أصوات الأجهزة الموصلة بالمرضى بأسلاك تسجل قياسًا للنبض والضغط وغيرها من المقاييس التي تنبئ أنهم ما زالوا معنا.

كنت أدخل تلك الغرفة فأرى أبي نائمًا مطمئنًا مستسلمًا لقضاء الله فيه، ولكن في نفس الوقت لم يغِبْ عنه شموخه ولم تهتز هيبته وقوته.

كان قويًّا في ضعفه، مقاومًا في استسلامه، محاربًا في هدنته، كنت أراه هكذا فينفطر قلبي وأمقت عجزي، ولكن في نفس الوقت كنت فخورة به فقد كان أبي الذي أعرفه حتى في أشد لحظات المرض والضعف.

لم أكن أملك سوى الدعاء له وقراءة القرآن والتحدث إليه علَّ وعيه الداخلى يسمعني أطمئنه وأحثه على المقاومة والتمسك كما كان دائمًا، ولكم تمنيت أن يفتح عينيه ولو للحظات فيرانا ويشعر بوجودنا حوله ويقول ما في جوفه من كلمات، ولكن الله كان أعلم وأرحم به منا فكفاه أن يشعر بالألم عضويًّا كان أو نفسيًّا وآثر له أن يبقى نائمًا في هدوء.

مرت ثلاثة أيام وكلنا في نفس الوضع وكل يوم نرى ونسمع قصص أقارب المرضى ونرى بعضهم قد اعتاد الحزن حتى أصبح جزءًا منه وبات يتوقع تلك اللحظة بل يتمناها طلبًا للخلاص، خلاص مريضهم من الألم والتعلق بين السماء والأرض وخلاصهم هم من ألم الانتظار.

كم هو شعور مُر قاسٍ على من يعيشه ويبدو أن الحزن العميق هو ما جمع بينى وبينهم وتمنيت من الله ألا يضعني في هذا الموقف وأن يعفيني من هذا الشعور المميت ودعوته أن يتلطف بأبي ويكتب له الخير الذي يستحقه وكالعادة

ذهبنا إلى المستشفى وجاء موعد الزيارة فرأيت وجه أبي أكثر راحةً وطمأنينة فأحسست أنه يستعد للقاء عظيم.

مضى وقتٌ ليس بالطويل ولا بالقصير جدًّا بعد انتهاء الزيارة حتى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها في هدوءٍ وسلامٍ؛ فوفيت بوعدٍ بيني وبين ربي، وسجدت له حامدةً شاكرةً باكية وصدقًا لم يكن ذلك السجود وفاءً بالوعد فقط وإنما استقواءً بالله عز وجل وكبحًا لجماح حزني وألمي بقربي من ربي في هذه اللحظة لأتوازن وأؤدي حق أبي عليّ.

ورحت أردد قوله تعالى:

"وبشر الصابرين *الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون* أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون*.

نزلت رحمة السماء بنا وبأبي وأحسن الله خاتمته فخرج من بيت الله إلى بيت الله لتصلي عليه جموع المحبين ويشيعونه في مشهدٍ مهيبٍ لن أنساه ما حييت، يليق به وبعطائه ابنًا وأبًا وأخًا وجدًّا وصديقًا وسندًا، يليق بحياته الغنية بأحداثها ومعاركها وقراراتها وإنجازاتها، يليق بتوديع رجلٍ لن يجود الزمان بمثله كثيراً حتى استقر جسده الطاهر في مثواه الأخير.

سُنَّة الله في أرضه تحدث كل يومٍ وكل ساعة ولكنني أردت فقط الاقتراب من تلك اللحظة الخاصة وتركت الأمر عائدًا لكلٍ منا.

***

رسالة إلى العالم الآخر

نرمين أحمد دميس

أنا الكبيرة الصغيرة في حضرة أبيها.. أنا الناضجة المدللة.. أنا المسئولة المكفولة.

تصفحت اليوم ألبوم صور العائلة ومرَّ شريط حياتي أمام عيني في لقطات من الطفولة والبراءة إلى الأمومة والنضج وتصفحت معه ذكريات وحكايات مع أبي وهي على قدر بساطتها عظيمة الأثر بالنسبة لي.

لم أشعر بنفسي إلا ودموع ساخنة تسيل على وجنتي فأمسكت بقلمي وأخذت أكتب كلماتي تلك علَّها تفرغ طاقة الحزن الكامن داخلي.

نعم ذهب أبي وجاءت اللحظة التي اصطفته فيها السماء لتحلق روحه الطاهرة كشعاعٍ من نور استجاب إلى نداء الجنة ليخلد فيها آمنًا مطمئنًا.

فإن ذهب أبوك.....

يصدع سقف طفولتك فوق رأسك......

تذهب روح البيت الذي ولدت وكبرت فيه.....

تذهب النوافذ التي كنت تنتظره فيها طفلًا عائدًا بحلواك المفضلة.

تذهب ضحكتك التي مصدرها "أنا لا أخشى شيئًا فأبي هناك"

إن ذهب أبوك.....

يبقى كرسي جلوسه منحنى الرقبة وسترته التي يلبسها بلا ظهر.

تبقى أغراضه يتيمة وتتبعثر أوراقه وهي في مكانها.

يملؤك إحساسٌ عميقٌ باليتم حتى وإن عرف الشيب طريقه إلى رأسك.

تشعر بقلبك يعتصر ويدمى وهو مختنقٌ في قبضة يدك .

إن ذهب أبوك....

يختفي مقطعان صوتيان من الأبجدية.... بابا.. مقطعان لن تقولهما مرة أخرى.

آلمني ذهابك وما زال يؤلم أبي الحبيب وأشعر روحي ناقصةً دونك وأحاول التكيف على غيابك، ولكنه أمر جد صعب.

فليس سهلاً أن تتحرك كالآلة وروحك تنطوي على حزنٍ وألمٍ عميقين.

ليس سهلًا أن تظل الأرض تدور وتسحبك في دورانها رغمًا عنك وقدماك ملتصقتان بها ترفضان الحراك.

ليس سهلًا أن تغالب أحزانك من أجل من تحب، من بقي منهم ومن ذهب ولن يعود.

توحشتك كثيرًا أبي الحبيب.. توحشتُ ملامحك البشوشة.. توحشت صوتك وكلامك وضحكاتك.. توحشت ثرثرتي معك..... توحشت حبك وحنانك.. توحشت حتى غضبك إن فعلت خطأ.

ذكرياتك معي غنية، ذكريات أكثر من أربعين عامًا عشناها معًا.. أربعون عامًا هي عمري كله الذي أحببتني فيه وعلمتني وأدبتني وخفت عليَّ وكنت لي نموذجًا وخير قدوة فقد عشت عمري كله أراك هرمًا شامخًا، سندًا عظيمًا بعد الله عز وجل، سدًّا منيعًا يحمينا من أي طوفان،حضنًا دافئًا ألجأ إليه عندما أخاف وأريد الأمان، عقلًا حكيمًا مدبِّرًا إن احتجت الرأي والمشورة، وجهًا باسمًا يهوِّن عليَّ أي حزن أو مشكلة، قلبًا كبيرًا يسعني ويسع الدنيا معي.

ذكرياتٌ أطرق أبوابها حين يشتد شوقي وحنيني إليك وأنا لا أختار الباب الذي أفتحه بل أفتح أي باب لأجد خلفه ذكرى جميلة جمعتنا معًا كطفلٍ يفتح هداياه بعشوائية فيفرح بها ويتلهف لمعرفة صاحبها، ولكن أنا أعلم صاحب كل الهدايا، إنه أنت أبي.

كان يومي الأول في المدرسة فتجهزت في الزي الزهري اللون والحذاء الأسود والحقيبة الحمراء وصففت أمي شعري كما يروق لي وأرسلت رسالة إلى العالم كله "أنا جاهزةٌ لمواجهتك وبدء رحلتي معك" فقد كنت أشتعل حماسًا على الرغم من مشاعر الخوف والقلق الفطرية التي تسللت إلى داخلي كأي طفل في يومه المدرسي الأول فذهبت بصحبتك أبي واتفقنا على عدم البكاء وقلت لي:

"سأوصلك وأبقى قليلًا ثم أذهب إلى عملي فلا بكاء، تذكري".

وأمسكت بيدي وسرعان ما تبددت مشاعر الخوف والتوتر وتبدلت بمشاعر فخرٍ وأمان، مشاعر طفلة لم تتعد الرابعة من عمرها فأبي معي.

ودخلت الفصل وظللت واقفًا وعيني عليك أطمئن لوجودك وأترقب لحظة ذهابك وأخشاها، وانشغلت بأخذ لعبة أمامي لأرفع رأسي وأفاجأ باختفائك ففزعت وأردت البكاء ولكنني تذكرت وعدي لك بألا أفعل.

قد يظن البعض أن هذا مبالغٌ فيه أو كيف لطفلةٍ في مثل هذا العمر أن تحس تلك المشاعر وتتذكر تلك التفاصيل ولكن والله هذا ما حدث.

هدأت من روعي، ولكي أساعد نفسي على التماسك رأيت أبا ذا شارب مثلك أبي فأصبحت أتخيله أنت كلما غص حلقي وخنقني البكاء فقط كي لا أخلف وعدي معك ومر اليوم وعدت أقول لك:

_ لم أبكِ عندما تسللت فجأة.

ففاجأتني أنك لم تفعل بل اختبأت في ممر يطل على شبَّاك للفصل تراقبني

من خلاله عن بُعدٍ حتى اطمأننت فذهبت وأخبرتني أنك إن كنت وجدتني أبكي لعدت في الحال.

كانت تلك بذور الصداقة القوية التي بنيناها معًا أبي، علاقةٌ خاصة ذهبت معك بكل ما فيها، علاقةٌ سأعيش على ذكراها حتى تلتقى أرواحنا بإذن الله.

أتذكر أبي كيف ساعدتني على حفظ جدول الضرب بأسلوبك الجميل السلس؟

كنت توقظني للمدرسة كل صباح فأقوم نصف مستيقظة فتأخذني على رجليك وتقول:

_ ما زلت نائمة، ما زال عقلك نائمًا، تعالى نوقظه سويًّا.

وتبدأ سؤالي في جدول الضرب بشكل عشوائي أرقامًا كبيرة ثم صغيرة فأصيب تارةً وأخطئ تارةً أخرى فتضحك قائلًا:

_ما زلت نائمة.

وتكرر سؤالي حتى أجيب إجابات صحيحة متتالية عندها فقط تقول:

"الآن استيقظت، اذهبي واغتسلي وتجهزي للمدرسة"

. يتكرر ذلك كل يوم حتى حفظت جدول الضرب عن ظهر قلب وبأرقام كبيرة أيضًا."

وهذا مشهد "عم شحاتة المسحراتي" الذى كان يوقظ الناس في رمضان بصوته العميق الذي يحمل بحة أهل النوبة وأسوان وذات ليلة سمعته ينادي أبناء الشارع بأسمائهم فسألتك:

_ كيف يعلم أسماءهم؟ ولماذا لا يناديني معهم؟ فضحكت وطلبت منّي أن أحضر لك نقودًا من سترتك وناديت "عم شحاتة" وأعطيته إياها ولم تمضِ لحظات حتى سمعت اسمي ذهابًا وايابًا وقفزت فرحًا ورحت أخبر أمي التي

كانت بدورها تعد طعام السحور وكأنني سمعت اسمي على شاشات التلفاز أو في محفلٍ دوليٍّ، كان أمرًا بسيطًا ولكن تأثيره كبيرًا مفرحًا فحققته لي وفرحت بفرحتي الكبيرة البريئة.

وهكذا مرت سنواتُ العمر وأصبحت الطفلة الصغيرة عروسًا شابة وشاركتني كل تفصيلة وكنت أئتنس برأيك وأسعد بفرحتك وأنت تجيب طلباتي وتشتري ما أشتهي؛ فأنا أول فرحتك في تزويج أبنائك كما يقولون.

وكنت أختار آية قرآنيةً لتعليقها على الباب من الداخل وقد جرت العادة أن تكون سورة الإخلاص أو المعوذتين فإذا بك تجدني متحيرة فتختار "لئن شكرتم لأزيدنكم" وبعدها سألتني:

- هل تعلمين سبب اختياري تلك الآية بالذات؟

قلت: لمِ؟

فأجبتني قائلًا: إنك على مشارف تأسيس حياة جديدة وأردت أن تكون تلك الآية نصب عينيك كي تتذكري دائمًا أنه كلما شكرت ربك على نعمه زادك وأعطاك أكثر مما تتمنين فالشكر واجب ولك عليه أحسن الجزاء.

لم ولن أنسى شيئًا علمتني إياه أبي، وأعانني الله أن أعلم أولادي ما علمتني فتفخر بذريتك يوم نلقاك بإذن الله.

وها هي ابنتك المحبة الفخورة بانتمائها إليك الممتنة أن سمحت لاسمها أن يكتب أمام اسمك قد أصبحت أمًّا مسئولةً ناضجة تحاول القيام بدورها على أكمل وجه كما علمتها فكافأها الله برحلة العمر وأداء فريضة الحج.

لن أنسى فرحتك يومها وقولك:

"إن أبي لم يشهد أبناءه حجاجًا أما أنا فقد أكرمني الله وشهدت حجَّ ابنتي.. الحمد لله رب العالمين"

بكيت لكلماتك تلك كبكائي فرحًا بدعوة ربي لي وما زلت أذكر قولك لي مدللًا:

"كم تبدين جميلةً مستنيرة الوجه في ملابس الإحرام."

وظللت أطمئنك طوال الرحلة فقد كنت أعلم مدى قلقك الشديد والذي برعت في إخفائه.

وجاء يوم العودة ووجدتك مستقبلًا لي في المطار، وما إن رأيتني حتى عانقتني عناقًا طويلًا دافئًا أبلغ من أي كلامٍ، عناقًا يحمل معان كثيرة، يحمل فرحتك بعودتي سالمة وحاجّة إلى بيت الله الحرام، يحمل داخله كلمة أوحشتني وحمدًا لله على سلامتك، يحمل كلمة افتقدتك وافتقدت وجودك في العيد.

اشتقت إلى هذا العناق كثيراً أبي الحبيب وآمل أن تعانقني مستقبلًا على باب الجنة عناقًا طويلًا ولكن بلا فراق هذه المرة.

ما زال بجعبتي الكثير والكثير من الذكريات كسيل نهرٍ جارفٍ يعصف بروحي فتزداد شوقًا إليك ثم يهدأ جريانه فتهدأ روحى معه وتسكن وتتصبر بتلك الذكريات حتى الملتقى الخالد بإذن الله.

أبي... أعلم أنك لن تقرأ هذه الكلمات ويدك لن تمس حتى وريقاتي تلك لكني على يقينٍ أنك تشعر بي؛ فأنت في عالمٍ تهيم فيه الأرواح وتسمو في ملكوتٍ خفيٍّ تتواصل مع المشاعر والأحاسيس حتى يحين لقاء الأحبة في عالمٍ آخر.

إمضاء..

ابنتك المحبة المشتاقة لك كثيراً

***

ليان للنشر ولتوزيع

دمعة

إنجي طارق

كانت تلك أول دمعة تسقط من عيني منذ سنتين.. أشعر أني كنت أنتظر أن أعود لغرفة طفولتي وشبابي لتعطيني تلك الجرعة من الحنان فأذرف الدمع.. تلقى قلبي ذلك الخبر قبل أذني فبكى قبل أن تفعل عيناي.. لم أكن أتخيل في صغري أن ذلك سيحدث لي في يومٍ من الأيام.. شعرت بعدما قال لي الطبيب نبأ حملي تلك المرة أني سأنجح في الحفاظ على تلك القطعة بداخلي كما كان لدى الطبيب المتابع أمل كبير أن نجتاز الولادة ويحيا الطفل كما لم يحدث مع إخوته؛ لذلك عندما أفقت في غرفتي في المستشفى، نظرت لزوجي طالبةً منه نظرة أمل وطمأنينة فأعطاها لي وذهبَ ليحضر الطفلة التي ما إن لامست يدها يدي، وجدتني أنهار من البكاء ثم أضحك كالمجنونة شاكرةً الله.. عُدنا للبيت وكلما أنظر لها، لا أصدق أن ما كان في أحشائي قد عاش وأثمَر عن تلك الفتاة التي أسميتها "حياة"، فقد كانت حياة لي ولوالدها، فقد نفخت الروح في أجسادنا بعد أن كنا أجسادًا بالية.. سنتان من الفرح والسعادة، سنتان من النعيم والحظ والرزق الوفير.. سنتان كانا بداية لجحيم آتٍ لم يكن في الحسبان.. اليوم، عدنا للبيت بعد يوم طويل قضيناه بالخارج عند والدتى.. وضعت "حياة" في غرفتها وذهبت لغرفتى وكان زوجى يقوم بتغيير ملابسه.. فجأة، وجدت صراخ "حياة " يملأ أرجاء المنزل.. ركضنا عليها،

فقد تخطى صراخها الحد الطبيعى.. حملها زوجى وركضنا وأوقفنا تاكسى، فلم يكن منا من يقدر على القيادة في ظل غياب أعصابنا وتركيزنا مع " حياة ".. وصلنا المستشفى ودخلت للكشف، فأمر الطبيب فورًا بدخولها للعمليات.. كنت سأسأل ما بها ولكني لم أجرؤ حتى لا أُصدَم بخبر مرضها الواضح على ملامحها وصراخها ولكن ينفيه عقلي.. عندما دخلت مع الطبيب غرفة العمليات، وجدتُ نفسي أسقط على ركبتي ولكن بلا دموع وزوجي يحتضنني ليخفف من آلامي وآلامه.. نصف ساعة من الدعاء والخوف انتهت بخروج الطبيب فركضنا إليه.. كان على وجهه علامات الأسى ثم قال بأسفٍ:

-البقاء لله.

تمنيت لو قطعت أذني قبل أن أسمع تلك الكلمات.. سقط زوجي وأخذ يبكي ولكني لم أبكِ.. خرجت من المستشفى ولم أسمع لنداء زوجي.. وجدت نفسي أمشي لا أعلم إلى أين ولكن روحي دلتني أن أسير حتى وقفت أمام منزل أمي.. صعدت الدرج حتى وصلت وأخذت أطرق الباب حتى فتحَت أمي.. لم أتكلم كلمة واحدة ولكني دخلت غرفتي..

احتضنتني غرفتي حتى إنني مع أولى خطواتي بداخلها، سقطت تلك الدمعة التي جرى وراءها نهرٌ من الدموع.. نمت على الأرض كما كنت أفعل وأنا صغيرة عندما أحزن.. شعرت وقتها أن روحي تتسلل وتنسحب.. تركتها وتمنيت أن ألحق بابنتي وأن تكون تلك نهايتي..

***

اختفاء

إنجي طارق

- كانت مفروض تيجي من ٣ ساعات.. راحت فين ده كله؟؟ ده لو أبوكي عرِف هيدبحها ويدبحنا.

قالتها الأم وهي تجوب في كل أرجاء صالة المنزل بتوتر وابنتها الصغرى تجلس أمامها.. أثناء تفكيرهما، دخل الأب البيت ثم أغلق الباب من ورائه ثم نظر لهما قائلًا:

- السلام عليكم.

ردتا عليه بابتسامة مزيفة شعر بها، فقال:

- مالكم؟!

فلم تجيباه، فقال :

- بلاش مالكم.. أومال فين سلمى؟ أكيد رجعت تعبانة من الدرس ودخلت تنام.. هدخل أطمن عليها.

انتفضت الابنة وأسرعت الأم تعترض طريقه قائلة بتوتر:

- لأ لأ استنى يا حاج.. سل.. سلمى مش جوه.

نظر لها بدهشة ممزوجة بغضب قائلًا:

- مش جوه؟؟ ليه؟؟ دي الساعة داخلة على ١٢ ودرسها بيخلص ٨.. البت فين يا أمل؟

قالت وقد انفجرت قناتها الدمعية بعد أن كانت تحاول التماسك:

- ما أعرفش.. ما أعرفش.. موبايلها مقفول ومش عارفة أوصلها.

قال وهو يمسك بهاتفه ويتصل على رقم ابنته وكأنه لا يصدقها:

- سيبها يا حاج تروح الدرس لوحدها زي زميلاتها، سيبها يا حاج البنت كبرت، الحرية وزمانهم غير زماننا.. خلي الحرية تجيبلك بنتك يا اختي..

قالت وهي تبكي:

- ما ننزل ندوَّر عليها طيب.

قال وهو يتجه نحو باب البيت:

- هنزل أدور عليها عند السنتر كده، وإنتي خلي بالك من الصغيرة، هتعرفي؟؟

لم ينتظر إجابتها وانطلق في الشوارع يبحث عنها حتى اقترب من سنتر الدروس الخصوصية، فوجد تجمعًا كبيراً هائلاً.. فخرج من سيارته وركض وقلبه يخفق بشدة.. دخل وسط الجموع حتى وصل للمنتصف ليجد شابًا غارقًا في دمه.. دمعت عيناه ثم نظر لرجل كان يقف بجانبه وسأله قائلًا:

- إيه اللي حصل؟

قال الرجل:

- واحدة خارجة من السنتر ده سبِّتها واد كده، رفضت تطلّع اللي معاها فمسكها من إيدها وكان هيمد إيده عليها، فجرى الولد ده يدافع عنها فراح غزُّه ووقَّع البنت وجري.

فزع الأب ثم قال قلقًا:

- وفين البنت دي؟؟

قال الرجل:

- ودوها مستشفى قريبة من هنا كده.

هز الأب رأسه إيجابًا وفي عينيه دموع تحارب للنزول وانسحب واتجه للسيارة وركبها وتحرك بها.. أخذ يتلفت وهو في سيارته يبحث عن تلك المستشفى حتى وجدها.. نزل من السيارة ودخل المستشفى ووقف في صالة الاستقبال وقال للموظفة الموجودة بضعف:

- لو سمحتِ!! في واحدة جاتلكم في حادثة اسمها سلمى محمود.

استأذنته الموظفة في دقائق قليلة لتبحث عن الاسم.. أدخلت اسمها وعندما ظهرت النتيجة، ظهر القلق على وجهها ونظرت للأب ثم قالت:

- مش موجودة عندنا حضرتك، متأسفة.

فابتسم في ألمٍ وتلك المرة لم تستطع دموعه فانزلقت من عينيه تعلن عن ألمه الشديد واستأذن منها وخرج من المستشفى بخطوات ثقيلة قصيرة.. وصل للسيارة وركبها واتجه لمنزله وقلبه يكاد ينخلع..

بعدما تأكدت الموظفة من رحيله، أمسكت بالهاتف وضغطت على رقم ١.. انتظرت بضع دقائق حتى جاءها الرد من الجهة الأخرى فقالت:

- حد جه سأل على سلمى محمود البنت بتاعة الحادثة وأنا قلتله إنها مش موجودة.

هزت رأسها إيجابا وأغلقت الخط.

- مين يا سمير؟

قالها رجل ذو قامة متوسطة يرتدي بالطو أبيض يتقدم من آخر السرداب.. ردَّ سمير قائلًا:

- موظفة الرسبشن بتبلغني إن حد جه سأل عن البنت الجديدة وهي قالتله إنها مش موجودة وأمرتها إن لو حصل حاجة جديدة تبلغنا يا دكتور.

هز الطبيب رأسه ثم قال وهو يمنح سمير حقنة:

- ميعاد مصل سرير رقم ٥.

أمسك بها سمير وجال بين سرائر مليئة بالشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ال ١٨ إلى ال ٣٥ فاقدين وعيهم ووجوههم شاحبة.. وصل للسرير وأفرغ محتوى المصل في محلول سرير رقم ٥ ثم قال:

- إلا قولي يا دكتور مين الناس اللي بتبعتلنا الأمصال دي وعايزة إيه من كمية الناس اللي بنبعتهم دول واللي لسه عندنا؟؟

قال الطبيب وهو يجلس على كرسيه:

- وإنت مالك!! إنت ليك أكل ولا بحلقة!! ناس بيدونا فلوس كتيرة مقابل خدمة بنعملهلم.. ماتشغلش بالك كتير بمين دول، ولا حتى تشغل بالك بالناس دي ومستقبلهم وأُسرهم، عشان مستقبلهم كان كده كده ضايع وأهاليهم هيعيشوا حياتهم بعد سنة واحدة، فكر بس في الفلوس..

***

شربة ماء

سمية سعد دويدار

يتعالى دبيب النغمات يزلزل الأرض تحت الأقدام ويتصاعد في الهواء مع سحابات بيضاء كثيفة تخرج من الأنوف والأفواه ممزوجة بروائح مختلطة لزجاجات وعلب كثيرة مختلفة الألوان والأحجام، مع تراقص الفتيات والشباب المحموم بملابسهم الفاضحة الكاشفة لأجسادهم ومفاتنهم فتبرز وتثير أكثر مما تستر وتُخفي، واختراق ضحكاتهم الصاخبة الماجنة للأجواء بجنون، وأذان يُرفع ويصدح على استحياء من بعيد من إحدى الشاشات العملاقة وقت الفاصل الإعلاني، أثناء تخلل أشعه الشمس الذهبية للماء الدافئ والتقام الشاطئ بعنفٍ للموج الهائج الهادر، بينما يتجه هو للأسفل بكل فزع ومقاومة في محاولة منه للفت الأنظار إليه بإصدار أي ضجيج.. فتزيد مقاومته من سرعة هبوطه واختفائه عن سطح الماء..

يتمنى أن يصل صراخ قلبه للأسماع، أمعقول أن تكون هذه هي النهاية؟ بهذه السرعة؟ في عنفوان شبابه وصحته! بكل سطوته ونفوذه!! شربة ماء تقهره وتُهينه!! شهقه ترديه صريعًا؟؟ يضرب بيديه وقدميه بكل قوة ليحس به أي أحد من أصدقائه، رغم تأكده أنهم مغيبون ولن يشعر أحَدهم بغيابه ربما لساعاتٍ

قادمة، جُل أمله الآن أن يعثروا عليه قبل أن يجرفه التيار ويصبح السمك جاره والبحر قبره ليوم القيامة، ثوانٍ تمر كدهور، تسكن حركته وتتشوش رؤيته مع صمت صوت أفكاره تمامًا، بينما يعلو صوت الحياة بالأعلى ويخبو بريقها في عينيه نهائيًّا وهو يستقبل الرمال بصدره ويستقر عليها في يأس وذهول..

❊❊❊

حُلم وأمل

سمية سعد دويدار

يتسلل ضوء الشمس من خلال الفرجات الضيقة كضيق نفسه وروحه المسجونة في صدره، فلا تتضح الصورة ومعالم المكان، وتظل العتمة هي البطل الرئيسي في المشهد، لتزيد الغمام على عينيه وقلبه مع تراكم العبرات المحبوسة فتزاد الرؤية تشوشًا وضبابية، سقط في جب التفكير ليجد النجوم الغائرة تلوح له من بعيد، متى رحلت الشمس؟ ومتى علت النجوم وزينت السماء؟ لا يعرف كم مر من الوقت، ما يعرفه أن اليوم مضى كسائر الأيام التي سبقته وأبقته محتجزًا في سريره ضائعًا بين أحلام ماضيه ومستقبله..

عفى عليه الزمن وهو على هذه الحالة المزرية، مقيدًا بين شرائح المسامير وطبقات الجبس التي تعلو جسده النحيل وتُحِيله إلى تمثال ينبض فقط قلبه خافقًا بالحياة، تتحرك عيناه في محجريهما ببريق خبا فيه الأمل، يشير بهما إلى ما يريد ولا يستطيع إليه سبيلاً، وروتين يومي لممرضات أصبح يعرف أسماءهن وإجازاتهن لطول مدة مكوثه في المشفى، يحركنه كالآلة بترتيب وعدات سويًا ليقلبنه وينظفنه ويحممنه ويطعمنه كرضيع بين أياديهن، كلهن يعاملنه كصنم لا يحس ولا يعي ما يحدث حوله، رغم أنه مفعَمٌ بالمشاعر والأحاسيس لا يشي بها إلا بعض عبرات تذرفها عينه كل حين ليرتاح بها بعض الوقت ريثما تتكون دفقات منها مرة أخرى..

واحدة فقط يشعر بها تنظر لوجهه تتفرس ملامحه، تلمع عيناها إذا صادفت وتلاقت مع عينيه، لحظتها وفقط ينبض قلبه بالحياة لوهلة ثم يخبو الوهج إذا ولَّت مدبرة وتركته في مخدعه، أصبح ينتظر كل يوم ليأتي موعدها المرتقب، أمله لحظات تقلبه فيها، تغرس في جسده المحاليل والأدوية وتولي مرة أخرى، يقدح زناد فِكره ما العمل؟ كيف يوصل لها إحساسه الذي يعتلج في صدره؟ كيف يشاركها أفكاره التي تسيطر عليه؟ يشعر أيضًا أنها تعامله باختلاف، تتعامل معه كإنسان يفرح ويحزن، يبكي ويضحك ويتألم ليس بحجر، رغم أن الأحجار تحس وتتفجر منها الأنهار وتخشى الله، يؤمن بالمعجزات وبتجليها في عالمنا، و يتمنى تحقق معجزته الخاصة وتجليها في عالمه، أن يخرج صوته لمناداتها باسمها "أمل"، أن تتحرك يده ليمسكها ويبقيها بجانبه إذا حان وقت رحيلها بعد انتهاء مهمتها معه، أن لا تتركه كشظايا بلور مفتتة بعد ذهابها، هي لحظات معدودة في اليوم يتذوق فيها طعم السعادة ويسافر وجعه فيها إلى ما وراء النجوم، أتت ومضت، ومضت وأتت، ولا يدري هل سيتحول الحلم إلى حقيقة؟ أم أن الحلم يُولَد حلمًا ويموت حُلمًا ويظَل حُلمًا إلى ما لا نهاية؟؟

***

أعباء

نيرة مجدي

اعتذرت أم سعيد عن المجيء اليوم، لذا فعليها الاعتناء بالصغير والقيام بكل مهام البيت وحدها رغم الإنهاك والاكتئاب، فهم قادمون الليلة للتهنئة بالمولود الجديد.. ليته يرجع مبكرًا ليمد يد العون، اتصلَت به لتطلب منه إحضار بعض مستلزمات الضيافة ولتحثه على سرعة الرجوع فردَّ قائلًا: "أشك إني هاجي قبل ما همَّا يوصلوا، شوفي حد تاني يجيب اللي إنتي عايزاه.. أو اتنشطي كده شوية وانزلي جيبيهم إنت".

لم تنطق بكلمة واحدة، فقط أغلقت الهاتف ثم حملت الصغير متجهة إلى باب البيت قاصدة بيت أهلها غير عابئة بشيء.

***

بالنكهة الايطالية

نيرة مجدي

بعد ما استمتعت بأكثر من ساعة في واحدة من أشهر مكتبات إيطاليا وأنا في طريقي للخروج منها فجأة سمعت صوت محبب جدًّا لقلبي ومن ورا الباب الإزاز شُفت حبات اللؤلؤ بتتنطت وبتتنتور على أرض الشارع.. فرحت أوي بس احترت أكمل الطريق وألحق أرَوّح قبل ما تشتد ولا أستنى وأعيش مشهد من أجمل المشاهد ولحظة من أحب وأغلى اللحظات بالنسبة لي..

قررت أستنى ومن كتر فرحتي بقيت مش عارفة إزاي أسجل اللحظة دي وإزاي أعمق إحساسي بيها وأحتفظ بيها لأطول وقت ممكن.. لحظة نادرة وحلوة أوي ويمكن اللي زوِّد حلاوتها إنها حصلت وإني عايشها فعلًا دلوقتي.. لحظة متجمعة فيها حاجات حلوة كتير بحبها.. صوت المطر بره، غلاف كتاب جديد لسه ماتناش، الكتب اللي حضناني من كل ناحية، ريحة القهوة المبهجة، وجودي في إيطاليا نفسه وإحساس بالدفا رغم البرد وبالأمان رغم إني مش عارفة هروح إمتى ولا إزاي.. بس أنا دلوقتي متأكدة إني مبسوطة ومبسوطة أوي كمان وما عنديش استعداد أتنازل عن انبساطي ده لأي سبب..

حالة كده لخصت الإحساس بالحياة ومواقفها واختيارتها الصعبة اللي دايمًا

بتفكرنا إنه ما ينفعش ناخد حلاوتها إلا لما نقبل المغامرة أو حتى المخاطرة وساعات كمان التضحية بحاجات تانية.

فخلينا فاكرين إن اللحظة الحلوة دي عشان نعيشها لازم نستحمل لحظة تانية صعبة وإحنا راضيين عشان القناعة والرضا بإن كل شيء له تَمَن أو وجه آخر هو اللي هيخلينا نتمتع بحلاوة اللحظة من غير ما تمنها يفسدها علينا وهيخلينا ندفع التمن بطيب خاطر وإحنا مش حاسين إننا مظلومين ولا إن الدنيا جاية علينا إحنا بالذات لأن الحقيقة إن ده قانون الدنيا وده حالها..

بصراحة مش عارفة أقول غير الحمدلله على نعمة جت مفاجأة.. على لحظة سعادة بالنكهة الإيطالية.. شكرًا يا رب..

***

لِمَ يا ترى؟

نيرة مجدي

رغم القرار والاقتناع والرضا.. في كل مرة أتركها فيها، في ذات اللحظة، أجد قلبي متبعثرًا مترقبًا وجعه القادم.. حين تجافي عجلات الطائرة أرضها الحبيبة فينخلع قلبي ذارفًا دمعه على مصير هذه الرحلة والذي لم يختلف عن سابقاتها اللاتي عَز فيهن جميعًا اللقاء.. يعلم قلبي أن اللقاء لا يحده مكان ولا زمان ولكنه ظن أنه كاد يرتوي بما طال انتظاره..

حين أُقِن أنه لم يعد بإمكاني أن أخطو على أرضها.. في تلك اللحظة بالذات، أسمع بكاء قلبي المكتوم، يواري دموعه خوفًا من تأنيبي له بل من تعنيفي له على هذا الضعف الذي مازال يسكنه، على هذا الميل الذي لم يستقم بعد.. أسمع بكاءه يأتي من مكانٍ بعيد جدًّا ليخبرني أني ما زلت أترك في هذا البلد أكثر من مجرد ذكريات سائحة، ليؤكد لي أني ما زلت أترك فيها من روحي ونفسي الكثير بل أكثر مما أحمل معي.. أترك فيها حُلمًا مُجهَضًا ومشاعر جارفة مبعثرة وقلبًا ود لو طار فرحًا..

في تلك اللحظة أشعر بمعنى الانتزاع وكأن أجزائك تُخلع منك رغمًا عنك..

قد لا يكون بكاء قلبي على ذاتٍ بعينها، فلعله يبكي على الأمل المخذول.. نعم هو كذلك.. أو.. أظنه كذلك..

يبكي قلبي على ما فقدَ في هذا البلد الأثير ولم يُفلح أبدًا في استرداده، فهو رغم سعيه الجاد للخلاص إلا أنه لا زال هناك شيء ما وإن بدا ضئيلاً إلا إنه على ضآلته ثابتًا، ضاربًا بجذوره في أعماق قلبي، يأبى الموت.. يهمس لي برفق ليُذكرني أنه ما زال حيًّا.. ليُذكرني أنه على ضعفه ما زال ينبض.. يظنني نسيت أني دفنته حيًّا لتسكن أوجاعي، لأُلَملِم ما تبقَّى مني.. نعم لقد كان حيًا بل ممتلئًا بالحياة حين أهلت عليه التراب واستدرت مهرولة مُسرِعة الخُطى، صامة الآذان هربًا من شفقة قد تتملكني فتعيده للحياة، فهو وإن كان وأدُهُ مؤلمًا فإن بقاءه كان مهلكًا وأنا لم أعد أحتمل..

إلا إنه رغم وَئْده لم يمت، ما زال هناك في أعمق أعماقي.. متماسكًا.. حيًّا.. يتحين الفرص للعودة..

حقيقةً، أنا لا أعرف لمَ يا تُرى لم يمت بعد؟

هل أسأت الدفنة أم أتقنت الاحتفاظ أم أنه حقًا غير قابل للموت؟

***

تعريف

نيرة مجدي

قالوا لي عرفينا بنفسك، قلت: "أنا لا أعرف من أين أبدأ فالتعريفات كثيرة ومعقدة.

فأنا أشعر أني في بحرٍ متلاطم الأمواج وإن بدا الشاطئ هادئًا، تتقاذفني الأفكار، تشُلني المخاوف ويُمنِّيني الأمل، تتصارعني الخواطر والهواجس فتحيط بي من كل اتجاه حتى تفقدني بوصلتي، حتى تخور قواي، فيتضاءل أملي في النجاة، فلا أدري أي الطرق طريقي حقًا وأيهم وهمًا تصنعته لنفسي..

أتأمل فأجد أن سنوات الاجتهاد والبذل والمثابرة لتحصيل العلم وللترقي في العمل وحتى إقرار الآخرين بنجاحاتي لم تشفع لي عند نفسي لأنعم بالسلام الداخلي ولتُعَطَر أيامي بعبير الرضا عما حققته فيما مضى من عمري.. .

فما زال ذاك الصوت هناك ينادي، يهمس مرة ويصرخ مرات يعيد ويكرر بلا يأس.. يتوسل إليّ لفك أسره، لإطلاق عنانه، لفتح بابًا يتنفس منه بلا خوفٍ من رقيبٍ وبلا حساب لرأي قريب أو بعيد، يدعوني لأثق به، لأتخلى عن أوهام الفشل والرفض، يقسم لي أن هناك ما يستحق المحاولة وأنني أبدًا لن أندم، أن خسارة الترك أكبر بكثير من خسارة التجربة، يؤكد لي أن ثمة حياة أخرى تنتظرني تشرق فيها ألف شمس وتعطرها ألف زهرة..

أنا الآن أراني واقفة خلف باب نفسي، أتطلع إليها بطرفٍ خفي، أنصت إليها بحذر وهي تفاوضني على الخروج بلا ضمان، فتتسارع دقات قلبي خوفًا من استجابة تأخذني إلى حيث لا أعلم.. تُبدل مفردات عالمي البسيط، تدخلني معارك لم أحسب لها حسابًا، تورثني أحقادًا، تدخلني عوالم لم تخطر يومًا ببالي.. لا بل خطرت، بل تمنيتها وسعيت إليها لكن على استحياء، كنت كلما أقترب أبتعد، كنت في كل مرة أُسكت ذاك الصوت راكنة إلى دفء ما أَلِفت، عائدة من حيث أتيت، آمنة مكر المجهول وإن صاحبني وخز الضمير، نعم، ففي كل مرة كان فيها الهروب اختيارًا، كنت أشعر أني مذنبة في حق شخصٍ ما، خذلت شخصًا ما، متجاهلة حقيقة أن ذلك الشخص ما هو إلا أنا نفسي.. يا له من شعور كريه سئمته.. غير أني أظنه قد أوشك على الرحيل فشيء ما يخبرني أنني يومًا ما سأستجيب.. عسى أن يكون قريبًا!"

***

أستودِعك اللّه

نيرة مجدي

كم من اللحظات والمواقف والحكايات والأحلام والأوجاع وحتى المشاكل وددت لو شاركتك إياها، لو سمعت تعليقك عليها، لو رأيت نظرة عينيك وأنا أُرويها لك، لو أثلَجَت صدري ابتسامة تشجيع منك، لو طمأنْت قلبي بكلمة حانية، لو أذبْت مخاوفي بنصيحة صادقة، لو محوت هموم يومي بدعوة رقيقة، لو فقط سمعت صوتك الذي لطالما أطربني نغم كلماته..

تعرف، كلما رأيت أحدهم أجدني أبحث فيه عن شيءٍ منك.. نبرة صوتك المميزة، نظرة عينك الطيبة، ابتسامتك الحانية، وجودك المهذب، هيئتك الأنيقة.. فلا أجد في أيٍ منهم سوى شيءٍ واحدٍ، نعم شيء واحد فقط، فيزيد حنيني لما فقدت وافتقد، فيزداد حماسي لمواصلة البحث مع علمي أني لن أجد بقية الأشياء، فكيف لي أن أجدها وقد اجتمعت كلها فيك أنت وحدك، وأنت لم تعد هنا، أنت بعيد.. بعيد جدًّا رغم أني ما زلت أشعر بك حولي وأسمع كلماتك تتردد في فضائي البارد، لا زلت أذكر تعابير وجهك حتى إني أصبغها على الآخرين في محاولة بائسة لاستحضارك، لأراك، لأروي حنينًا لا ينضب.. إلا أني كلما حاولت كلما تأكد لي بعدك وكلما امتلأت حنينًا حد الاختناق.. حنين لم تخل رقته من القسوة، حنين ناعم كحد السكين، كخيوط حريرية تضافرت فاستغلظت واستقوت ببعضها البعض لتلتف خلسة حول عنقي..

وهنا.. يحملني حنيني الجارف وعجزي العميق على فعل شيء واحد لا أملك سواه.. أن أستودِعُك الله، أستودعه سبحانه كل ما فيك، قلبك وعقلك وأفكارك وروحك وحديث نفسك، أستودعه ملامح وجهك وعافية جسدك وسلام نفسك، ثم أتركك بين يدي رحمة الله.

فأنا أشعر بالكثير من الطمأنينة والراحة حين أستودِعُك الله، حين أُسلِمُك لله، حين أتركك في جواره الكريم وبين يدي رحمته، حين أُوصيه سبحانه أن يرعاك ويحفظك، حين أطلب منه مستجدية أن يتولى أمرك وينير دربك بنوره تعالى، حين أُوَكِله في أمرك نيابة عنك آملة ألا يرد الله هذه الوكالة، حين أتوسل إليه أن ينظر إليك نظرة رضا، أن يجتبيك ويهديك ويصلحك ويُرجعك..

أستودِعُك الله مستحضرة حال أم موسى عليه السلام فيمتلئ قلبي بفيض من الشفقة والرحمة عليها وعلى وليدها فأقول لنفسي فما بال ربي الرحمن الرحيم، فيطمئن قلبي ويسكن اضطرابه غير آمن موجة الحنين القادمة فلا يجد سوى التوجه إلى الله سائلًا الحماية والتثبيت والمدد ليجتاز القادم بأقل الخسائر وبما أمكن من المكاسب..

فاللهم إني أستودِعُك قلبًا هو قلبي وروحًا أحبتها روحي وأملا سكن بين جنباتي.. اللهم إني أستودعك مَن لا يقدر على حفظه ورعايته سواك، فاحفظه بعينك التي لا تنام واشمله برعايتك واكفه شر نفسه وشر كل نفس حتى نفسي!

***

اجتياح

نيرة مجدي

تجتاحه من وقت لآخر موجة عارمة من الحنين، تداهمه فلا يعرف لها باعثًا ولا يذكر لها مقدمات، تعصف به بإصرار يُهيج أدق التفاصيل، يُحْييها.. يبعثها من مرقدها.. ذلك الذي ظننتها دُفنت فيه بلا رجعة، وكأنها انتبهت من غفوتها لتخبره أنها أبدًا لن تموت وأبدًا لن تستجيب لمحاولاته المستمرة للخلاص منها وللتحرر من قيودها..

فلا يجد نفسه إلا كمن افترش شط بحرٍ هادئٍ، ممنيًا نفسه بلحظاتٍ من الاستجمام، فيتمدد على رماله لا يطاله البحر إلا برزازٍ يداعب برقة قسمات وجهه المنهك ليبدأ رحلة استرخاء تغسل ما علق به من هموم الدنيا وآلامها..

فما كان من الأمواج إلا أن باغتته بصفعة قوية مخيبة آماله، متمردة على حلمه البائس، كاشفة له عن حقيقة أراد هو أن يتغافل عنها طمعًا في هدنة يضمد فيها جرحه الغائر، فلم يجد نفسه إلا وقد انهدم حلمه وتبعثرت أشياؤه.. بل.. أشلاؤه بين أذرع البحر الغاشمة وهو وحده مصدومًا مُرَوعًا يُجاهد حتى لا تنزلق قدماه، يحاول لملمة أشيائه الحبيبة فينقذ ما ينقذ ويفقد ما يفقد..

ثم تهدأ الأمواج فيرجع ركضًا إلى الوراء هربًا من هجمة جديدة تفتك بما بقي له من أشيائه أو به هو نفسه.. ثم يقف.. متلاحق الأنفاس.. مضطرب الأطراف..

مخذول الأمل.. حزين القلب.. يحاول أن يستجمع قواه.. ثم يلتفت ناظرًا للبحر معاتبًا إياه في صمت بليغ..

تمر دقائق قليلة قبل أن تأسره زرقة البحر وصفاء مياهه فيتجدد أمله في تحقيق حلمه البسيط بعد ما زاد من المسافة التي بينه وبين البحر ليأمن غدر أمواجه..

ولكن، ولسوء حظه، تأبى الأمواج إلا أن تعيد الكرة.. لتلقنه ذات الدرس.. لتخبره أنه ما دام في حرمها.. فأبدًا لن ينجو من بطشها وكأنها تدفعه دفعًا للرحيل التام عن شاطئها وإلا فإنه سيبقى أسهل فرائسها وستنال منه كل حين..

ثم تعود الأمواج لهدوئها الزائف وكأنها تمنحه فرصة أخيرة للرحيل الآمن ولكن.. كيف له أن يرحل وإلى أين يرحل وقد بدت له كل الدروب شواطئ على ذات البحر؟

***

قصة قصيرة

نيرة مجدي

أحبته فأحبتني بل أحبت كل ما ينتمي إليه. وقع اختيارها عليَّ حين رأتني في تلك البلدة القريبة جدًّا من بلدته الصغيرة التي لطالما تمنَّت لو زارتها ولطالما رتبت في خيالها لرحلة قصيرة لها لتطل على بعض ما تقع عليه عيناه فتُزيد من المشترك بينهما وإن بقيَ الاختلاف عميقًا..

تمنت ورتبت ولكنها أبدًا لم تفعل، فقد كانت فكرة الاقتراب من حرَمِه تزرع في نفسها رهبةً ما. ربما كانت تخشى أن تزداد تعلقًا أو أن تجدد أحزانًا أنهكها إخمادها أو ربما تخشى أن تجمعهما صدفة وإن تمنتها وتاق إليها قلبها الصغير وربما كل هذه الأسباب اجتمعت في نفسها فمنعتها.. فكنت أنا بديلًا عن حلمٍ تائه في جنبات خيالها.. اختارتني لترجع بدليلٍ على أنها كانت هناك.. على أنها كانت قريبة جدًّا.. اختارتني مُسَكِنًا يُعينها على موجات الحنين.. اختارتني لتأخذه معها دون أن يعترض، لتأخذه معها رغم أنف الموانع التي فرقتهما، فالمانع الوحيد لاقتنائي هو ثمني والذي دفعته راضية غير عابئة باستغلال البائع لتلك اللهفة التي بدت واضحة في عينيها الحزينتين.

ناولت البائع النقود ثم أمسكت بي بلطف بالغ ونظرت إلى نظرة حانية لا زلت أذكرها إلى الآن ثم تنهدت قائلة: "ليت ما حال بيننا يحله المال"..

حين أمسكت بي لأول مرة شعُرت بنبضات قلبها الدافئ بحبه تتسلل إلى جزيئاتي فتبعث فيها الحياة.. فتثير فيني شعورًا لم أعرفه من قبل، لم تكن هكذا يدا بائعي ولا يدا صانعي، كانت أياديهما باردة قاسية، أما هي.. فتحتضنني بحنان طاغ وكأنها تحمل قلبه بين كفيها الصغيرين وكأنها تحمي حبًّا أو تخفي سرًّا لا يعلمه سوانا.

كانت تخشى عليَّ من أي أذى، أظنها كانت تخشى أن تفقدني كما فقدته حتى إنها ترددت كثيرًا قبل أن تُخرجني من علبتي بعد عودتها لبيتها.. لم تضعني مع قريناتي في خزانة المطبخ بل اختارت لي مكانًا مميزًا على رفٍ عالٍ في مكتبتها الذي تعتز بها كثيرًا. أعلم أنها مَيَّزتني فقط لأجل خاطره، وضعتني هناك وهي تقول لي سأدخرك لمشروبي المفضل في يومٍ خاصٍ جدًّا..

مرت الأيام ويدها لا تمتد إليَّ أبدًا، فقط تنظر إليَّ نظرات طيبة وتُتمتم ببعض الكلمات وهي تبتسم ثم تمضي إلى شأنها، إلى أن كانت صبيحة أحد أيام الشتاء القارسة، وقفت أمام المكتبة وهي تنظر إليَّ نظرة طويلة حزينة ثم أمسكت بي بيدين مرتعشتين، حين اقتربتُ منها رأيت اضطراب وجهها وعينيها غارقتين في بحور الحزن، فانقبض قلبي وتلاحقت أنفاسي خوفًا عليها وأنا أُحدِّث نفسي "لا يمكن أن يكون هذا هو يومها الخاص الذي ادخرتني من أجله". كنت متلهفة لسماع صوتها يروي ما حدث. مرت دقائق ثقيلة قبل أن أسمعها تُتَمتم بصوت تخنقه الدموع ببعض كلمات العتاب المبطنة بكثير من الحب والمغلفة بفيض من الرقة.

كانت مع كل رشفة تبثني حزنها وأوجاعها.. كانت تعاتبه على شيءٍ لم أفهمه ولكنه آلمها بشدة حتى إنها قررت أن تثأر لنفسها فاختارتني أنا بالذات، أيقونة حبها، لتُخلِّد لحظة الألم تلك.. حتى لا تنسى ولا تضعف ولا تصفح، ولأتحول أنا إلى أيقونة ألم، اختارتني لتظل تذكر أنه لم يكن سر سعادتها المنشودة، لتستقوى بهذه الذكرى علَّها تبدأ خطوة على طريق النهاية التي بدت آتية لا محالة.

مرت شهور وأنا على رفي العالي لا تمتد إليَّ يداها وإن كنت ألمح في عينيها الكثير من الحنين، أظنها كانت تخشى أن تنظر إليَّ، كانت تخشى أن تضعف، فقد بدت عازمة على طي صفحته إلى الأبد، وكنت كلما تأكد لي عزمها، كلما ازداد خوفي على مصيري، كنت أترقب لحظة تخلُّصها مني لتمحو كل أثرٍ لذلك الحب الذي أتى بي من بلدي لأقبع على هذا الرف العالي، لأشهد نهاية وددت لو ما كانت أبدًا.

تمر الشهور والسنين وهي على حالها وأنا على حالي، في كل مرة تقترب فيها من المكتبة يتجدد أملي في أن تمسك بي لأخبرها كم أشتاق لدفء راحتيها الحانيتين، لأرجوها ألا تحرمني من جمال القُربِ منها، لأخبرها أن عينيها الجميلتين تستحقان الفرح، لأقسم لها إن الألم إلى زوالٍ، وأن عوض الله آتٍ لا محالة، لأخبرها بالكثير علّي أُخفف عن قلبها الصغير ما يُكابد وحده.. حتى جاء يوم العيد وبينما أنا غارقة في أمانيّ ودعواتي الخفية لها، إذا بها تقترب وترفع يدها لتمسك بي، يا إلهي! أتُراها فطنت لحديث نفسي؟ أم اصطلحا؟ هل غفرت له؟ أم غلبها الحنين فلم تجد خيراً مني ليخفف عنها أو ليقويها على النسيان؟

لا أدري، ولكنها تبدو بخير، غير أنني لم أجد بين كفيها ذات الدفء القديم، لم تصلني نبضاتُ قلبها المحب، كان لدقاته وقع جديد.. هادئ.. منتظم.. لا يتناسب مع حال المحبين، فعلمت حينها أنه لم يَعُد يسكن قلبها الصغير وأنها بالفعل طوت صفحته بكل ما فيها، فتوجست خيفةً فقد أيقنت أن لحظتي قد حانت، وانتظرت أن ألقى مصيري مهشمة في أقرب سلة مهملات.. غير أنها أمسكت بي برقَّةٍ ثم وضعتني على الطاولة وسكبت فيّ مشروبها المفضل وقبل أن تأخذ رشفتها الأولى سمعتها تقول وقد اعتلت وجهها ابتسامة رضا "الحمد لله على ما لم يكن" فتنفست الصعداء وابتسمت مطمئنة أنها لن تهجرني ثانية وأني لن أُحرم ودها بعد الآن، فأنا أرتاح كثيراً بين يديها الصغيرتين الحانيتين!

***

آسر

سوسن رضوان "وصيفة الرضوان"

وقفت شاردة استغرقها النظر إليه، لا تستطيع التحدث معه، وهي ترى الكل يقترب منه ويداعبه وهي أبدًا تنظر من بعيد، قد تصادفه أحيانًا وتلقي السلام عليه، يجدها متحفظة فيبدأ في مشاكستها، وهي أبدًا تحافظ على المسافة بينها وبينه؛ حتى أتى هذا اليوم وجدها تقف على مقربة منه، مستغرقة في أحلام اليقظة، والتي غالبًا ما تداهمها وهي تقف بالقرب منه؛ حتى أخذ في الاقتراب منها بسرعة؛ حتى لا تفلت منه هذه المرة، وأغرقها في أمواجه العاتية!

***

صرير الحنين

سوسن رضوان "وصيفة الرضوان"

جالسة هي تفكر في عمرها قاربت على الستين زوجة، وأم، وجدة هل حققت كل ما أرادت؟ أخذت تعبث بأدراج مكتبها، تبحث عن شيءٍ لا تدري كنهه هذه ورقة من أيام المدرسة، وهذه من أيام الجامعة، ومع كل ورقة تتنهد تنهيدة من أعماق الروح!

ما أكثرها شهادات التقدير التي حصلت عليها المعلمة المثالية، أحسن عرض مسرحي، أول إلقاء، الرائد المثالي، وغيرها كثير.. كل هذه الشهادات لم تتوقف عندها، فقط ابتسامة صغيرة على شفتيها، هكذا أخذت الابتسامة وضعًا واحدًا معينًا حتى وجدت الابتسامة تتسع وتتسع؛ حينما أمسكت هذه الشهادة والتي لم تختلف كثيرًا عن بقية الشهادات، وربما كانت أقل منها جودة، ولكنها حركت فيها ما لم تحركه أي شهادة أخرى.. رجعت برأسها قليلًا إلى الوراء، وتذكرت هذا المشهد الذي لا يمكن أن تنساه.. في يومٍ من الأيام داخل الفصل الدراسي، حصة تربية دينية وهي تتلو بعض آياتٍ من القرآن الكريم على الطالبات في زمن كان التعليم تعليمًا، وكان للمدرس مهابة، ورغم ذلك فقد كانت أمًا للطالبات وربما أختًا كبرى لهن؛ لذلك كانوا يحببنها جدًّا، استعادت قراءتها وشفتيها تتحركان في خشوع وإجلال والبنات في غاية الإنصات، وإذا بزائر يدخل لم يقاطع قراءتها

ولم تسكت، وعندما انتهت جعلت الطالبات يقرأن وهي تصحح لهن الأخطاء، ولاحظت الابتسامة الودودة على الزائر، وعلامات الارتياح على وجهه، ناقشت الطالبات في معاني الآيات وتعمقن فيها واندمج معهن الزائر مرة بابتسامة، ومرة بهزة من رأسه ولمعة عينيه، التي كانت تذكّرها بشيء؛ وما إن دق الجرس حتى قال لها الزائر:

- أحسنتِ.

وإذا به يسألها:

- ما اسمكِ؟

قالت:

- سعاد محمود علي عامر.

اتسعت حدقتا عينيه وقال لها:

- أنتِ ابنة الأستاذ محمود علي عامر هذا الأستاذ والمعلم الجليل.

قالت له:

نعم.

قال لها:

- ما شاء الله كأنني كنت أستمع إليه وأنت تقرئين. -ثم أردف- إنني كنت زميلًا له وهو من أثّر فيَّ حتى وصلت إلى أن أصبح موجهًا، ثم ابتسم ابتسامة حانية وأخرج هذه الشهادة وأعطاها لها، ثم شدَّ على يدها وقال:

- طوبى لأب هذه نبتته!

مسحت دمعة طفرت من عينيها، وهي تدعو له ولوالدها بالرحمة متذوقة أثر هذه الكلمات على لسانها التي ما زال لها حلاوة تستعين بها على مرارة الأيام التي اضطرتها بعد كل هذه السنوات من الكفاح الطويل أن تسعى للحصول على

المعاش المبكر، وتجلس كل مساء تقلب في هذه الأوراق التي لم تعد تدل على التقدير، بل التكدير؛ فقد أدركت أن هذه الشهادات مجرد حبر على ورق يحصل عليها القاصي والداني، فهي لم تشفع لها في الحصول على المنصب الذي تقدمت له وحصل عليه غول الدروس الخصوصية الذي حصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من الجامعة العالمية للاستشارات القانونية والعلمية والتعليمية وكل أمور الحياة النحتية..!

***

فضيحة حب

حنان عبد الحافظ

رائحة الصباح تذكرني بكثير من الأشياء، التي تجعل معدتي تؤلمني. هذه الرائحة تثير في نفسي مشاعر الخوف التي تزداد وأنا أدلف إلى البوابة الخارجية للمدرسة الإعدادية. أقف في الطابور وأتذكر نفسي التي بطبيعة الحال كانت لا تعجبني.كنت ضعيفة. خائفة.. كيف لا أخاف وقد تسقط عصا على حين فجأة من مدرِّس يريد معاقبتك.

لماذا كُتِب عليَّ أن أعمل بنفس المدرسة التي كنت فيها طالبة يومًا ما. ما زال المدرسون يتعاملون بنفس الطريقة الفظة الخالية من أي رحمة. يشددون على قص الأظافر، وارتداء الملابس الواسعة للفتيات، وكثير من الأشياء تمارسها السلطة العليا على طلاب وجب عليهم الطاعة.

دخلت إلى غرفتي، وجلست إلى مكتبي. ثم أخرجت كتابًا من حقيبتي حتى أقرأ وأخرج من هذا الواقع من حولي. انغمست في قراءة الكتاب المفعم بالحب والعاطفة بجانبي فنجان القهوة أرتشف منه القليل. قطع راحتي أصوات بالخارج تقترب من غرفتي. خبأت الكتاب في حقيبتي، وطرقَ أحدُهم الباب ثم دخل فوجدت المديرة ومعها طالبة تنظر في خوفٍ، وامرأة أخرى.

وقفت فاقتربت المديرة.. ومع اقترابها يزداد خوفي. إنها امرأة صحيح، ولكنني

كثيراً ما أشك في ذلك، فقامتها قامة رجل وفي ملامحها صلابة. أما صوتها فمليء بالقسوة.

حاولت أن أتنفس حتى أهدأ قليلاً. ماذا عليَّ أن أفعل، كل شيء في هذه المدرسة يبعث في نفسي الخوف ويصيبني بالتوتر.

قالت المديرة بصوت جادٍ:

هذه والدة الطالبة التي حدثتك عنها بالأمس، عليك التعامل مع الموقف جيدًا.

قلت برهبة: حسنًا.

ما إن خرجت المديرة، حتى شعرت بالراحة. ابتسمت للمرأة وللطالبة التي نظرت بخجل إلى الأرض.

بادرتهم قائلة:

يقولون إنهم وجدوا في كتاب سعاد خطابًا لزميل لها.

وقلت بتردد:

- خطاب حب

علقت الأم غاضبة:

- ما ذنب ابنتي! إن زميلها هذا عديم التربية من وضع الخطاب في كتابها.
ووجهت الأم نظرات من الغضب إلى ابنتها قائلة:

- أليس كذلك يا سعاد؟!

قالت الفتاة بخجل:

- صحيح يا أمي

قلت في نفسي متعجبة: وهل تستطيع سعاد أن تقول شيئًا آخر!

حولت بصري إلى الأم وسعاد ثم قلت:

- أن يعبِّر ولد لفتاة عن حبه ويهديها خطابًا، هذا ليس عيبًا. لا أعلم لم تم تهويل الأمور بهذا الشكل. لا أريد من حضرتك أن تكوني غاضبة.

برقت عينا الأم: ماذا تقولين يا أستاذة؟!

أي حب. هذا عيب. لا يصح أن يحدث هذا في مدرسة من المفترض أنها محترمة.

لقد فضحت ابنتي وقالوا إنها وهذا الطالب يحبون بعضهما البعض. ابنتي صارت حديث أهل القرية، رغم أنها مظلومة.

وتابعت المرأة قائلة: ربيت ابنتي جيدًا، إنها ليست كهؤلاء الفتيات اللواتي يحببن وتتواعدن مع الشباب. وبالرغم من ذلك يتهمونها أنها تحب.

قلت بلطف: سيدتي، وما العيب في ذلك. إنها فطرة.

أجابت بغضب: ابنتي لا تفعل ذلك.

وتابعت باستنكار: كيف تحب فتاة في مثل هذا العمر؟

يستشيط عقلي مما أسمع. لكن ما باليد حيلة. عليَّ الاستماع إلى هذا الهراء بحكم عملي كأخصائية اجتماعية. أشعر أنني أواجه أصنامًا فكرية. لم ولن تكسر.

ماذا أقول لهذه المرأة إن الأطفال يحببن فكيف لا تحب ابنتها.

سألتها وأنا أوجِّه بصري ناحيتها بقوة:

- ألم تحبي عندما كنت في سنها؟

تلعثمت المرأة وقالت بغضب وهي تنهض:

هذا الولد يجب أن يعاقب، وإلا سأقدم شكوى. لن أسكت. التلاميذ أمانة. يكفي أنكم فضحتم ابنتي. غادرت المرأة بعد أن اشتكتني إلى المديرة. التي

اتهمتني بأنني لست جديرة بوظيفتي، وأنني لست سوى مراهقة صغيرة. وضحت لها بأنه هذا السيل من المشاعر في هذه المرحلة للطلاب طبيعي وفطري، وأنه علينا احترام هذه المشاعر.

نبهتني أننا في بلاد الشرق. لسنا أجانب. ووضحت لي أن أفكاري ستودي بحياة الطلاب إلى الهلاك.

في اليوم التالي وفي الطابور، أمام جميع الطلاب. لطمت المديرة الشاب على وجهه وضربته كثيراً على يديه بعصا من أغصان الشجر، حتى يكون عبرة لكل من تسول له نفسه أن يرتكب جريمته، جريمة الحب. جريمة الإحساس وجريمة التعبير عن هذا الإحساس. وكان عليه أن يعاقب أمام فتاته. أمام حبه الأول.

عينا الفتاة كانتا جامدتين في الأرض، تنهمر الدموع التي تسارع في مسحها. شعرت أن حبها آثماً وحمدت الله أنها لم تخبر أحدًا بهذا الحب، ثم أودعت هذا الحب بداخلها ودفنته جيدًا. أما أنا فوقفت أمام نافذة الحجرة التي فيها مكتبي بالمدرسة وقذفت بكتاب الحب ثم أغلقت النافذة وعدت إلى عملي.

***

انظر إليَّ

عصمت الصغير

وفي طريقها إلى المنزل الكبير على عجلة من أمرها لتطعم أطفالها الجياع تتعثر وتقع على وجهها.

آلمها وجهها كثيراً الذي نال صفعة قوية من أمها الأرض لتقول لها فوقي.

قامت من سقوطها تعدل من صلابة وقفتها وأخذت بقطعة السواد الكاحل الذي يكتم أنفاسها طيلة حقبة غير قصيرة من الزمن لترميها مكان سقوطها.

أخذت نظرة تحدٍّ على شرفة جيرانها الفضوليين وأخرى على شرفة حماتها الفظة ومضت هامسة إني قادمة يا أطفالي فلأعلمكم أن لا تعبدوا إلا الله لأعلمكم ان تحيوا بعزة وحرية أن تكونوا أنفسكم والأرزاق على الله.

***

قرار وجع

عصمت الصغير

اضطره ألمه القاتل للذهاب للطبيب وبعد كشف مضنٍ رمقه بحزمٍ وقال: "التسوس واصل للعصب لازم علاج وإلا حنضطر نخلعه."

رمقه أستاذ إبراهيم نظرة حائرة وقال: "يكلف كام" فأجاب الآخر: "ألفين جنيه وبعد كده حنركب كراون في البورسلين جميل جدًّا وفي كمان الزيركون رائع ودول في حدود خمستلاف بعد الخصم اللي عاملينه عشان افتتاح قناة السويس الجديدة".

وبعد ثانيتين من التفكير.. "اخلع يا دكتور بسمة عيالي وهم شبعانين أحلى من بسمتي بسنان بتلمع".

***

شموس المدينة

عصمت الصغير

كانت خطبة شديدة اللهجة أخذت تعصف بكلماتها كل مذنب أو قادم على ذنبٍ وسيف شديد الحدية يقطع رأس كل عاصٍ متساهل في حدود الله أو حتى من قصر في محاكاة أسلوب حياة الصحابة والأولياء الصالحين.

خرج المعلم فتحي من المسجد مرتديًا قفطانه الأبيض الفضفاض ونعله الأبيض الجلدي منتعشًا مرتويًا من خطبة الجمعة العظيمة المرهبة لكل مقصر وخرج بجانبه شادي نجله ذو الثلاثة وعشرين عامًا.

فإذا بالشيخ خالد الرجل المشهور برجاحة عقله وحكمته فله من الهيبة ما يكفي ليقف المعلم فتحي وشادي لإلقاء التحية عليه والسؤال عن أحواله.

دار الحديث في بادئ الأمر بين الشيخ خالد وشادي:

* إزيّ أحوالك يا شادي يا ابني ناوي تشتغل فين بعد البكالوريوس؟؟

* والله ياشيخنا أنا كنت بفكر.. فجاء صوت المعلم فتحي قاطعًا إجابة شادي..

* المحل طبعًا محل النجارة، الحمد لله صبرت عليه أكل وشرب وعلام عشان يبقى سندي آه أومال دخلته كلية التجارة ليه مافيهاش تفكير دي يا شيخنا.

* ولكن يا والدي أنا فنان في المقام الأول عايز بصوتي أوصل لقلب كل إنسان

أعلمه الحب والإخلاص أعلمه الوسطية مش الشدية صوتي يكون حافز ليه وقت ضعفه نور ليه يوم مايتوه ويضل عن مبادئه وقيمه، أوصّل بصوتي رسايل يمكن الشعب يفهم الوسطية والرحمة وماتبقاش خطبتنا يوم الجمعة عيد المسلمين الإسبوعي خطاب تهديد وترهيب في قناع تعليم وتوجيه، البلد محتاجة لنا كل واحد يتخصص في شغفه ويدي من قلبه الدنيا تستقيم وكفاية يا والدي إني نفذت كلامك وجيت على نفسي ودخلت الكلية اللي اخترتها لي ياريت يا والدي تسبني بحريتي أعمل الشيء اللي بحبه.

فجاء رد المعلم فتحي حاسمًا وهمَّ بصفعة قوية عاصفة على وجه شادي فإذا بيد الشيخ خالد ماسكة مانعة له وقال:

لا تطفئ بيدك شموس المدينة.

***

مدافن باب الوزير

تُقى نبيل علي

بكيت بالأمس؟! نعم كثيراً، إلى أي مدى؟! حتى تجلَّى نور النهار وكشف ستر بكائي، واعتلت الشمس كبد السماء، واستحال السكون إلى صوت جماد ودواب وبشر، وكنت قد بدأت بُكائي منذ الثلث الأخير من الليل، فلماذا نبكي؟! لا يهم لتعدد الأسباب فلطالما الفعل واحد، استيقظت من نومٍ لم أَغُص به من الأساس، وهممت بصلاة الضحى، ومن ثم شرعت في عدَ عُدتي، فأصبحت كمهاجرة كل صباح جمعة أهاجر إلى مكان جديد أختلي بنفسى به وحتى لو تكدَّس الجمع من حولى، أخط بلوحتي بخطوط وألوان وكأنها قادمة من عالمي الخاص تنفك منَي شيئًا فشيئًا علَّها تتحرر، فإن لوقتي عليَّ ذمة لا بُدَّ أن تُقتطع، أتأكد من ألواني وأوراق الرسم خاصتي وقبعتي التي تقيني بعضًا من حر الشمس فأضم كل حاجياتي في جعبتي لأنطلق، لا أدري كثيراً إلى أين سيكون الركب تحديدًا هذه المرة، لكني تقابلت مع الجمع وسرنا سويًّا إلى المنطقة المرجوة حتى أدركناها، ووجدت نفسي فجأة قد انغمست بها انطلقت روحي تذوب بين ثنايا تفصيلها وكأني زهرة يافعة نابتة بتلك الأرض.

تصلبت حواسي فجأة ولم تستطع المضي خطوة أخرى زائدة وأنا في حضرتها، لم أدرِ كيف تعدَّاها البعض هكذا، أم أني من بالغت في دفع إحساسي إليها، كيف

تعدوها بتلك السرعة وأخذوا يذرعونها جيئة وذهابًا ويبدأون لوحاتهم، أم ماذا عساي أنا من تحجرت قدمي وتصلبتُ فيها، أزاغت عيني عمن سواها وأحسست بأول ما وطأت بقدمي بها بأني وحيدة لا أحد سواي، ذُبت بها واحتضنتني هي الأخرى، حتى أنفاسى فقد هدأ صوتها في حضرتها، صُمّت أذني عن صخب الحياة، علَّ تلك الرقعة أن تكون دفئًا وسلامًا على قاطنيها، ابتسمت حين وجدت حركة خفيفة تدب من داخلها لأناس قد انسجموا مع من يقطنوها وبدوا وكأنهم ضيوفهم يجلسون ويتسامرون ويأكلون ويشربون ويقرآون لهم القرآن والكثير من الأدعية، وآخرون قد اتخذوا إلى جوارهم بيوتًا، فقد غشيت الأرض التي تعلو المقابر العشرات والعشرات من البيوت، لم أستشعر انقسامهم عن عوالم الآخرين ممن سكنوا القبور، وكأنهم قد وجدوا حياة وسطًا تجمع بين عالميهما معًا، وأحسست بمن في القبور وكأنهم يحاكونهم هم الآخرون يخبرونهم عن أيامهم، وظلوا جميعًا يحملون معًا أثقال بعضهم البعض.

لا أعلم أنحن العالقون بالحياة، أم هؤلاء الذين بالجانب الآخر في الأسفل، قد افترشوا بيوتًا، لا يصدر عنهم صوتٌ ولا تدوي منهم آهات، وقفت أشاهد المشهد من التبة وأحسست بأننا جميعًا الراحلون، أما عنهم فهم من بدار البقاء.

فهنا الأرواح تتلاقى، تتصل ولا تنقطع، فقد كان الحبل مديدًا بينهم، وصار كامل جسدي يرتعش لا أعلم أكان يرتعش من نسمات الشتاء أم من هيبة الموقف، فمن يكون هنا ولا يذوب فيما حوله وكأن ثمة أشياء تريح القلب تارة ويُقبض لها تارة أخرى، يُكبح غرورك على تلك التبة التي تعلو المدافن، تذبُل الدنيا من ورائك، وتشعر بأنك قد أدركت الخلاص كما لم تدركه من قبل، مدافن كثيرة يحتضن بعضها البعض، سلام وسكينة لا تعلم مثلهما إلا في حضرتها، لعلها تكون بردًا وسلامًا على قاطنيها، على من بليت أجسادهم وفنيت وظلت أرواحهم تشاركنا الحياة.

فهنا يندمج الأحياء منهم مع الأموات، يجيئون ويذهبون إليهم بلا فاصل بينهم، أو مانع يمنعهم من الزيارة ولا تُلهيهم مشاغل الدنيا وعثراتها، فهؤلاء في عثرتهم وفي فرحتهم سواء، دائمو الضحكات التي تتجلى في الآفاق وكأنهم يسخرون من الدنيا ومَن فيها ويقولون "خاطئٌ مَن ظنَّ بأن قلوبنا تنكسر".

لربما عسرة العيش هي من صلبت أضلاعهم، وأتيت من أصلابهم بأطفال كهؤلاء، التي يبذل المرء أمامها الكثير والكثير من الحسابات.

ومن بينهم هؤلاء، صبية لا يتجاوز عمر أكبرهم الخمسة أعوام، متقلبو الأحوال ما بين شجار ومزاح، يختلفون تارة وتتعالى ضحكاتهم حد السماء تارة أخرى، يذرعون الطرقات لهوًا ومرحًا ففي اندماجهم معًا لا تدري أيتشاجرون هم أم يتمازحون، فلم يسلم الراقدون بالمدافن من انتفاضاتهم فيخترقونها بأجسادهم الضئيلة يلهون ويدبون بها يكسرون بمن في التراب صمتهم، وفجأة ينقضون على الطرقات وينتشرون بها، كحبات مطرٍ وقت السيول، يشاكلون كلبًا ضالاً ويرافقونه كأنه فردٌ من أفراد العائلة، يلقبونه كي يسهل التعامل معه، حتى هو يجري ويمرح ويتشاجر ويصيح كمثلهم تمامًا.

وصغيرة سرقت أنظاري إليها أول ما تراءت بالمشهد، جاءت تشق برد الشتاء شقًا، ضئيلة الجسد، يعتريها بعض الهذيان، يكسوها الرث من الثياب، ترتدي بقدميها حذاءً يكشف عن قدمٍ رقيقة يلطخها قليلٌ من الطين، لكن أحسست في بريق عينيها أناقة سيدة لا تعبأ بكل هذه المظاهر المفارقة، وتسير كواثق الخطى مَلِكة، تمسك أناملها الرقيقة الناعمة بيد جدها التي زاد شقوقها الزمان، يتحدث إليها وتبتسم هي على استحياء يسيرون بمحاذاة المقابر.

يقبض الجد بيمناه يدها وباليد الأخرى كان يحمل كيسين من "الفول والآخر من الطعمية"، توقفا ثم استقبلا المقابر، ومع نظرة منه ليست بالطويلة أخذ

يدعو: "الله يرحمك يا ابني، الله يرحمك يا ابني.." ثم شرع في قراءة الفاتحة ومسح على وجهه بيده في نهاية الأمر، متباركًا بدعائه، وعادت يده لتطبق على يد الصغيرة مرة أخرى وذهبوا، وكأن ما فعله شيء معتاد في كل صباح.

حينها وجدت نفسي أردد من ورائه تلقائيًّا:

"الله يرحمه ويغفرله، ويرحم موتانا المسلمين أجمعين"، ومن ثَم ومع نظرة أخيرة ألممت بها كل تفاصيل الرقعة بجوفي، جاهدتُ نفسي على العودة إلى سكينتي مرة أخرى، لأندمج مع الأحياء، فما نحن سوى راحلين يسكنون الحياة.

❊❊❊

صداقة بلا موعد

تُقى نبيل علي

إلى صديقتى التي لم أتعرف عليها بعد، عذرًا فلم يكن الوقت سانحًا كي يتعرف كل منّا على الآخر فنبقى على الوصل بعد لقائنا الأول والأخير بالمكتبة، لم يكن كافيًا كي يدرك كلماتي الشاكرة التي تجمدت بحلقي حينها، لم تستطع ابتسامتي أن تخبرك كم كنت ممتنة إليكِ، ولم تنتظري أنتِ الأخرى كي تتلقي خيرًا ما بجوفي لكِ، فأنت الأخرى أبان عنك خجلاً، فكيف للهادي أن يخجل من هديته فما بالي أنا وما محلي أنا من الخجل إذ كنت أنا المُهدى إليه، على كل حال فكانت هديتك إليّ مباركة ومحفوظة..

إلى من صادقتها سرًّا من آن ذاك فكنتِ كرسالة بُعثت إليّ، وألهمني الله أن أُبادئك المحادثة برقة ولم ينقطع الحديث بيننا حتى رحلتِ..

إلى من أهديت لقاءها، فإن اللقاء رزق ونصيب فكنتِ رزقي الذي انحل به ضيقي، وشريكتي في رحلة البحث عن قلم مناسب، حتى علمتِ بأني عازمة على الكتابة فدفعتِ إليّ بابتسامتك المضوية هديتك بأقلام مختلفة..

فقلمك يجري بخطوط واثقة بين أناملي كما وعدتك، يجر الخط تلو الآخر لتترتب كلماتي في طبقاتٍ تتلو بعضها البعض فتصنع عمدًا، وكما وعدتك بالأمس بأني سأذكرك بكتاباتي، فها أنا اليوم أفي..

أما عنَي فبعد ليلة عصيبة، لم أدرِ كيف لليلها أن ينجلي بتلك السرعة رغم كحالة ظلمته، فإني اليوم قد وصلت، أمكث على كلماتي، لا أعلم من كان فينا مثابرًا على الآخر، أهي التي تتحمل اشتقاقي لها من جوفي شيئًا فشيئًا، أم أني من يُعاتبها لنفورها منِّي، على كل حال فلم أجد الآن حالاً أبهج مما أنا عليه، فكل ما بحولي يعج بالألوان وأعج أنا معه، اتخذت ذلك الطابق العلوي المكشوف من جميع الجهات حتى تُلِم عيني بما تطوله من ألوان وزرع وماء فيُثلج صدري، تُزاح به آثار ضغوط كانت قابعة برأسي، أستشعر وكأني بعالم آخر قد انفصل عن الجميع وعزمت على لقاء نفسي، ذُبت بهواه الذي يُغريني بنسماته الناعمة حتى أُغمض عيني وأغفل، ليأتي فيُفاجئني بلطمات تُفيقني مرة أخرى فأشتعل وأثور، ثم تتكشف لي بهجة ألوانه لتردني إلى سيرتي الأولى فأستريح، فهكذا قد وجدت نفسي ولطالما أجدها تغوص بين الألوان والرسم والكتابة، ترتمي روحي بين أحضانها حتى تتناسى ذلك العالم الخارجي، فأتمنى لو أُبقيني بعالمي الخاص الذي اصطنعته لنفسي، الذي لم يدركه الكثير ولم تستوعبه قلوب البعض، آوي إليه بكل ليلة، بألوانه ورسوماته وكتاباته، أسترق من الأيام ولو بضع دقائق لأتذوقه وأغوص به غوصًا، أشحن روحي كي أجاري واقعًا يملؤه الكثير.. فإن أحلَّ الضيق فشوارع القاهرة مليئة بما يُترجَم إلى ألوان ورسومات وكتابات، تأسرني في طياتها وتحتضنني وأبقي نفسي بها كأني أحتمي ممن ينتظرني خارجًا، فمن لا يستشعر تفاصيلها لا يتذوق طعمًا للحياة، أعلم الكثير من المسئولية وأنغمس بها لكنها لا تروق لي، أصبحت تطاردني بكل مكان، في البداية كنت مثابرة على ألا تقتطع جزءًا من طفولتي الداخلية، ظلت تزحف إلي شيئًا فشيئًا حتى انتصرت في النهاية واجتذته لها، لأجد نفسي الصغيرة التي كانت بالأمس تلهو وتتدلل، لكني لا زلت أجد بين كل هذا وذاك طريقي وعالمي الخاص الذي يعيدني إلى سابقي، فمرات أجالس طفلاً نلهو ونمرح وتتعالى ضحكاتنا سويًّا وتنفضح سريرتنا معًا، ويبعث في تلك الصغيرة

التي سرعان ما تُلقى بما تحمل من أعباء وتتناسى الكون حولها، فتتمرد وتخلع رداء الرّكب وتقول لحياة اليافعيين، بؤسًا لمن شاق الحياة على نفسه فأرست هي بدورها العبوس بقسمات وجهه وأظهرت الكثير من التجاعيد، بؤسًا لمن يكيد لغيره فيعكر صفاء حاله على نفسه فتتبدل صفحات كتابه وتستحيل إلى غبار، بؤسًا لتلك النفوس الغابرة التي تعكّر عالمنا، فكنت ذلك الطفل ذو الصفحة الوردية يكتب فيها أسماء من يحبهم فيُقبل على من يستشعر قلبه حبًّا وودًّا لهم ويعزب بقسوة عمن لم يرغبه قلبه ولا يميل إليه هواه، يرفض حينما يشاء ويقبل ويحب حينما يشاء، يدبدب بقدميه ثائرًا بالأرض معبراً عن رفضه حتى تكاد أن تتهدم من تحته، ويصب جام غضبه عمن أساء له، ولا يخجل أن تعلو ضحكاته حد السماء فتُمزق سكون الكون من حوله، يحدث ضجيجه في صمتٍ حتى يتكشفه الآخرون بعد ذلك، وتنكشف مصائبه الساذجة يظل يضحك على أي حالٍ، فلطالما يسكن روحي ذلك الطفل كي أتمكن من المواصلة، ولطالما نضجت وعلمت بأن المواصلة ليست بالأمرالهين وأن رسم طريقها هو خيار..

***

أنا بخير.. ما دُمتِ أنتِ بخير

تُقى نبيل علي

أوقات عصيبة نمر بها، لا نعلم إلى أين تئول بنا ولكنها دومًا تئول إلى خير، كان ذلك في شهر رمضان الكريم، أتى الفجر بنوره ليمزق ظلمة الليل، وأخذت الشمس في التسلل بالفضاء الواسع، راحت ترتفع خطوة تلو الأخرى حتى أخذت مستقرها، سبحانك يا الله فقد جعلت الملكوت يتحرك في سكينة وهدوء، ومع أول شعاع للشمس، جاء أول صراخ يفجر ذلك السكون القائم، لعله خير فمن كبد الضيق

يكون الاتساع والفرج، لم يطل الصراخ ولم يكن قاسيًا لكن تيقظ له النائم، وتأهب له من لم يكن غافيًا، وبدأت مراسم التحضيرات برغم من أن كل شيء كان شبه معد، أتلك هي اللحظة المنتظرة أم أنها سراب تلك المرة.

صمتت ثم أفضت بصراخات قصيرة متتابعة كأداة توكيد بأن تلك اللحظة حقيقة وليست بسراب، فلعلها على وشك القدوم.

لم تكن تلك الصرخة هي الأولى لأمي، لكن كان لها مذاق خاص لديها، لم أتركها تصرخ كثيرًا كما لو أنني خشيت أن أؤلمها، كانت نفسي تتشوق لرؤيتها، وقد ضاق بي الحال برحمها رغم اتساعه لي لكن الكثير من فضولي أُثير عن كنها وهيئتها، وودت لو أني أخرج إليها كغمضة عين وأن تطبق ذراعيها عليَّ وأن أبقى بأحضانها أبد الدهر، فهكذا جاء كل شيء سريعا وعلى يُسرٍ تام، قصر عمر الصراخ لأمى، وترققت حركتى بداخلها، وفى الفور انطلقنا بالسيارة إلى أن أتينا باب المشفى، ومن ثم قد فسح الطريق أمامنا إلى غرفة العمليات، الكل يسرع ويعمل على قدم وساق، كل شيء جاء سريعًا ميسرًا، قد يسره الله لي ولها، فسبحانه قد جعلنا روحًا واحدة في جسدين، إذا اشتكى أحدنا شيئًا تداعى له الآخر، وما هو سوى وقت قصير حتى زفت البشائر إلى أبي، بأن الأم بخير، والبنت على أتم قدر من الصفاء، بنت؟ نعم فهي في تلك المرة بنت.

قد أنارت الفرحة المشفى أمام وجه أبي وكللها بسجدة شكر، أما عن أمي فكانت تستشعر بأنني بنت منذ بداية الأمر فقد كنت حانية عليها.

كبر الجزء الذي انقسم منها، تلك الروح الواحدة للجسدين ظلت تنمو، فلم يكن للأم بأن تذهب إلى مكانٍ بمفردها حتى تُسأل أين تلك الصغيرة التي اعتادت الالتصاق بأمها..

وما كان للصغيرة بأن تغرب أمها عن أنظارها لحظة..

واتسعت الأيام للصغيرة وأخذت تتفتح عيناها على الدنيا أكثر وأكثر، وازدادت نضجًا وفلاحًا، وأخذ قلبها يتشكل كقلب أم تحوي به أمها، أما عن قلوب الأمهات فهي عجيبة تظل ترانا بُراء صغار حتى وإن ذُقنا من العمر مشتهاه، هن دون سواهن لم يَريْنَ منّا إلا جمالاً ولو كنا لا نستحق، ولا زالت نفسي تكبر ولا زلت أجد قلبها في كل ما خصني يريح اضطرابي، ولا زلت أطمئنها وأمسح على يديها وآتيها وهي غارقة بنومها كل ليلة، أطبع على جبينها قبلةً علّي أعطيها من عافيتي ما استطعت، أستريح بأنفاسها وأهمس لها: "أنا بخير ما دمت أنتِ بخير"

***

أنا وأبي

تُقى نبيل علي

تلك المرة الأولى من أي شيء لها سحر خاص، رونق لم تذقه من قبل، يدفعنا للاستكمال بحماسة، لم تتوقف أذهاننا عن التدبر ولا حواسنا عن الاستكشاف، أبصارنا تجول في كل مكان لا تنغلق أبدًا تظل محملقة، ولا تزال جلودنا تقشعر لذلك الإحساس، وكأننا انعزلنا عن العالم فصرنا بعالم آخر لا يدركه الخارجون عنه، فتلك هي المرة الأولى التي تطأ فيها قدمي "إستاد القاهرة الدولي".

أبي يتقدمني بخطوة أو نصف الخطوة، نختار سويًّا المكان الأمثل لمشاهدة المباراة، أظل كالطفلة أختبر أغلب المقاعد، أقفز من فوق مقعد كي أصل إلى آخر أجلس عليه فأختبره، ويبحث أبي هو الآخر عن أيهم الأفضل إلينا، يبحث بروح أكثر حيوية وكأنه عاد شابًا عشرينيًّا تملؤه الحماسة والاهتمام، حتى أصيح أخيراً صيحة انتصارا وفلاح بأني قد وجدت المكان الأنسب فيوافقني على الفور عليه، فكان كل ما يعنيه راحتي، من هنا نحظى على أفضل متابعة، ومع ابتسامات وضحكات متبادلة والكثير من التصفيقات المدوية على أنغام الموسيقى والأغاني، والكثير من صورٍ قد التقطناها سويًّا نسجل بها تلك اللحظات الصافية، قد قضينا ذلك الوقت حتى جاء وقت المباراة، اصطف الفريقان بالملعب كلٌ اتخذ موقعه وكلٌ يتغنى بنشيد بلاده، وكل من حولي يهتف باسم "مصر"، وظل كلٌ ينتظر صافرة البِدء، لم

يغفل أحد عن متابعة إشارة البدء، إلا أنا قد شردتُ عن الملعب قليلاً، وكأني أنتظر أحدًا يزجني ليقول لي هيَّا ستبدأ المباراة أعيدي انتباهك، لم أكن أعلم بأن المباراة تبدأ بمثل هذه السهولة والبساطة، لم يكن هناك مُذيع ينبهنا، أو يملأ أمخاخنا بكل تلك العبارات الزاخمة طوال المباراة وهذا كان بالطبع جيدًا، المدرج يزينه اللون الأحمر بالرغم من غياب "مصر"، فكيف أتينا نحن ولم تكن مصر حليفتنا ثم إلى من نبذل تشجيعنا، احتدت المباراة وأخذ الكل يصيح "نيجريا"، في بداية الأمر لم يدرك لساني لِمَ عليَّ أن أنطق باسمٍ غير اسم بلدي ثم تذكرت بأننا سنشعر بشيء من الراحة إذا انهزمت جنوب إفريفيا، فتعاهدنا معًا على أن يتعالى اسم "نيجيريا" وتتناسى الأخرى حتى تُهزم، وفي النهاية قد كان، وعجبًا لقوة الجمهور وثباته، فكان في كل هدف تحققه "نيجيريا" كنا ننتفض جميعًا فرحًا، كاد الإستاد أن ينهدم، ونصيح فرحًا كأننا قاربنا من الخلاص، وكان الأجمل من كل ذلك أبي الذي ما إن يراني أصيح فرحًا وأقفز مع القافزين وألوح بيدي، حتى تعلو وجهه ابتسامة وفرح، فكان يسعد لفرحتي وكاد أن يتناسى على أثرها المباراة، أخذ يلتقط لصغيرته الصور ولا تزال ابتسامته ترتسم على وجهه، وأنا لا زلت بتلك الحالة من الإحتفال والصياح وكأنها صارت بلدي الثاني في غمضة عين، احتفلت مع أبي وأخذت أحتضنه، فكان أبي كعادته شريكي في الفرحة وداعمي في الانتصار..

وعلمت بأن من يملك جمهورًا مثل المصرين، ليس له أن ينهزم أبدًا، فأكثر من نصف النجاح كان من صُنع المشجعين من كانوا على قبضة واحدة تضرب ولا تكلّ، تعلو الأصوات ولا تنجلي أبدًا، فكانت نيجريا هي الخلاص لهم، تناغموا مع مشجعى نيجيريا حتى صاروا نسيجًا واحدًا ظلّ يترنم، لكن أصعب ما كان بلأمر أن يعلو صوتك لغير بلدك، فلم تكن نيجيريا ولا جنوب إفريقيا بل كانت مصر.

***

الأرجوحة

مي مصطفى كامل

وقفت أتأمل هذه الطفلة الصغيرة وقد تعلقت عيناها بالأرجوحة..

قلبها يقفز منتفضًا مع اهتزازاتها.. لم تستطع الصمود لدقائق وسرعان ما ذهبت لصاحب الأرجوحة قائلة في براءة شديدة: عايزة أركب يا عمو..

رد صاحب الأرجوحة: هاتي جنيه من أمك!

كان رجل غليظ الملامح فظ الأسلوب مظهره الخارجي لا ينم أبدًا عن أنه صاحب مكان يلهو به الأطفال وطوال سنين عمله لم يكتسب شيئًا من لين الأطفال وبراءتهم..

أما نسمة تلك الصغيرة رقيقة المظهر والحال فقد ذهبت حسيرة لأمها لم تقل شيئًا ولم تستطع أن تطلب الجنيه؛ فهي تعلم أن أمها بائعة الطعمية ليس لديها هذا المبلغ.. ظلت نسمة صامتة شاردة تحلم بهواء الأرجوحة يلاعب خصلات شعرها الناعمة.. كنت أنا هنالك خلف زجاج سيارتي أراقب الموقف، شيء ما دفعني رغمًا عني للنزول، ذهبت وطلبت طعمية من أم نسمة رغم أن حالتي الصحية تمنعني من أكل طعام كهذا.. طلبت منها إرسالها مع الطفلة الصغيرة لسيارتي المنتظرة أمام مدخل السوق فقالت أم نسمة: من عينيا يا هانم.. بعد

بضع دقائق جاءت نسمة خفيفة طائرة بكيس الطعمية وأعطتني إياه قائلة: بالهنا والشفا يا هانم.

أجزلت لها العطاء وأعطيتها مالاً خاصًا بها وقلت لها: روحي اركبي المرجيحة.. نظرت إلى وعيناها تلمعان من فرط السعادة: أمي هتزعق.

ثم نظرت للمال مرة أخرى وأحكمت عليه قبضتها الصغيرة وقالت: بس أنا هروح.

وطارت من أمامي طيران العصفورة التي وجدت العش. أعطت الرجل المال وركبت.

كنت أسمع قهقهاتها وهي تطير في الهواء والرياح تداعب خصلات شعرها المنسدلة على وجهها البريء.. شعرت أنها ملكت العالم.. كان حلمها صغيراً وبريئًا.. ليت كل الأحلام أرجوحة.

***

قلمي

مي مصطفى كامل

يغني القيصر.. يتراقص الدخان المتصاعد من فنجان القهوة، ولكن ماذا بك أيها القلم هل نضب معينك؟ لماذا تقف عصيًا على الورق؟ كنت دائمًا خير صديق. سطرت بك أفراحي وأحزاني كتمت دومًا أسراري.. ماذا بك اليوم؟ هل أنت حزين؟

أنا ابتعدت عنك لكن ها أنا ذا عدت أجدد عهدي بك.. لقد شغلتني الأيام والحياة وكبلتني القيود كنت أشعر أني سجينة.. قلبي مسجون وعقلي السجان.. لكنني تحررت، كسرت القيود وهربت من الأسوار المعتمة عدت إليك أجدد العهد. فأنت حبيبي وصديقي وعشقي الأول منذ نعومة أظافري.. أرجوك لا تتخلى عني.. أحتاج إليك تعينني في طريقي..

أحتاج إليك تنير عتمة أيامي.. أحتاج إليك تصحح معي مسار حياتي وتبدد وحشه قلبي.. أنت أنيسي.. أنت من يفهمني ويسمعني دون تعليق واعتراض.. عد إليَّ أسطر بك أيامي الجديدة.. عُد إليَّ أرسم بك مستقبلي.. عُد وأعاهدك ألا أفارقك ثانية.. أنت الحبيب الأول..

في عشق القلم

***

الفستان الوردي

مي مصطفى كامل

جلست فاتن مع ابنتها الصغيرة مريم لتختارا معًا فستان الحفل.

اختارت فاتن ثوبًا مزركشًا بالورود الساطعة كان النظر فقط لألوانه يثير البهجة في النفوس لكنه لم يعجب مريم، ظلت الأم لأكثر من ساعة تعرض على ابنتها مختلف الصور والموديلات ولكن الطفلة ذات العشرة أعوام لم يعجبها أيًّا منهم.

ذهبت مريم لغرفتها وأتت بصورة قديمة لها مع والدتها كانت فيها الأم جميلة ومشرقة قبل أن يصيبها الداء اللعين وتذبل ويضيع الكيماوي بشعرها ونضارتها.. وقالت بمنتهى البراءة:

أنا عايزة زي ده يا ماما..

كان ثوبًا ورديًّا بسيطًا جدًّا فاستغربت الأم جدًّا من اختيار ابنتها وقالت: إنه ثوبٌ بسيطٌ لا يليق بحفل كهذا.

ردت الفتاة وقالت: أعلم، بس أنا عايزة أبقى شبهك، عايزة أبقى زيك، إنتي أحلى من أي حاجة تانية.. إنتي أحلى واحدة في الدنيا..

دمعت الأم واحتضنت ابنتها في قوة وقالت: لكِ هذا.

فردت الفتاة: بس إنتي هتيجي معايا وهتلبسي فستانك.

أتى يوم الحفل وارتدت كلتاهما نفس الثوب.. كانتا كحمامتين ترفرفان بثوبي الأمل.

فقد دفعت مريم البريئة أمها من جديد لمحاربة مرضها والتشبث بالحياة..

دخلت مريم ممسكة بيد أمها في فخر شديد وقالت لصديقتها: هذه أمي.

أمي محاربة قوية وأنا أثق بها ستهزم المرض من أجلي وستبقى معي ولن تتركني..

عانقتها أمها في حنانٍ قائلة: أعدك، لن أتوقف يومًا عن المعافرة وسأكون معكِ حين ترتدين ثوبك الأبيض..

***

البحث عن المعنى

سارة سلامة

أنا سارة نفسي أسيب بصمتي في الحياة، أترك أثرًا ينير الطريق، أعرف مراد الله مني، أعشق تحسين النفس والوصول بها للرقي، للسمو، أحب الجمال أن يظهر من خلال كتاباتي أحلام السؤال في ذهني كيف أسعد إنسان قصصي من خلال الفقد ملهمة، الفقد أقوى شعور كنت أستلهم منه الحكم والمعاني الراقية.

فتبث في نفسي الكثير من المعاني لم تداوِني غير الكتابة الصباحية وبعض كتبي، كيف اكتشف طريق السعادة بعدما جربت جميع المعطيات ولم تؤدِ بي إلى روما، مارست كثيراً من الطقوس المتشددة، وكيف لمسني أن التوسط في حد ذاته دين أدين به في حياتي، معاملاتي، في رؤيتي ونظرتي للحياة.

دائمًا تبدو أعمق مما أنا أستوعبه، كنت دائمة البحث عن المعنى، بعد فقد أقرب إنسان إلى قلبي وروحي وعقلي شعرت وأن جزءًا من كياني يعاد تشكيله، كيف أن تصبح الوحدة هي صديقها، زاد بحثي وتعمقي كيف للرغبة أن تكون الرفيق مع كائن اجتماعي محب للثقافات المتعددة الجنسيات والمواهب واكتشفت أعمق أسراري.. كيف للإنسان أن يحيا حياةً بدون روح، بحثي في كيف أعيد لي روحي، كيف أستعيد جزءًا من كياني، كنت أقرأ وأقرأ علّني أجد الطريق، أين أجد مفتاحه،

وضوء في قلم فكتبت مَن أنا ومَن أكون، فعشقت تلوين الطريق، إن أكثر شيء يلمسني لأن أكون سببًا في سعادة نفسي أولاً ثم الآخرين، دائمًا أجرب على نفسي الكثير من التجارب العلمية على أمل علَّني أصل لأكثر نقطة سلام داخلي منه أضع بصمتي منه أضع حياتي.

***

الوحدة

سارة سلامة

كالعادة أنا كـ "رنا" إنسانة هادية يعجبني أن أكون مزيجًا مفعمًا بين الوحدة والونس، كونت عالمي الخاص، تسعدني غرفتي الصغيرة، كتبي، قهوتي، قلمي، هنا أسكن بعيدًا حيث الضوء الخافت والصوت المعدوم لا أسمع إلا نفسي من هنا أتحدث، وأروي يوم أن قررت النجاح استهوتني أن استقوى بنفسي فانعزلت وخطوت وها أنا أخطو أشعر بالحنين، وكلما ذهبت للكتب لم ألقَ الناس كلها تدعوك لأن تكون أكثر غربة في وطن أنت فيه مختلف، لم أوجد بديلاً.. كيف تشعر بأكثر درجات الغربة حينما تكون في وطنك وغرفتك وعلى سريرك ممسكًا قلمك فسقطت وحدي وعند نهوضي مرضت ولم يأخذ بيدي إلا أسرتي وحينها أدركت معنى "وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا"

نحن كائنات اجتماعية بالفطرة، أنا خالفت الفطرة فعوقبت، وعندما فطنت إلى ذلك ووضعت خططًا أسبوعية للمقابلات الأسرية، اتزنت الأمور، نحن ما خلقنا لنعيش في كهوفنا المظلمة موقف من صديق بمائة كتاب ثم لا غنى عن الكتب وأيضًا عن الناس.

***

هل الموهبة تكفي

سارة سلامة

رجل بسيط بين أنحاء القرى يعيش يملؤه حب التجارب وعلى وجهه علامات السنين، تحت شمس قاحلة، وبين عشب جميل اخترع التلبينة مزيج من عشبة القمح والدقيق بعد بحث له في أحاديث حبيبنا الرسول التلبينة تذهب ببعض الحزن، لم يدرس فن التسويق لما يعبئها في أكياس براقة الشكل نادى بصوته الحنون معي اختراع من وصية الرسول.. من أنت ومن تكون؟.. أنا رجل بسيط جئت بهذه التجربة من بحثي سنين في الكتب أخذت الفكرة الشركات وسوقت لها بأحدث الأساليب وبعد غلاف جذاب وشكل جميل أتوا للرجل البسيط وقالوا له هكذا تباع تنحى جانبًا وخذ منها هذا الكيس علها تذكرك بمن أنت وهكذا موهبته لم تكفِه في النجاح.

***

شارع القاضي

ريهام عبد الله

لم يكن الأمر سهلًا مطلقًا أن تعود إلى ذلك المكان مرة أخرى

إلى ذلك العهد القديم الذي ولى مدبرًا يجر أذيال الخيبة

أتحسبه كان مؤلمًا أم مبهجًا

لا تدري لماذا ساقتها قدماها اليوم إلى ذلك المكان وكأنها تريد أن ترجع ليوم كانت فيه ضاحكة تلك الضحكات التي فارقَتْها، أتريد أن تسترجع ما كان بالأمس؟ ما أسرعها الأيام! حين تمر كقطار تأخر عن موعده ويريد اللحاق بالمحطة.. تمهل فالسير على القضبان كالسير على الأحزان؛ مؤلمًا.

ورأته ماثلًا أمامها شامخًا كعهدها به دائمًا تطل جنباته على الأركان الأربعة أبى إلا أن يقف شامخًا في إباء يتحدى الزمن، مضى عمرٌ لم تأتِ إلى هنا وهو كما هو مازال صامدًا تذكرت الآن لماذا جاءت إلى هنا كانت تحن إلى تلك الأيام التي ولى عهدها كان أقصى ما يؤرقها هل سنزور جدي أم لا وكان هذا الجد هو عم أمي؛ فلقد مات جدي حينما كانت أمي في السادسة من عمرها وكان العم هو الجد لنا كانت تلك حياتها أن تذهب لزيارة جدتها بشبرا ومن هناك إلى الجد حيث يحلو لها اللعب في الشارع ذلك الذي لم يكن مسموحًا لها به غير هناك كانت تستجدي عطفهم دائمًا في الذهاب إلى هناك، كان المشوار بعيدًا ولكنه يهون لأنها في نهايته

ليان للنشر ولتوزيع

ستنعم باللعب كما تريد كان هذا الجد حمايتها لم يكن أحدٌ يمس شعرة منها حتى ما إذا حاوَل أحدهم وأغضبها جرت إليه تشكو له ليثور عليهم جميعا قائلًا لا أريد أن أراها حزينة فلتفعل ما تريد فلا يغضبها أحدكم كي لا أعاقبه.

كانت حفيدته المدللـة، وكان لا يحلو لها النوم إلا على ذراعه لتنعم بنوم هانئ كانت طفلة بريئة تضحك فيضحك لضحكها وقبل وفاته بعشرة أيام ظلت تلح عليهم أريد رؤية جدي، ولكنهم حرموها إياها لتعلم أنه رحل.. لم تكن تعلم ما هو الموت غير أنها لن تراه مرة أخرى وصمتت تلك الضحكات كانت تذهب لرؤية جدتها ولكن ليس بذات الشغف فلم تعد تنزل لتلعب في الشارع لم يعد مسموح لها بذلك وظل عنوان جدتها هو عنوان طفولتها 9شارع القاضي

- أتبحثين عن شيء ما؟

- كلا.

- إنكِ هنا منذ وقت طويل تتأملين هذا البيت.

- نعم..

- هل تبحثين عن أحدهم؟

لقد رحل كل من أبحث عنهم فكل من كانوا هنا قد رحلوا وأعلم إلى أين رحلوا فلا يفيد البحث.

- لا أدري عما تتحدثين، هل أفيدك بشيء؟

- كلا سأرحل بعد التقاط بضع صور للمبنى فلعمارته ما يميزها.

كان مبنى بسيطًا، مدخل واسع وبه سلم يتفرع إلى جانبين جانب به شقتان فقط وهو جانب من العمارة وجانب آخر به باقي شقق العمارة وكانت جدتي في الجانب الوحيد من العمارة لعله القدر الذي شاء أن تتفرد تلك السيدة بالعديد

من الأشياء. كانت هذه السلالم مصدرَ لهوٍ ولعبٍ كان يعرفنا كل السكان وكان مسموح لنا بالدخول والجلوس في أي شقه نريد؛ فلقد كان الكل يكن لجدتي الحب ويكن لأمي كذلك حب توارثناه فلهونا كما كان يحلو لنا.

- في حاجة يا افندم أنا أول مرة أشوفك هنا؟

- لم آتِ هنا منذ أكثر من عشرين عامًا.

- ولكنك تعرفين المكان.

- نعم ففيه عشت طفولتي، أعتذر على إزعاجي لكم.

ومضيت بعد أن حظيت بصور للمكان.. فقط صور لمكان أفتقد ساكنيه ذكرى بدون من أحبونا وأحببناهم. وفي خضم تلك المشاعر لم أستطع حبس تلك الدموع التي انهمرت وأنا أقرأ الفاتحة بعد أن خرجت من شارع القاضي.

***

بيان أم عمر

منال صديق

صباح جديد بطعم لا يختلف تتسلل أشعته إلى جوار أكواب الشاي على مصفاة المطبخ وغلاية الشاي الكهربائية تطلق صافرتها وقد أخرجت (بيان- أم عمر) عبوة القرفة لتصنع لنفسها مزيجًا من الشاي بالقرفة لعلها تحظى ببعض الحيوية والنشاط.. تنهدت ووقفت تفكر في خطة اليوم لإطعام أسرتها هل تتصل بأمها لتأخذ اقتراحاتها في إعداد وجبة غداء اليوم، أم تجري استفتاء بين أولادها، أم تتصل بزوجها وتفتح معه حوارًا ينتهي بكلمة (أي حاجة اتصرفي)!

حتى لا تعد طعامًا يصبح مادة خصبة لخلاف أسري حاد ينتابها بعده موجة اكتئاب وبكاء.

أم تشتري سمكًا مشويًّا اليوم، إنه من أفضل الأشياء التي تسعدها، إنه يكفيها عبء الوقوف طوال اليوم أمام الموقد والاهتمام بنظافة البيت وحوض الأطباق.. وابتسمت للفكرة وأحست بارتياح لكنها شعرت بضيق داخلي.

عاد ضميرها ليؤنبها وحدَّثَتْ نفسها موبخة:

- إنتي أم مهملة، بالأمس ابتعتِ "فراخ مشوية" واكتفيتِ بإعداد السَّلطة حتى تقنعي نفسك أنك أديتِ واجبك وقمتِ بتنويم ضميرك بأن الفراخ وُضِعَت

في النار وأن محل الفراخ المشوية موثوق فيه وله تاريخ ولم يقدم زبائنه شكوى حتى اليوم.

- ستسوقين نفس الحجج بأن محل السمك له تاريخ طويل.

وخرجت إلى حجرة نومها ونظرت مليًّا في الفراغ متمتة إلى ذاتها:

- ألا تعرفين أن التاريخ الطويل يكون أحيانًا ضدَّ صاحبه، إن الزمن يعني كهولة وشيخوخة وانهيار في الوظائف وليس بالضرورة جودة في الأداء.

دخل ابنها الصغير ذو التسعة أعوام عليها الغرفة في غمرة تفكيرها.

اقترب منها وطوقها بذراعيه النحيفتين من الخلف وهي جالسة.

سألته:

- تحب تاكل إيه النهارده يا عموره؟

- أي حاجة.. إيه رأيك في كريب؟

ردت بلا اهتمام:

- الكريب مش أكل.

- بس أنا ولولي بنحبه.

سكتت ورجعت تسرح مع نفسها وتتابع نفسها في المرآة.

فاجأها بسؤال أخرجها من تيهها وحيرتها وكأن سلك بالكهرباء مكشوف مسَّها.

- ليه يا ماما بطنك شكلها تخينة وكبيرة مش زي طنط ليلى ما عندهاش بطن كبيرة زيك كدا؟

عكست السؤال بسرعة كلاعب كرة يرد قذيفة مفاجئة:

- وإنت شفت بطن طنط ليلى فين يا حبيبي؟

ردَّت يا حبيبي بعد أن عقدت حاجبيها وأمارات الغضب تكسو وجهها.

جلس الصغير عمر على الكومدينو المجاور ليستعد لحوار طويل مع أمه؛ فهي من عادتها أن تحول كل موضوع يسأل عنه إلى حدوتة يستمتع بها وقد تعلم منها هو أيضًا أن يحوّل أنظار فصله الدراسي إليه، وأن يتجاوز مشاكله المدرسية والمدرسين بأن يحكي حكاياتٍ جذابة ومدهشة تلفت الانتباه عن الأزمة التي أحدثها.

فردَّ الصغير عمر بجدية على (بيان- أمه):

- شفت بطن طنط ليلى في حمام السباحة بالنادي مع لولي وبسنت في يوم الأمهات عشان دخلت آخد فلوس أشتري بيها آيس كريم من لولي.

- ولاقيت أمهات كتير لابسين مايوهات زي مايوهك يا ماما مغطي جسمهم كله وفي منهم اللي زي المايوهات اللي بتطلع في أفلام الكارتون.

- وكانوا كمان شبه الأمهات اللي في أفلام الكارتون.

وتردَّد ناظرًا إلى السجادة المزركشة الكبيرة التي تغطي الأرضية الباركيه بنقوشها التي تستهويه لينقلها إلى كراسة الرسم خاصته:

- هو صحيح إنك تخينه يا ماما وعندك كرش ولازم تخسي زي بابا ما بيقول؟

التفتت أمه إليه وحاولت أن تبتسم وتتجاوز مرارة اللحظة والكلمات وقامت وقعدت في مواجهته على السرير وأخذت نفسًا عميقًا وطلبت منه:

- افتح شيش البلكونة خلي الشمس والهواء يدخلوا واقفل التكييف عاوزين نسمع صوت العصافير في شجرة الجنينة للي جنبنا.

نفَّذ طلباتها ورجع لجوارها وهو منتظر منها إجابة كعادته معها؛ فهي لم تهرب أبدًا من أي سؤالٍ وجهه إليها وهو يعشق الأسئلة وينتظر بشغف الحدوتة التي

سترويها له أمه بعد أسئلته التي يتحمس لإلقائها عليها في لحظات يخلو فيها جو البيت لهما معًا.

سألته أمه بإشفاق على نفسها:

- إنت بتحب مامي يا روحي؟

أسعدت الصغير (عمر) كلمه روحي منها وهي تقولها بتعلُّق وصوت ضعيف يمس شغاف القلب فردَّ عليها وهو منتشٍ محلقٌ ملتصق بها كقط سيامي يلتصق بصاحبه:

- إنتي أحلى يا ماما حتى من الكاكاو باللبن.

وضعت يدها على رأسه وقالت له:

- تحب تفطر بيض عيون؟ تعالى معايا هنعمله، طلع لي البيض من التلاجة وساعدني.

استوقفته وهما يستعدان للنهوض:

- عارف البيض اللي هنعملوا لك دلوقتي إنت كنت مستخبي في بيضة أصغر منه قد بذرة العنب أصغر كمان.

التفت إليها واتسعت عيناه واستعد للمغامرة:

- يااااااااااااااااااااه..

جلست (بيان) على السرير ومددت قدميها مستعدة للتحليق به في أجواء الحكاية الجديدة التي تستعيد فيها حلاوتها في عينين صغيرها.

وحدقت في بؤبؤ عينيه وتابعت:

- أيوه، كنت في بيضة أصغر من حباية القمح اللي بيتعمل بيه البليلة، وأنا كنت خايفة عليك وخبيتك في بطني السمينة وقفلت عليك لأحسن العصفورة

اللي بتيجي تقف على سور البلكونة تدخل تاكلك وتطير، ولا النمل اللي بيطلع من الجنينة ياخدك لبيته تحت الأرض وما أقدرشي ألاقيك.

وضع رأسه على صدرها في وضع الاحتضان وأكملت وهي تراه قد سبح في أجواء الخيال:

- أنا انتظرت قدومك لزمن طويل وحلمت بيك كل ليلة أكتر من أي حاجة في الدنيا فتحت بطني التخينة وخبيتك جواها عشان محدش يقدر يخطفك مني ولا يشوفك.

وصمتت وقد اغرورقت مقلتاها بالدموع..

وردَّد الصبي وهو يريد منها أن تتابع:

- وبعدين؟

أكملت بصوت يملؤه الشجن:

- وبعدين لفيتك ببطاطين كتير لحد بطني ما بقيت زي البالونة الضخمة البرتقاني في صالة الجمباز.

وقلبي بقى عاوزك تكبر وتبقى بطل وعندك عضلات وسباح وأمير وعريس وجميل.

وأخذ البطل (عمر) الصغير يتدثر بدفئها مستمتعًا بحالة الحب الذي لف المكان مغمغًا:

- إنتي دايمًا شاطرة وبطلة يا ماما.. هااه وبعدين؟

خللت بأصابعها خصلات شعره:

وتابعت:

- رحت موصَّلة ليك في البذرة كام شاليموه لبن ومية وحلويات.

استفاق المشاغب المبتدئ من غيبوبة المحبة التي غمرته وعاد عقله يتساءل متمردًا كما يناورها دومًا:

- إزاي يا ست ماما الشاليموه يدخل البذرة؟

باغتها بسؤاله ولكنها لم تتوقف أمام ملاحظاته الذكية من قبل ذلك:

بابتسامة سعيدة بشغفه أكلمت:

- ما أنا يا فالح قعدت أصلي وأدعي ربنا إن الشاليموه يصغر ويصغر ويصغر لحد ما يدخل البيضة الصغننة اللي قد حبة القمح اللي إنت ساكنها.

وعاد ثانية من صحوته العقلية إلى سحر الحدوتة صامتًا مستكينًا فواصلت بحنين إلى ذكريات حملها فيه وأردفت:

- وربنا بص في قلبي لاقاه منور بحبك فبعت ملاك نزل من السما ودخل جوه بطني ووصل الشاليموه بعد ما صغَّره إلى البيضة بتاعتك ونجح الأمر وقلبي ملاه الفرح.

وغالب العصفور (عمر- ابن بيان) إشفاقه على أمه وهو يتخيل أنه يكبر ويطول ويتخن جوه بطنها وهي شايلاه وكأنه يحدث نفسه بصوت هامس:

- وكبرت جوا بطنك ومافرقعتش وكنتي شايلاني طول الوقت يا سلاااام دا إنتي قوية أوووي.

فأحست (بيان- أمه) أن الحدوتة وصلت إلى محطة الوصول التي أرادتها وأن هبوطًا وشيكًا أصبح في الإمكان فأطلت بالنهاية السعيدة واسترسلت:

- ما عشان كدا يا جميل بطني كبرت أوووي واتمطت زي البالونة لما بتنفخها عشان توسع ليك يا بطل وإنت بتطول وتقوي جوايا بدون ما يمسك حد غيري.

- وبعدين أخدوني عند الدكتور وفتح بطني وطلعت منها وإنت بقيت عريس زي القمر إنما بطني ما رجعتش تاني زي بطن طنط ليلى.

وبقفزة بهلونية بارعة من العريس (عمر) الخفيف ذي التسعة أعوام بجسده الجمبازي انقض عليها مقبلاً بحرارة معبراً عن فخره بنفسه وبها هاتفًا بقوة:

- إنتي أحلي أم في الدنيا وأحلى واحدة في الوجود أنا ما شفتش حد أحلى منك أبدًا.

تمت

***

مقهى كامب شيراز

منال صديق

من وراء زجاج المقهي بكورنيش الإسكندرية بمحطة كامب شيزار بعد أن استراحت المدينة الساحلية من عذاب المصطافين الجُدد بعودتهم لقراهم بملابسهم الداخلية التي يعتقدون أنها لباس البحر ورائحة أواني الطبخ القادمة معهم من المحافظات المجاورة بخلاف رائحة القمامة التي يخلفونها وفوضى ضوضائهم السمعية والبصرية.

هدأت حركة المرور على أسفلت يستقبل رياح البحر المتوسط ليغسل ما لطخه الصيف بمن جلبهم إلى المدينة العجوز التي خط الزمن بصماته القاسية بلا رحمة على وجهها الجميل الذي طالما تغنى به الرجال ولكنها سنة الحياة.

جلس شوقي شامخ الموظف السابق بوزارة التأمينات الاجتماعية في بقعته المفضلة خلف الواجهة الزجاجية العالية التي تكشف الأمواج المتلاحقة حتى أفق بعيد فوق الهضبة التي يعتليها المقهى آخذًا جلسته في طقس يومي اعتاد عليه منذ خروجه إلى التعاقد منتظرًا جليس عمره وصحبته صلاح السعدني والذي تشاء الأقدار أن يحملا اسمي لاثنين من نجوم الدراما التليفزيونية في مفارقة قدرية نادرًا ما تحدث كانت مثار لقفشات ونكات وحوارات وإسقاطات دائمة لشلة القهوة.

مجموعة موظفي المقهى التي كانت تضم مجدي وعادل ومتولي وعبد العال

وذهبت رياح الأيام بها كما تنتهي أمواج المتوسط عند شاطئ صخري رملي أو إسمنتي.

ويبدو أن قوانين الكون وسننه أبت إلا أن تستمر في أعمال مفعولها لتنزل الستار عن ربع قرن من عمر هذا المنتدى وهذه الأنحاء المتوسطية.

بالأمس دارت رحى معركة حامية الوطيس بين أقدم زبائن هذه البقعة الساحلية صلاح وشوقي.

صلاح السعدني موظف الأوقاف الذي جاء من الصعيد ليسكن في شقة ورثتها زوجته في عمارة عن أبيها الذي كان متزوجًا من أربع نساء.

انتقل بوظيفته من الوجه القبلي إلى ورث زوجته بالمدينة الساحلية ليتلقي بشوقي شامخ على المقهى الساحلي لتبدأ رحلة كان يلعب فيها صلاح دور المستمع الصامت بهيبته الجنوبية.

بينما شوقي كان الفوريجي الكلمنجي الساحلي حلال العقد الجوكر الذي ينفذ من سم الخياط

كانت جلسه الخميس ميعادًا مقدسًا فلا تنقطع إلا في ظروف الأعياد والمناسبات الاجتماعية أو السفر والمرض حتى النوات البحرية لم تقطعها.

لم يجتمع شوقي شامخ وصلاح السعدني في أحاديث مباشره لعقود إنما كانت دائمًا في إطار الأحاديث الجماعية لتجمع موظفي قهوة كامب شيزار.

كان شوقي أقرب إلى فخري وعادل وكان صلاح أقرب إلى متولي وعبد العال.

كل فريق كان يمثل واقعًا جغرافيًّا مختلفًا

السواحيلة.. وهي مجموعة شوقي

وجه قبلي... وهي مجموعة صلاح

الملامح النفسية والفكرية والإنسانية والتراثية المشتركة جعلت كل فريق ينصهر ويقترب في مشاركته في شلة القهوة وكان لكل زمرة منهم قائد يدير أموره ويلعب دور الكبير أو الكابتن في قيادته داخل المجموعة.

إلا أنه بعد صدمة المعاش.. وانهيار الدخل وهجوم أمراض الشيخوخة وغلاء المعيشة والسفر إلى مسقط الرأس.

لم يبقَ إلا صلاح وشوقي وجهًا لوجه منفردين..

كان هناك من البداية تجلط في التواصل السلسل بينهما عندما انفض الجمع إلا منهما وكان هناك خجل وصمت.. إلا أن الحاجة إلى الصحبة وبرد الخريف دفعتهما للاقتراب من بعضهما البعض فبدآ تبادل الأحاديث التي تخشاها الرسميات والمجاملات وكان الوقت طبيبًا مدهشًا في إزالة الحواجز.

بالأمس كان الانفتاح بينهم والفضفضة بلا عوائق فعبر شوقي موظف التأمينات الاجتماعية أن للفساد بمعناه المتزمت ضرورة تعليقًا على أحد الأخبار بالصحف وأنه ليس شرًا مطلقًا وكان هذا عند متابعة قانون المعاشات الجديد الذي يقطع المعاش في حالة عمل المتقاعد وحصوله على دخلٍ يجاوز معاشه والنقاش الحاد والإشاعات حول هذا الموضوع.

مردد وهو ياخذ أنفاسه المعتادة من النرجيلة متخذا هيئة عالم الاجتماع الذي يشرح أوضاع المجتمع وصولاً لتشخيص لأوجاعه بدون الخضوع لعناوين رنانة اعتاد المتحذلقين التوشح بها للظهور الإعلامي الكاذب:

- منبع الفساد هم البيروقراطيون بتعاليهم على احتياجات الناس وعدم إلمامهم بالظروف العامة للبلاد مما يورط الدولة معهم في نزاعات هي في غنى عنها فلو أجهدوا أنفسهم قليلاً وقاموا بأعباء الأمانة المخولة إليهم كانوا درسوا جيدًا الظروف الصعبة المحيطة بالناس وتعاطفوا معهم وأجهدوا انفسهم للتوفيق بين احتياجات الدولة ومطالب المخاطبين بأحكام مشروع القانون.

إلا أنهم بأسلوب الموظف الذي يسدد الأوراق بلا تفكير مبدع جعلوا من القسوة قانونًا تصبح مخالفته فسادًا

فعارضه صلاح قائلاً:

- ما هذا الهذيان؟

من يلبس الخطأ عباءة الظروف لا مبرر لمخالفة القانون ولا عذر للمخطئ.

قالها ووجهه يستشيط حمرة ويشتعل نارًا ويهتز جسده.

فنظر إليه شوقي بروقانه وعينيه الناعستين وأهدابه المنتشية والدخان يتمايل ويتراقص حولهما والمبسم بين شفتيه

قائلاً:

- ربنا يمسيهم بالخير فخري وعادل ومتولي وعبد العال لو كانوا موجودين كانوا ردوا عنّي ياما قدمت لهم خدمات على هامش القواعد القانونية الصماء التي بلا قلب ولا عقل يتكيف مع الزمن ويراعي ظروف الناس الملخبطة بالمنطق المتزمت والتعريف الضيق يقال عنها فساد ولكنها كانت ضرورات تبيح محظورًا لا مفر من الخروج عليه لإغاثة بشر لا يعرفون عن الأنظمة شيئًا، إنها روح الرحمة وليس هيكل النص.

وفي حركة مفاجئة وصوت جاد رفع شوقي موظف التأمينات سبابة يده اليمني واستقام في جلسته المرتخية وتكلم بصوت شديد الجدية قائلاً:

- ويعلم الله أني لم أتقاضَ مليمًا واحدًا، وأفتخر.. واعتبره قضاء لحوائج الناس ورأفة بضعفهم.

- وإن اعتبر في نظر المتحذلقين والمنغلقين والمتفيهقين والمتسفسطين خروجًا على المتون في المفهوم المتشدد فإني فاسد وأفتخر.

وزادات حرارة الأجواء بانتفاضة صلاح موظف الأوقاف من مكانه مثل الشراع عندما يلاقي الرياح عند قيام المراكبي بعمل مناورة به في عرض اليم..

قائلاً:

- وأنا أفتخر بأني لم أقدم طوال حياتي خدمة لأحد (بمقابل أو بدون) تخالف القانون انطلاقًا من إيماني بتطبيق القانون كما يطبق الشرع ومن يخالف القانون يستمرئ مخالفة الشرعية وسيخالف قواعد المرور وسيخرج عن القيم والأخلاق وسينتهي به الحال إلى أن يخالف أوامر الله ومصيره إلى جهنم.

- ولن أفتن نفسي بعد هذا العمر.

وهب بقامته الممشوقة الممدودة مثل ساري العلم منتصبًا وألقى التحية وكأنه يؤدي تحيه العَلَم:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وولّى صلاح مغادرًا مدبرًا على عجلٍ وكأن ثعبانًا أقرع يطارده.

تاركًا فخري فارغًا فاه مثل دوامة تبتلع ما يقترب منها بلا هوادة مذهولاً تظهر على ملامحه آثار لطمة قاسية تلقاها على غفلة على غير العادة.

وعندما ما استفاق قرأ الفاتحة رافعًا يديه في حالة دعاء.

وعندما انتهى مسح وجهه ليجاوبه صبي القهوة:

- البقية في حياتك يا بيه.

***

المعتكف الثقافي

منال صديق

علي طريق الفيوم قبل المقابر ستجد بوابة خشبية عتيقة بجانبها يافطة خشب مكتوب عليها

- احترام الكبير والحنية مش للبيع

- اللقا والونس والصحبة مش للبيع

- الأدب والأصول والوصل مش للبيع

- ريحة الحبايب وذكرى الأيام مش للبيع

هتلاقي للبيع عندنا قُلل وجلابيب ومشلتت وعسل وبط وفتة وخلافه بس ولزوم اللمة

- قبل ما تخطي البوابة اسأل نفسك نويت تتصالح.. نويت تقرب نويت تشرب من نبع الحبايب

إن كانت دي نيتك خطي وادخل وسمي باسم الله الرحمن الرحيم

ويا مرحب بيك ألف مليون مرحب بالغاليين

هي دي دار قرية شيخ العرب لصاحبتها عالية أيوب خريجة آداب القاهرة قسم لغة عربية- الشاعرة الحزينة كما يطلق عليها.

على قطعة صحراوية بجوار الطريق إلى الفيوم استطاعت بعناء الحصول على حق انتفاع لإقامة حلمها هذا فأسست مقعد شيخ العرب على طراز معماري عتيق وبسيط ولكنه ملهم يعود بك زمنًا إلى الوراء

تستقبلك من عند البوابة الساحة الكبيرة للسوق

قناة مياه تلف المكان بمثابة مسأة للبط والوز.

عيناك هتصافح مفردات حياتية تقريبًا انقرضت من حياة المدن للأجيال الجديدة مع موجة التطور الغربي الذي ضرب البلاد ستجدها في مفردات بسيطة، ولكنها موحية في المصاطب والكنب البلدي والطبالي والقناديل واللمض نمرة خمسة والفخار بأنواعه.

قاعة المطبخ بالفرن البلدي القديم وزلع المش والعسل والسمنة البلدي وأكثر من كانون (مواقد الطهي قديمًا في الريف) وحلل الطبخ القديمة وقوالح الدرة وعيدانها الناشفة للنار الأسقف من سيقان شجر النخيل والكافور

الطوب الني (مخمر الطين مع قش القمح المطحون معجون ويتم تنشيفه في الشمس وكان مادة البناء لآلاف السنين في مصر من عهد الفراعنة حتى القرن العشرين) الحيطان من الطوب الني البني المدهون جير ملون والحجر الجيري والقباب والحصر البلدي وشلط القطن وليف النخيل وشجر الكمبوزا والتوت والنخيل اللي بيحيط المكان ومسك الليل وشجر الليمون واليوسفي والجوافة.

والعنبةة اللي القعدة تحتها تخبل وحظائر الوز والبط والمعيز والفراخ وفي آخر المساحة الضخمة تلمح من بعيد في المنطقة المحظورة عن الضيوف 3 أبراج حمام وزرعة الشيح وبيقولوا في مناحل عسل لأن ورا المكان أرض مزروعة وجناين لقرى الفيوم.

في هناك ترزي بلدي بيفصل جلاليب فلاحي رجالي وحريمي ونجار بيعمل كنب بلدي بتنجيدة وطبالي وصناديق والخامة عندهم وقي قُلل وأزيار وهي أواني فخارية لحفظ المياه) أشكال وألوان وفي أيام معينة بيتعمل سوق حقيقي اسمه سوق عكاظ وتنصب خيم الخيش البدوية وقعدات ويتعمل الشاي على الراكية والقهوة العربي وبيتقدم الكسكسي واللبن الصابح والعصيدة بالعسل الأسود والأبيض ويتم إلقاء الشعر والنثر والقصة ويتعقد حوارات ونقاشات لا تنتهي.

وفي أحيان أخرى تلاقي قعدات صلح بين عائلات ودي بيؤمها شيوخ كبار لهم اسم كبير وسُمعة في إنهاء النزاعات بين المتخاصمين وناس تخطب وتدي مواعظ وتلقي حكم وتحكي قصص للوعظ والإرشاد وبتبقى زي ساحة للمحكمة العُرفية يتبارى فيها القوم بالحجة والبيان والإقناع، ولا بُد من تقديم وليمة فيها فتة وشاي ورز بلبن ولا بسيسة وأوقات أخرى تلاقي سبوع أو عقد قران بس صاحبة المكان تشترط حضور القادمين إلى ساحة شيخ العرب بالجلابية والبساطة واللمة العائلية الحلوة ومسموح بخطبة يقدمها شيخ متنور وبعض التواشيح الدينية ويقدم كتحية واحتفال بالضيوف الفطير المشلتت وعسل وقشطة وجبنة قديمة بطحينة وطماطم وسوبيا وعناب وعصير قصب.

وممكن تواجد مغنواتي قديم على العود يقدم كام فقرة فيها أغاني قديمة تناسب المناسبة بادب واحترام من الحاضرين.

كان ما سبق هو ملخص للمعلومات التي جمعتها (رؤية) الصحيفة الشابة بقصد عمل تحقيق للنشر عن المكان وعمل لقاء مع صاحبته السيدة/ عالية أيوب

وقد أبهر المكان الصحيفة المحققة وأثار احترامها وإعجابها الشديد واعتقدت أنه تحفة حضارية صنعت في واقع غريب.

في الموعد المحدد سالفًا التقت الصحفية الفضولية حسب الاتفاق بالسيدة

(عالية) في (الخان) وهو مقر صاحبة مقعد شيخ العرب بداخل أسواره والمصمَّم على طراز إسلامي يشبه البيوت القديمة في مصر عتيقة المشربيات والأرابيسك والنافورة والكراسي الخشب المعشقة والأرضية من حصى وكسر الرخام في أشكال بديعة والخيامية

وكان أول سؤال للصحفية (رؤية) بعد التعارف والترحيب والمجاملات:

- ليه؟ مينين جاتلك الفكرة؟!!

باستغراق مع كوب القهوة ردت (عالية):-

- كانت ضرورة في رحلة بحث عن وجود لذاتي، أنا شخص محظوظ ومبتلاة في ذات الوقت وحبيت أعدي بحر الحياة في مركب بين ضفتين سؤال:

أنا مين؟؟؟؟

قاطعتها الصحفية الشابة وهي تكتب إجابتها بيديها:

- لا لا لا مش عايزة إجابات فلسفية.. دي بينّها قصة أنا معاكي لآخر المشوار بس عاوزة كلام بسيط أفهمه أنا والقارئ اعتبريني الست اللي بتخبز عيش قُدّام الفرن احكي الحكاية من الأول.

رمقتها (عالية) بشك وسألتها:

- وهتكتبيها بأمانة؟؟ ولا هتضيفي عليها توابل صحفية وألوان صناعية.

سارعت الصحفية الشابة بضحض شكوكها معقبة:

- دا وعد ودين وهاعرض عليكي التحقيق قبل ما أقدمه.

وهكذا سحبت (السيدة عالية مؤسسة مقعد شيخ العرب) مرساة الواقع لتسير رحلة الحكي في مجراها وتابعت:

- أنا أجيد الفرنسية والإنجليزية اتولدت في الحسين وكبرت في حي الزمالك ولعبت في نادي الجزيرة الرياضي وجدي لأمي عمدة وأبويا (رحمه الله) موظف كبير سابق بوزارة المالية. مطلقة من أستاذ بطب القاهرة ولم أرزق باطفال.

أبو جدي من ناحية الأب كان فواعلي (بيشتغل بالأجرة في الغيطان باليومية) شديد الفقر لكنه كان ذكيًا وذو عزيمة قوية فحصل على فدانين أرض سبخ (الأرض المملحة التي لا تصلح للزراعة إلا بعد جهد عظيم) واستطاع جدودي تحويل الأرض التي بلا قيمة إلى أرض منتجة.

أكملت (عالية) كوب القهوة العربي المحوجة ذات الرائحة النفاذة وطالبت من هم بالخان بكوبين لبن بالقرفة والحبهان والتقطت أنفاسًا عميقة وأخذت مجداف الحوار للمياه العميقة وتابعت:

- أمي وأبويا آخر خلفة أهاليهم بعد 8 أولاد وبنات ودا كان فأل حسن لأبويا لأنه الوحيد اللي كمل تعليمه للجامعة وتخرج في زمن الثورة من كلية التجارة واتعين في وزارة المالية سكن في شقة، في الحسين لأحد كبار التجار مقابل مواجهة حساباته.

إنما أمي كان ترتيبها كآخر خلفة العمدة مختلف ولدت بمشاكل صحية وأصيبت يعرج خفيف وكانت مريضة لا يرجى شفاؤها.

بين أسرة أبي وأمي فارق اجتماعي ومالي شاسع إلا أنهما تزوجا وقطنت أمي في حي الحسين حيث أنجبتني وهناك تعرفت في هذا الحي العتيق على (أم محمد) السيدة الطيبة الخدومة زوجة (أبو محمد) بائع السمين والممبار ولحمة الراس كانت النقيض من أمي؛ فكانت (أم محمد) سيدة قوية عفية نشيطة جميلة كافحت من أجل حياتها محبوبة جريئة لها علاقات لا تنتهي بنساء من طبقات مختلفة ظلت الصديقة الوحيدة لأمي حتى مماتها وحتى بعد انتقالنا لحي الزمالك

عندما تلقت أمي ميراث أبيها أموال من أخوتها وفلوس نقدية وليست أرض كما هي عوايد أهل الصعيد فانتقلنا إلى شقة الزمالك في العمارة العريقة.

واشتركنا بنادي الجزيرة الرياضي فقد كان أبي رجلاً مهيبًا يقدم خدمات قيمة لتجار كبار في حي الحسين التجاري والأحياء التجارية المجاورة له وله صداقات مع شخصيات مهمة من خلال ترقيه بوظيفته بوزارة المالية.

ولقد تزوج أبي للمرة الثانية على أمي امرأة من هذا الحي التجاري ابنة أحد هؤلاء التجار وأنجبت له ولدين ولقوا حتفهم جميعًا زوجة أبي وولديها في حادث سيارة أليم أودي بحياتهم وسقط أبي على إثر هذا الحادث مريضًا حتى قضى نحبه من الصدمة والحزن.

ظلت أمي وحيدة غريبة في الزمالك لا تعرف في القاهرة إلا (أم محمد) التي ساعدتها في تخطي أزمة زواج أبي من أخرى.

التحقت بمدرسة فرنسيه وكان أدائي سيئًا فتم نقلي لمدرسة لغات إنجليزي بالزمالك وأنهيت دراستي فيها بصعوبة والتحقت بآداب القاهرة لغة عربية وأحببت الأدب والشعر العربي القديم.

بعد تخرجي عملت بالتدريس ولكن مواجهة تلاميذ هذه الأيام يحتاج إلى قوة نفسية وطاقة روحية لا تتناسب مع الضعف والانعزال الذي ورثته عن غربة أمي وهوانها وتزوجت زواج صالونات ولم أنجح في الإنجاب وانتهى الأمر بالانفصال الهادئ.

ماتت أمي وأصبحت وحيدة في شقة الزمالك وتبعها أصدقاء النادي والمدرسة هاجروا لأمريكا وأستراليا وكندا أو سافروا لدبي.

ولم أجد معي إلا(أم محمد) صديقة أمي الوفية كانت تزورني هي وابنتها وتحاول شد أزري وشجعتني للتواصل مع أهل أمي وأبي في قريتهم وسافرت البلد

حيث عائلة أمي وأبي وما زال لأبي ميراث في الأرض التي يزرعها عمي هناك وعماتي المدرسات لهم أبناء كثر وقد استقبلوني بترحاب وحاولوا تزويجي من أحد الأقارب ولكن رفضت.

واحتقن وجه (عالية) فجأة

وظهرت علامات الألم عليه وضغطت على نفسها بأيديها وتابعت:

وأخذت أسأل نفسي: من أنا؟

ولمن أنتمي؟ ولماذا جئت إلى هذه الحياة؟ وما المطلوب مني أن أفعله؟ وأين هي جذوري إلى بلدة أبي وأمي الريفية ولا في حي الحسين ولا في حي الزمالك؟؟

وهل أنتمي إلى واقع الطبقات التي نشأت معها في مدراس اللغات ونادي الجزيرة؟؟ أم أنتمي إلى أساتذتي في كلية الآداب وتراثهم؟؟؟ أم إلى أهلي في الريف؟؟

ومرضت مرضًا شديدًا شخَّصه الأطباء بأن أسبابه توتر نفسي وزارتني إحدى زميلات الجامعة فعرضت على أن أحضر صالونًا ثقافيًّا في الزمالك للشعر تقيمه إحدى الشخصيات الخليجية وتلتقي فيه بأدباء وشعراء بارزين.

وكانت أمسية رائعة لا أنساها، وأصبحت شغوفة بالفعاليات الثقافية في أماكن مختلفة حتى شهدت حوارًا لأحد الشعراء من مواليد أواخر العشرينيات يتمنى قبل موته أن يشهد يومًا لسوق عكاظ الشعري الذي كان يجمع عمالقة البيان وأن يرى حياة بتفاصيل تزهد في تلك التفاصيل التكنولجية الغربية ذات الألوان الكاذبة، وأن يعود إلى قريته حيث شيخه الأزهري الذي كان يقيم حلقة الذِّكر ويتبعه بمنتدى للحوار مع كبار البلد في هذا الوقت من خريجي المدارس العليا والذين كانوا آية في العلم والخلق والبيان.

وعادت الدماء والتهلل والارتياح والانبساط إلى وجه (عالية) وكأن الشمس خرجت من وراء السحب الداكنة بعد يوم مطير وأكملت:

"هذه النوستالجيا لذاك العجوز المثقف الذي لا أعرفه ألهمتني وكأنها رسالة لي وحدي أن أؤسس هذا الحلم الذي ترينه وأن يشاركني فيه أأناء القرى المجاورة وأصدقاء لهم خبره في الإدارة وحرفيين من الأحياء القديمة في مصر عتيقة، ولكن السر الذي لم تطلعي عليه بعد خلف صومعتي (الخان).

بالخلف خلف تلك أشجار الكافور العالية يوجد المسافر خانة (رواق المعتكفين) وهو مبنى على طرز المساجد القديمة مثل الأزهر وجامع عمرو بن العاص، صحنه مكشوف تحيط به من الجهات الأربع أعمدة مغطاة بالطبع لا يوجد مئذنة ولاقبات إنما توجد قِبلة ومحراب وحول الأعمدة يأتي المعتكفون ليتمتعوا بالسفر عبر الزمن من خلال قراءة سِيَر وتاريخ الرجال العظام الذين واراهم التراب إنما وضعوا آثارهم في ذاكرة البشر والتاريخ فتنعقد حلقات يؤمها متخصصون في الشعر والأدب والتاريخ عبر مراحل زمنية مختلفة وطبعًا هناك حضرة يقرأ فيها القرآن قبل الشروق وقبل الغروب للبركة.

من يأتينا عابرًا بوابة مقعد شيخ العرب يخلع دنياه ويلبس جلبابًا وعباية ويشد ملاية بين العواميد ويأخذ مداسًا (حذاء ذي سيور بطراز مملوكي).

(زي المعتكفين في رمضان تمام) وبالدور الثاني للرواق توجد الوكالة أو السلايات باللغة القبطية وهي كهوف المعتكفين حجرات صغيرة بفرش بسيط جدًّا صندوق ملابس ومصطبة عليها حصيرة أو مرتبة من ليف النخيل وتستعمل في الإضاءة قناديل الزيت، وفي الصحن توجد الميضة للوضوء والاغتسال وعند قدوم (الزاهدون) هكذا نسميهم في رحلتهم يسلم كل منهم جراية ناشفة يعني بلح ومنين - نوع من المعجنات- بعجوة أو فطير بجبنه وشوية عسل وجبنة قديمة ويقدم الطعام المطبوخ مرة واحدة في اليوم ويراعى أن يكون خفيفًا ولا يسبب تختمة ولا وخما أو نعاسا.

وفي المسافر خانة يرتحل الزهاد عبر معارج الكلمات في رحلة عبر الزمن لاكتشاف ذواتهم والتمتع بعبق المعرفة ومشاركة ذلك في أجواء روحية عالية.

هذه النوستالجيا ألهمتني ان أبني هذا الحلم الذي ترينه...

دخلت على (عالية) والصحفية أكواب اللبن المغلي بالقرفة والحبهان.. بالعسل ليضفي لمسة من الانتعاش ويجدد الأجواء.

فناولتها الصحفية الشابة (رؤية) الكوب مع سؤال واقعي:

- وهل تحققين ربحًا من هذا المشروع الحلم؟

كما هو ظاهر لا يخفي أن هناك عمالا ومؤنا وخدمات وأبنية وضيوف لهم طلبات واحتياجات إلى جانب أنه من الممكن أن يتطور المشروع إلى قرية ثقافية وليس مقعد شيخ العرب فقط المكان يحتاج إلى إدارة وكفاءة عالية.

نظرت (عالية) إلى الصحفية الشابة وقد استفاقت من ذكرياتها على رائحة القرفة وأجابتها بثقة وحزم:

- المكان يدار بطريقة اقتصادية فالخط الأحمر لدينا هو ألا نحقق خسائر حتى لا يغلق المشروع وإن حققنا أرباحا فإننا نوجهه كمخصصات لمواجهة الاحتياجات المتنامية.

إن كان عليا أنا عندي معاش أبويا وشقة أمي وورثي

المكان يدار بطريقة اقتصادية فالخط الأحمر لدينا هو عدم تحقيق خسائر حتى لا يغلق المشروع وإن حققنا أرباحا فإننا نوجها كمخصصات لمواجهة الاحتياجات المتنامية. أنا عندي معاش أبويا وشقة وحساب بالبنك معقول يغطيني.

وأطرقت عالية قليلاً وتابعت :

- ابويا كان راجل زكي اشترى أراضي جيدة وبنى عمارة وكوّن ثروة معقولة

استهلكتها في تحقيق الحلم دا كان رجل مالي وكان أصدقاؤه تجار قدامي وأكيد أنا املك هذا الحس المالي.

وأردفت بحسم:

- إنما المال ليس هو الهدف وإن كانت إدارته بحكمة أمر حيوي فالمكان ده أنقذني من إني أدخل دايرة اكتئاب وضياع وأصرف فلوسي على الدكاترة والمصحات أو أدخل تجارب زواج فاشله أو يضحك عليا وأبقى فريسة.

وأخذت عالية نفسا عميقا وأردفت:

- الفلوس وسيلة لتسهيل تبادل المنافع وليست هدفا إنسانيا.

أنا عندي قبر أبويا وأمي عند أهلي في البلد في مكان ليا فيه للرحلة الأخيرة ماذا أريد أكثر؟!!

وبكل ثقة ووضوح أضاء وجه عالية مهللاً وهبت تستأنف الحديث:

- أنا لا أريد إلا أن اترك أثرا طيبا وأثر أستحق عليه دعوة طيبة بعد مماتي.

إن أكبر نجاحاتي هنا أن أخرج من عزلتي النفسية وأن أجد نفسي وأن أجد ودا وعلاقات من بشر حقيقيين

وفتحت عالية ذراعيها بعرض السماء وقالت:

- إن كل ما يحدث هنا هو انعكاس لتلك الطبقات المتباينة التي أتيت منها.

- - أنا أتحقق أخيراً.

***

حمار جدي

منال صديق

- بيغيظني

- الكلب ابن الكلب بيغيظني.

رددت (رحاب) وهي في حاله تعجب تحت شجرة المامبوزيا بالنادي تعليقًا على أحد كلاب الشوارع الذي يفضّل أن ينام ليلاً فوق سطح سيارتها مسببًا انبعاجًا في صاجها.

ضحكت مجموعة السيدات والبنات اللاتي يجتمعن كل ثلاثاء خلف المبنى الاجتماعي للنادي العريق في جلسة يتبادلن فيها الأحاديث والأخبار والخدمات ويتفقن فيها على مواعيد الخروجات للشوبنج أو الاشتراك الجماعي في برنامج لجنة الرحلات بالنادي.

علي صوت ضحكاتهم جاءت نشوى أحد أعضاء التجمع النسائي على الممشى الملون على شكل قواقع البحر مسرعه لتلحق الاجتماع الأسبوعي مبادرة:

- خير اللهم اجعله خير، فاتني كتير.

ردت نائلة:

- أبدًا رحاب يا ستي بتشتكي من كلب في الشارع كان بيغيظها وحطت له

شطة وفلفل على سطح عربيتها علشان يحرّم ينام على سطحها بالليل ومع ذلك لا يجد له سرير غير عربيتها.

ضحكت سلوى تلك الضحكة الراقصة التي تشبه في رناتها المذيعة الشهيرة إيناس جوهر في إذاعة الشرق الأوسط قديمًا وأضافت بخبث أنثوي.

- يمكن بيحبك وشايف في عربيتك الدفا.

اتقمصت رحاب ولم تعلق وتجاهلت تعليقها حتى لا تصبح هدفا للنكات النسائية.

جذبت الحاجة هدى - أكبر أعضاء التجمع النسائي للنادي والتي تعتبر قائدة له وتتمتع باحترام وحب كبير من السيدات والرجال والمسئولة عن لجنة الرائدات بالنادي- دفة الحوار وابتسمت بطيبة وملأ وجهها البشر واتكأت على عصاها الطبية وأردفت:

- يا ولاد الإيه.. رجعوتني 70 سنة لورا أيام البيت الكبير وحمار جدي اللئيم.

كان أبي مدرسًا أزهريًّا وكان يتنقل بين عواصم المحافظات المجاورة فأحيانًا يكون في طنطا وأخرى بشبين الكوم وثالثة في الزقازيق، ولكن بيت جدي الكبير مقر للأسرة حيث يتركنا أبي مع إخوتي في رعاية جدي وجدتي ويتنقل فترة الدراسة هو وأمي بجوار محل عمله.

وكان لجدي حمار مثار حكايات وروايات في البلد حتى إن أبي أسماه حمار جحا وهو يؤكد أنه طلع من الكتب القديمة وكان يسأل جدي:

- إنت اشترتيه منين يابا... وكان جدي يرد بأنه كان تخليص حق.

كان أهل البلد بيقولوا دا مخاوي جني لأنه ياما عمل مقالب ومكائد مثل الأطفال الأشقياء وأنا أعتقد أن الحيوانات أقرب ما يكونوا إلى روح الأطفال تمامًا.

مدت الحاجة هدى يدها لكوب القرفة الذي اعتادت تناوله لينشط دورتها الدموية والمحلي بالعسل كما اعتاد بوفيه النادي أن يعده من 25 عاما.

وعيون النسوة المتحلقات حول مجموعة موائد حديقة النادي حولها تنتظر منها أن تكمل الحكاية وقد التقطت السيدات من حولها أكواب القهوة والنسكافيه والشاي بحليب الذي يحتسينه في أجواء خريفية صباحية بعد دخول أولادهن المدراس وخلو النادي صباحًا من زحام الصيف ودوشته وكانت أشعة الشمس الدافئة مع نسمة الهواء السارية تعطي شعورًا بالانتعاش والنشوة.

شدت الحاجة هدى ظهرها وقامتها وتابعت وقد شاب وجهها شديد البياض حمرة زادته ضياء وجمال وجاذبية لم تفقدها رغم تخطيها السبعين بخلاف حضورها وحنانها المغلف بالحزم والحنكة وجم الأدب مما يجعلها مسموعة الكلمة بالنادي.

- كان حمار جدي حمار عفيا قويا سريعا يأتي جيران جدي في البلد لاستعارته لإنجاز أعمالهم خاصة في مواسم الحصاد.

فكان جدي يوصيهم بأن يستميلوا الحمار بأعواد الذرة الخضراء والتبن والكسب المغطى بالمولاس كنوع من الحلوى حتى يحصلوا منه على ما يريدون ولكن الجيران لم يأخذوا بنصيحة جدي على محمل الجد وكانوا يسحبونه للعمل مباشرة دون إطعامه أو ملاطفته فكان حمار جدي ينتظر هادئًا مطاوًعا حتى يحملون الغبيط[1] بالحمولة سواء كانت سباخ للأرض أو كيزان درة أو بطيخ أو بطاطس أو بصل ثم يأتي على جسر الترعة ويلف يقطع الحبل اللي مثبت الحمولة بأسنانه الحامية ويقلب الحمولة اللي على ظهره في الترعة ويطلع يجري على بيت جدي على الباب الخلفي للبيت الكبير المخصص للبهايم والجيران وراه يشتموا فيه بعلو صوتهم:

- تعا هنا يا حمار يا بتاع الكلب.

1) كيس من الخيش السميك ذو جانبين يوضع علي ظهر الحمار ليمتلئ بالمحصول أو السماد البلدي الخ الخ

فيسمعهم جدي ويزعل وتبقى خناقة بعدها يحرمه جدي من الأكل ويدخله الزريبة ويشخط فيه زي العيال الصغيرة ويقوله:

- اترزع هنا ما تورنيش وشك جايب لنا العار والمصايب داهيه تاخدك .

ويقعد حمار جدي زعلان من شتيمة جدي ليه وتلاقيه نزل ودانه الطويلة لتحت والدموع مَلِت عينيه واستنى لساعة المغربية لما يقعد جدي عند مصطبة الباب الخلفي (باب البهايم) تحت العنبة يشرب شاي ويشد الحمار باب الزريبة ويطلع ويوطي راسه أمام جدي زي القطة في مشهد عجيب يصعب على جدي ويرق قلبه له وكان جدي يكلمه زي البني آدمين ويقوله:

- هو إنت يا ولا مش هتوب عن خصلتك المنيلة دي.

وأول جدي ما يمد إيده له بعود درة أخضر وشوية تبن (عيدان القمح المطحونة بعد الحصاد) تلاقي الحمار نط وفرح وودانه اترفعت لفوق زي العيال أما تروح المولد.

وجدي قاعد على المصطبة يضحك ضحكته الحلوة اللي اللي تشبه شمس الشتا.

وارتسمت ابتسامة متلألئة على وجه الحاجة هدى وهي تتذكر ذكريات طفولتها وكأنها كانت بالأمس وتدور (ملك – المهندسة المعمارية) بطبق البسكويت الذي أحضرته معها لزوم قعدة النسوة على مجموعة النساء ليتناولن قطعة منه مع مشروبهن المفضل وتداخلت في الحوار معلقة:

- أنا مش مستغربة يا حاجة هدى أنا حصل معايا الأغرب من حكايتك.

كان لحماتي (الله يرحمها) كلبة اسمها مهجة كانوا مربينها في البيت وكان حمايا (الله يرحمه) موصي عليها قبل ما يموت إنهم يعاملوه كويس شبه الكلبة لاسي بتاعة الأفلام الأمريكاني وأول ما اتجوزت سكنت في عمارة أهل جوزي قدام شقة حماتي وكأن الكلبة دي كانت ضرتي.

الكلبة مهجة كانت تيجي تخربش على الباب وكان طارق جوزي يفتح لها وتصمم تقعد جنبه على الكنبة، ولما يمدد عليها تدخل حضنه زي العيل الصغير وتفضل ماشية وراه في الشقة.

ثم.. أردفت ملك بخجل شديد وعينيها بتبربرش:

- وكان لما ندخل أوضة النوم ويبقى في جو رومانسي كعرسان جداد نلاقي حماتي بتخبط علينا ومهجة الكلبة بتعوي وعندها هستيرية.

يقوم طارق جوزي جري

ويقولي:

- أبويا (الله يرحمه) موصي على مهجة إن محدش يزعلها أبدًا وياخد مهجة في أي وقت ويسيبني ويخرج بيها يتمشي معاها ويرجع بيها بعد ساعة عشان تهدا وترجع تنام وأنا مفحومة من الغيظ والكمد.

وهكذا ساد صمت مهيب بعد أن أصبحت النسوة المجتمعات في حديقة النادي العريق أذن صاغيه مع حالة التشويق التي انتابت الجمع الأنثوي هاتفين جميعهم في صوت واحد:

"وبعدين يا ملك حصل إيه عملتي إيه؟"

تابعت ملك بنشوه تينور الأوبرا بثقة كاملة:

"أبدًا صبرت لحد ما نزلت أخت جوزي نهلة من أمريكا وأهدتها طقم فضة وكوليه وإسورة بالعقيق وطلبت منها تتحايل على أمها حماتي علشان تاخذ مهجة الكلبة معاها أمريكا بدعوى إخضاعها لكشف وفحوصات لأن الطب البيطرى متقدم هناك وفي عناية واحترام للحيوان والكلاب خصوصًا وإن مهجة محتاجه تاخد تطعيمات لحماية أي أطفال لطارق في المستقبل.

خاصة أن أولاد نهلة بيحبوا مهجة جدًّا وكانوا مرحبين بالفكرة .

وقلت لها:

- يا نهلة مهجة هتخرب بيتي تصدقي إنها بتقعد جنب طارق في العربية وتمد إيدها عشان يمسكها وهو سايق زي اثنين عشاق.

ضحكت نهلة وقالت لي:

- وهي صغيرة كانت بتعمل كده مع بابا الله يرحمه.

تابعت ملك الحدوتة:

قلت لنهلة أخت جوزى:

- يا نهلة أنا ياما اشتكيت منها لطنط وكان ردها يا عبيطة هتعملي عقلك بعقل كلبة عجماء وكنت هشد شعري.

في هذه الأثناء إذا رمى أحدهم إبرة هترن في هذا الركن البعيد الهادئ من النادي.

كان الجمع النسائي مندمجًا مع الحكاية العجيبة لملك التي ارتشفت ما تبقى من كوب النسكافية، وأكملت بحماس المنتصر سردها:

- وفعلاً قدرت نهلة أخت جوزى تاخد مهجة معاها أمريكا، وجبت كمية قلل تعدت ال25 وكسرتها على بابي وعلى باب حماتي وعلى باب العمارة والشارع كله عشان ما شافهاش تاني وكأنها ضرتي واتطلقت وخلصت منها وبدأت بعد 6 شهور من جوازي أستعد لقضاء شهر عسل حقيقي بهدوء مع طارق من غير وجود مهجة.

وأمي كانت داعية لي وما نزلتش نهلة من أمريكا بعد كده إلا بعد أربع سنين لما حماتي دخلت تعمل عملية في القلب.

وسألت نهلة أخت جوزي ساعتها:

- أخبار مهجة إيه؟

- إتجوزت وخلفت 6 جراء صغيرة وكان في واحد بيشتغل مع جوزى في الورشة شبه طارق بقيت بتركب جنبه كل ما ياخد عربية يصلحها وتمد إيدها عشان يمسكها وهو بسوق.

وكان أعزب وساكن لوحده وطلب ياخدها هي وجرائها ووافقنا لأن من الواضح إنها كانت ميالة ليه..

وتوتة توتة فرغت الحدوتة.

وانطلقت ضحكات طفولية لطيفة من هذا الجمع الأنثوي في ذاك الصباح الخريفي المدهش الذي جمعهم.

***

ماما دايمًا موجودة

منى النادي

"ماما، إنتي فين؟ أنا عايزة أفطر"

فتحت عينيها بصعوبه وعادت وأغلقتها ثانية آملة في خمس دقائق أخرى من النوم العزيز.

"يا ماما، مش بتردي ليه؟"

أجبرها صوت ابنتها القلق على أن تستيقظ وتتنبه، ففتحت عينيها وحاولت النهوض من السرير لكن آلام المفاصل التي اشتدت عليها في الأسابيع الماضية أجبرتها على التوقف قليلاً.

"حاضر حبيبتي، أنا جاية"

منذ إصابتها بالرماتويد منذ أكثر من عشر سنوات، والمرض يتآكلها وينخر في مفاصلها. لقد حذرها الطبيب من الوقوف في المطبخ وحمل الأشياء الساخنة والثقيلة. ابتسمت في سخرية؛ إنها الراعية الوحيدة لابنتها المصابة بمتلازمة داون، والتي لا تستطيع أن تعتني بنفسها وقد تجاوزت الثلاثين. إنها بأعوامها السبعين وبمفاصلها الملتهبة تتحدى قواعد الطب وتقوم بما لم تكن تقوم به في أربعينياتها. لقد ماتت أختها الحبيبة منذ خمس سنوات تاركة ابنها المصاب بنفس المتلازمة وهي تقوم بالعناية بالاثنين يوميًّا. تحضر لهم الطعام، تشتري مستلزماتهم

وتأخذهم للسينمات والحدائق والرحلات والأنشطة المختلفة في المراكز المتخصصة.. كم تتمنى بعض الراحة، تنهدت وتذكرت أختها "يا بختك استريحت وسيبتيني أنا في الهم ده".

جاءها صوت ابنتها القلق مرة أخرى.

"ماما، إنت فين، أنا خايفة"

أخدت نفسًا عميقًا، واعتدلت على طرف السرير، متجاهلة آلامها، ووقفت.

" ماتخافيش حبيبتي، ماما دايمًا موجودة"

اهتز صوتها، وابتسمت ابتسامتها الساخرة، وبدأت يومها.

***

العيد فرحة

منى النادي

" أنا عايزة أمشي، النهارده أول يوم العيد وأنا هنا من ٨ الصبح"

رد عليها مدير المحل بأسلوبه الجاف الحاد: "بصي مش حتمشي إلا لما تخلصي آخر زبونة."

تململت في ملل وضيق، أخذت نفسا عميقا، واتجهت إلى الزبونة واغتصبت ابتسامة كئيبة، ورحبت بها وأخذتها متجهة إلى غرفة الباديكير والمانيكير لتقوم بعملها اليومي في قَص وبَرد وإزالة الجلد الميت من أقدام وأيادي لسيدات وبنات من كل شكل ولون. إنها تعمل في هذا الكوافير الشهير اللذي ترتاده سيدات المجتمع الراقي في القاهرة منذ سنوات طويلة، تعلمت كيف تتحدث وتتعامل بالطريقة التي تضمن لها أكبر قدرٍ من البقشيش وتحميها من شدة وقسوة مدير الفرع ومكائد الزميلات. إنها ممتنة للعمل الذي ساعدها أن تربي أولادها الثلاثة بعد أن تخلى عنهم زوجها وأبوهم وطفش من أجل نزواته النسائية والكيف اللي "أكل دماغه"، لكنها متعبة بشدة؛ لأنها سهرت مع أولادها ولم تنَم سوى ساعتين البارحة. لقد نامت وهي تبرد أظافر تلك السيدة واضطرت للاعتذار كثيراً. حتى القهوة لم تعد تساعدها كثيراً. فكرت "حاخلص آخر زبونة وأمشي، خلاص

هانت، شدي حيلك يا بت يا هبة، ده العيد فرحة"، ابتسمت واندفعت تمارس عملها بحماسها وروحها المعتادة.

" هبه، إنتي صحيح ماشية، ده أنا جايالك مخصوص"

لم تصدق أذنيها، وتجمدت للحظة ورفعت رأسها لترى تلك الزبونة السمينة وهي ترمقها بابتسامة فيها رجاء وترفُّع. "معلش يا هبة اتأخرت،كان عندنا دبح وضيوف ولسه مخلصة ومسافرة بكرة الساحل وأنا مابرضاش حد تاني غيرك يعملي."

استمرت هبه في ابتسامتها المتجمدة وهي تفكر في الرد المناسب "والله أنا لازم أمشي"

"يا هبه أوعدك بس حتحطيلي لون."

سكتت هبه وهي تفكر في البقشيش ومصاريف المدارس والدروس اللي حتبدا قريب.

خلاص يا هانم، اتفضلي،بس لون بس.."

"شكرًا حبيبتي، بس معقولة أهون عليكي وتحطيلي لون بس، أنا عارفة إنك مش حتكسفيني"

تجمدت يداها مرة أخرى وهي تشعر بالألم في ظهرها من جلوسها ١٢ ساعة على الكرسي الصغير أمام كرسي الباديكير والمانيكير.

أخذت نفسا عميقا وغمغمت "تؤمري يا افندم، حاخلص المدام وأبدأ مع حضرتك على طول، اختاري لون.".

***

حجاب أحمر

سحر الجميل أحمد

تجلس إلى طاولتها المعتادة في كل يوم الساعة الثامنة صباحًا، تعانق بيديها الرقيقتين الوردة التى على الطاولة وتقتطف منها رائحتها.

تستريح الى الوراء على الكرسي تنظر إلى النيل من خلف النافذة بوجه خالٍ من أي تعابير ما تلبس ويظهر عليها تعبيرات الغوص في بحر لجٍ مليء بالأحداث.

يأتي النادل حامل لقهوتها فكان كصخرة أفسدت سيرها في بحرها، استقبلته بابتسامة هادئة تشكره بإيماءة برأسها.

احتضنت فنجانها بكلتا يديها تداعبه بأنفاسها وتقبّله بشفتيها، أظن أن قهوتها سادة كثيابها الأنيقة الخالية من أي رسومات أو حتى الألوان الصارخة يصحبة حجابها الأحمر الذي تحكم ربطته، كم أود أن أقول لها الأحمر يليق بها يعكس لونه على نظارتها الشفافة التى تعطي لعينيها الخضراوين سحرًا وجمالاً رغم ما بهما من حزنٍ ألحظه يعطي لبشرتها السمراء رونقًا.

تنتهي من فنجان القهوة تنظر إلى ساعتها، هي الآن الثامنة والنصف إلا خمس دقائق يأتي النادل إليها؛ فهي ليست في حاجة لأن تنادي عليه يعلم مواعيد مجيئها وذهابها جيدًا.

تعطيه الحساب بنفس الابتسامة الهادئة تحمل حقيبتها وتذهب، أتبعها بنظراتي فهي لا تراني وأنا أراها، خطواتها تبتعد أكثر فأكثر إلى ان تصل الى مدخل الشركة التى تعمل بها تدخل وتختفى عن ناظري.

***

شـــــوق وحنيـــن

بقلم غادة غنيمي

صرخة أنثوية عالية هزت الأرجاء، لم تعد الرؤية واضحة وبدأت تتلاشى شيئًا فشيئًا. حاول د/ جمال أن يتماسك ولكن كان هناك ضباب كثيف يمنعه من أن يرى الأجواء جيدًا حين سقط أرضًا فاقدًا للوعي.

ماذا حدث!!!

كان د/ جمال بدران "أستاذ الأدب الفرنسي السابق" يجلس هادئًا في حديقة ناديه العريق الكائن بحي مصر الجديدة يقرأ جريدة الأهرام كعادته كل صباح وبجواره مرافقه وسائقه الخاص "عم سيد" الذي لم يفارقه منذ أكثر من ثلاثين عامًا.

كان يجلس هادئًا أمام التراس الخارجي للمبني الاجتماعي وقد اشتعل رأسه بالمشيب وزادته لحيته البيضاء الكثيفة والمهذبة بعناية مهابة ووقارًا، مستمتعًا بالجو الدافئ والشمس الساخنة في هذا اليوم الشتوي المشمس من أيام شهر يناير الباردة وأمامه بعض الشطائر الشهية وكوبٌ من الشاي الساخن.

رنَّ جرس هاتفه المحمول وبدون اهتمام التقطه عم سيد ليرد على الاتصال كعادته فهو يعرف بخبرته من يرحب د/ جمال باستقبال اتصالاته ومَن يعتذر له بحجة عدم قدرة الدكتور على استقبال المكالمات في الوقت الحالي.. استقام عم سيد

في جلسته وهو يستمع إلى صوت محدثه على الطرف الآخر فقد كان مروان ابن د/جمال والذي سافر مع أسرته إلى ألمانيا لاستكمال رسالة الدكتوراه الخاصة به.

"أهلًا أهلًا يا د/ مروان يا ابني..

إزيك وإزي أخبارك"

انتبه د/جمال عند سماع اسم ابنه وانتفض من مجلسه ومد يده سريعًا يخطف الهاتف من يد سيد ويفتح كاميرا الهاتف ليرد على ابنه الوحيد..

"أيوه يا حبيبي

كيف أحوالك

والولاد.. خدوا بالكم عليهم كويس"

كان يتحدث بصوت مرتفع وبانفعال شديد لفت نظر من يجلسون بجواره مما أثار فضول بعضهم فعم الصمت المكان لا يقطعه إلا صوت د/ جمال وانتبه الجميع لمتابعة الحوار خاصة تلك السيدة الشابة التي كانت تجلس بمقابلته والتي تأثرت كثيراً وهي تشاهد رعشة يديه وارتجافة شفتيه وهو يمسك بهاتفه ويقربه من وجهه ليرى نجله ويملأ عينيه من وجهه الحبيب حتى كاد أن يحتضنه بين جفنيه.

لم يدم الاتصال والوصال إلا بضع دقائق قليلة دبت خلالها الحياة في نفس وجسد د/جمال ثم أنهى المكالمة وظلَّ على جلسته محنيًا على هاتفه محملقًا في شاشته وكأن عجلة الزمن قد توقفت عن الدوران وانتزعت منه الحياة دفعة واحدة فلم يدرِ كم من الوقت مضى وهو على جلسته هذه صامتًا ساهمًا.

ثم اعتدل في جلسته وترك الهاتف والتقط جريدته وهو مطأطئ الرأس زائغ العينين تستطيع أن ترى بوضوح دموعه الحبيسة داخل مقلتيه من خلف زجاج

نظارته الطبية السميكة وهذه الدمعة التي استطاعت الفرار من محبسها وفتحت البوابة لانهمار دموعه الساخنة منحدرة تجري هنا وهناك على تجاعيد خديه وتبلل لحيته وتتناثر على ثيابه.

كان عم سيد يتابع د/ جمال بعينيه وهو يرأف لحاله ثم بدأ يثرثر عن الوحدة التي يشعر بها الآباء عند سفر الأبناء فقد كان من النوع الذي يثرثر في الشيء دون أن تطلبه..

عاد الجميع إلى ما كانوا عليه قبل استقبال هذا الاتصال ماعدا تلك السيدة الشابة التي ظلت تتابع د/ جمال بعينيها في شفقة واضحة وقلبها يخفق لمشهد الألم البادي على وجهه.. كانت تشعر بالأسف لأجله وبمشاعر الذنب تجاه المرحومة والدتها عندما تركتها هي أيضًا وحيدة وسافرت مع أسرتها لعدة سنوات ولم تتخيل مدى الألم والوحدة التي كانت تعانيها والدتها حتى رأت قسمات وجه هذا الرجل وقد امتلأت بالألم والأسى.

تذكرت كيف كانت تجري اتصالاتها بأمها مرة كل بضعة أيام وتنهيها في سرعة وعجلة من أمرها معللة انشغالها بأولادها الصغار ومسئوليتها تجاههم.

شعرت بغصة في حلقها وبرغبة عارمة في البكاء.. كيف لم تنتبه لمشاعر أمها؟ أيعقل أن تكون والدتها قد شعرت بنفس الألم والمعاناة التي رأتها ترتسم على وجه هذا الرجل الجالس أمامها؟ كيف لم تلاحظ هي ذلك؟ أيرجع ذلك إلى أنها كانت ترى والدتها سيدة قوية لا تحتاج لأحدٍ فلم تتخيل أبدًا أن تكون هذه السيدة القوية الصارمة الملامح اللينة القلب والطباع تتأثر بمشاعر الضعف الإنساني مثل باقي الناس.. لقد اعتادت أن تكون والدتها هي مصدر أمانها وحائط الصد المنيع ضد كل من تسول له نفسه المساس بها فلم تتصور أن هذه السيدة التي أخذت

على عاتقها مسئولية تربيتها هي وأختها بعد وفاة والدهم يمكن أن تشعر بمشاعر الانكسار والخوف وقلة الحيلة التي رأتها منذ قليل.

قطع تفكيرها صوت ابنها الصغير الذي جاء يطلب نقودًا ليشتري حلوى المرشيميلو التي يحبها. احتضنت صغيرها وأخرجت من حافظة نقودها بضعة جنيهات وأعطتها له وهي تنظر إليه بمرارة وتتساءل هل سيأتي اليوم الذي سيتركها فيه أولادها ويذهب كلٌّ في طريقه وتظل وحيدة لتشعر بنفس مشاعر الوحدة والوحشة التي ربما شعرت بها والدتها.. تمتمت بدعاء من أعماق قلبها لوالدتها بالرحمة وتوسلت إلى الله تعالى بأن يرزقها بر أولادها.

ثم عادت تنظر إلى الدكتور جمال الذي كان ما زال ساهمًا وهو يتذكر ابنه الحبيب وقد مرَّ شريط حياته أمام عينيه منذ أن كان مروان طفلاً صغيراً يلهو أمامه في حديقة الأطفال حتى أصبح شابًا يافعًا. حاول د/جمال أن يخفي وجهه بيديه حين شعر بأن صدره يضيق فلم يستطع استقبال الهواء ورويدًا رويدًا بدأ يفقد قدرته على الاتزان ويميل بشدة من مجلسه فاقدًا للوعي.

أطلقت هذه السيدة صرخة استغاثة وهي تراه يميل ويميل نحو الأرض بمنتهى السرعة والقوة حتى إن عم سيد لم يستوعب ما يحدث فتركه يسقط أمامه دون أن يستطيع حراكًا. هرول الجميع نحوه في محاولة لإسعافه بينما جرى أحد الشباب إلى العيادة الطبية الموجودة بالخلف لاستدعاء الطبيب.. وبعد عدة دقائق نجح الطبيب في إفاقة د/جمال وطلب من عم سيد مرافقته لمنزله كي يحصل على قسطٍ من الراحة وأن يحرص على ألا يتعرض إلى أي ضغوط نفسية في الفترة المقبلة حرصًا على حياته.

كانت هذه السيدة تبكي وهي لا تعرف هل تبكي على حالها أم تبكي على حال هذا الرجل المسكين ثم التقطت هاتف د. جمال في جرأة لم تعتدها من قبل

وأجرت اتصالًا على آخر رقم في القائمة وهي ترتعش حين سمعت صوت الابن على الطرف الثاني مندهشًا من هذا الاتصال غير المتوقع من والده فاستجمعت شجاعتها التي كادت أن تخونها وقالت: "لا تترك أباك وحيدًا مهما يحدث فلن تتحمل مشاعر الندم حين لا ينفع الندم"..

***

موعد على رقصة فالس

نجلاء فؤاد

كنا صغارًا لا نعرف عن الفالس سوى مشهد فاتن حمامة وعمر الشريف في فيلم نهر الحب وهي تدور وتدور أمامه كفراشة حقيقية وجناحاها يداه.. وبينما تمر أحداث الفيلم التي لم نكن ندركها ..

كنت وشادي نجيد التقليد وأغرَمتْنا تلك المقطوعة.. ووسط ضحكات أمي وأمه وعلى طُهر طفولتنا كنا نرقص الفالس ونلعب ونتمازح ونتشارك الدمى.. كمثل كل أولاد الخالة في تجمعاتهم العائلية الدافئة.. تلك التي تقع أحداثها خلال ساعات يوم الجمعة الطيب.

ظل حب شادي بقلبي يكبر على سلم أعمارنا المتصاعد.. فكما الطاقة في الفيزياء كان حبي له لا يفنى، لكنه تحول من حبهِ كرفيق اللعب إلى حبه على أمل أن يصبح رفيق الحياة..

مرت السنين وهو يغدو "عمر شريف" قلبي، وأنا أخشى من فاتن حمامة التي قد تظهر فجأة في حياة كِلَينا لتراقصه عِوَضًا عني على أنغام الفالس..

درس شادي التصوير ودرست الصحافة لكننا مؤخرًا عملنا سويًا في نفس الجريدة..

كنت دائمًا أتساءل.. ألن يرتب لي القدر موعدًا معه على رقصة فالس؟؟

علـّها تضع ذاكرته على جهاز الإنعاش الفالسي فيستفيق من غيبوبة طويلة حجَبتهُ عني.. أو تدق قلبه بصدمة حياة فيعود على قيد حبي له ..

كنت أتمنى.. وأدعو.. واليوم استجاب القدر دعائي.. ودُعينا لحضور حفل تكريم الإعلاميين الذي تقيمه الجريدة ..

هل من الممكن أن يطلبني شادي للرقص وعلى خطوات أقدامنا تخطو مشاعره تجاهي ..؟؟

وحينما تلامس يده اليسرى يديَ اليمنى فيتصافح الدم الواحد الذي يسري في عروقنا هل من الممكن أن يُحَدِّث بعضه بعضًا بما أخجلُ عن البوح به.. فينشأ وقتها ذلك الرابط الأبدي بين قلبي وقلبه كعجيبة جديدة لموسيقى الفالس؟؟

وصلتُ إلى (روف) أحد أعرق فنادق القاهرة.. وكزهرة مقطوفة تبحث عن قطرة ماء لتحيا نظرت في وجوه الحاضرين أبحث عن شادي.. حتى رأيته..

وبينما كنت أقف أمامه على طرَفَيْ خيط الذكرى.. وبيننا منصة الرقص.. بدأ العازفون ينتقلون لمقطوعتي المنتظرة..

لو تعشمت أن يطلبني للرقص لن يفعل.. أنا أعرفُهُ جيدًا ذلك البليد في القرب.. المتفوق في الهرب..

أخذ زمن الرقصة في التناقص على ساعة لهفتي.. والفرقة تعزف على دقات صبري..

سأطلبه أنا.. لا بأس فهو في النهاية ابن خالتي وكل الزملاء يعرفون قرابتنا..

سأقول: "شادي إيه رأيك نرقص فالس زي وإحنا صغيرين؟"

أو.. أكون أكثر صدقًا "شادي أنا عايزة أرقص الرقصة دي."

بل.. سأقولها بمزاح "شادي هترقص معايا النهارده؟ ولا مفيش منك فايدة؟"

أو.. أكون أبسط "شادي تعالى نرقص."

لا أنا لن أقول شيئًا من ذلك..

أنا لن أطلب.. ستفقد رقصتي مذاقها إن أنا طلبت..

كيف يكون طعم قُــبلة مسروقة من رجل بسيف حيائه من زوجة تطلبها؟؟

ما معنى ضمة إلى صدر حبيب تنالها امرأة بعد رحلة بكاء وترجٍّ.. كمسكينة من مساكين العشق تطلب الصدقة على باب رضاه أيفتحه أم يغلقه؟؟

ما لذة نظرة.. أو لمسة.. أو كلمة حب.. يقدمها رجل لامرأة تحبه بعد وقوفها لساعات تتسول أمام قلبه كعابرة سبيل تتسكع بضاحية أحد الأغنياء عنها؟؟

وقبل أن ينتهي الزمن المؤقت لهدية القدر لي بانتهاء الرقصة؛ فكرت أن أرسل له رسالة عبر بريد الذهن.. مثلما يفعل مُدربو التنمية البشرية في تقنية التخاطر

سأنظر في عينيه وليس بيننا سوى بضعة أمتار وسأرسل له دعوة صريحة بالحب والرقص على أنغام الفالس..

سأقول ما في قلبي بدون كلمات.. إنه حديث المشاعر فقط.. من النفس للنفس.

- تعالَ أضعك اليوم بقلبي.

تعال أشُمُك.. تعال أضمك.

تعال نحارب حكم المنطق

تعال نحقق حلم الليالي

نكون سويًا.. ونحيا الحياة.

وهاك يدِي.. تعال وخذها..

ندور ونرقص.. على لحن الحياة..

تعال لننسى سنين الفراق..

نعيش العمر بغير افتراق..

نشيخ سويًا.. . بوجه الحياة .

تعال أضعك اليوم بقلبي

وأنت تضعني بداخل جوفك

تعال أشمُك.. تعال أضمُك

تعال لنرقص.. إني أحبُك .

إني أحبك.. رددتها كثيراً حتى كادت أن تفيض بها شفتاي في غفلةٍ مني.. وماذا بعد؟؟.. لا شيء.. غضَّ بصره عني لتوِّه ولم يستقبل رسالتي..

لم يعد لي مكانٌ في هذه السهرة.. سأُوَدِّعُ رؤسائي وأرحل في هدوء.. وغالبًا لن يلاحظ غيابي أحد.. ربما كوبي الذي تحاكيه أناملي بتوتر منذ لحظة وصولي.. سيلاحظ ،

وربما بقعة الأرض التي لازمتُها كتمثال منحوت في مكانه و تعلق بصره برجلٍ في نهاية الطريق.. فإذا رحل التمثال كسيراً مُهشمًا بفعل عوامل الزمن والانتظار ربما ستفتقده الأرض التي يقف عليها.. ولكن يستحيل أن ينتبه الرجل أن تمثالًا كان يقف هناك مُعلِقًا نظرَهُ به.

كمثل ذلك التمثال سأرحل.

بعد حوالي نصف ساعة من التحيات وتوديع الحضور هممت بالرحيل خروجًا من باب (الروف).. فوقع على أذني زلزال بقوة ثمانية ريختر في سؤال!!

- إنتي رايحة فين؟

- مِرَوَّحة؟؟

- لسه بدري.

- ولا بدري ولا حاجة.. يادوب أوصل قبل ما ماما تقلق علية وتبدأ..

لكنَّ صوت الفالس الذي بدا كأنه يُعزف على شرايين قلبي المتهتكة قاطعني.. بدأت الفرقة بعزف المقطوعة مرة أخرى.. وانتبه هو لما انتبهت أنا له ؛

مد يده وقال بابتسامته مع تقليد لأسلوب سينمائي معروف..

- آنسة دينا تسمحيلي بالرقصة دي؟؟

لم يكن سهلًا أبدًا أن أقاوم، دخلت معه على منصة الرقص، سحب يدِيَ اليمنى بيده اليسرى ووضعها على قلبه، ولف يده اليمنى حول خصري وبدأ بالرقص..

كان ماهرًا بحق..

وبين كل حركتين لأقدامنا كنا نتوقف ثلاث (عدَّات) كما تحكم علينا قوانين الفالس، ومع تلك (العدَّات) كان يطيل النظر لي.. فأخفض رأسي كيتيمة على قائمة الخجل.. بعد قليل تناسيت الناس واستسلمت للرقص.. . فرقصت بين يديه كفراشة بصدق .

وكما تدب الحياة في بذرة نبات جمادية دُفنَت وسط طين الحزن لمجرد ارتوائها بحفنة ماء.. روتني هذه الرقصة

أيا دقات قلبي المتسارعة أبفعل الرقص تسارعتِ؟؟

أم بفعل المفاجأة التي لم أحسب لها حسابًا؟؟

ومع انتهاء الرقص وتصفيق الحضور.. اقتربت منه ووقفت على أطراف أناملي لأطال أذنه (كان طويلًا كعمر الشريف) وقلت:

- شكرًا جدًّا يا مروان إنتَ أسعدتني بالرقصة دي .

أجابني بخفة ظله المعتادة:

- العفو على إيه تعالي كل يوم..

واستطرد قائلًا:

- بس إنتي بترقصي فالس حلو.. إتعلمتي فين؟؟

- أنا هاوية.. وشكلي لسة محتاجة علام كثير .

بنبرة تأمل لأحداث الليلة قُلت عبارتي تلك، وابتسمتُ له وودعته وأوصلني لباب الفندق في الطابق الأرضي واطمأن لركوبي سيارة رحيلي الآمن من قلعة مفارقات اليوم..

في السيارة حدَّثتُ نفسي طويلًا..

لم يكن الرقص مع مروان زميل العمل المجتهد.. وصاحب المواقف الودودة جدًّا مع الجميع.. أمرًا مرتبًا له.. ولا حتى خطر ببالي..

لكنَّ شيئًا قرَعَ قلبي على أثر نظراته الدافئة.. ونبرة صوته الحنونة.. وكلماته الودودة..

هل تصرفه معي كان نابعًا من علمه بما دار داخلي تجاه شادي هذه الليلة فكان إنقاذًا لي من نوبة حزن سرمدية ستنتابني بفعل حادثة خذلان مروعة؟؟

أم أن القدر أرسله لي على قوْلَةِ أمي التي عادة تقولها لي

(يا ابنتي..

نحن نعيش أعمارًا نتمنى شيئًا ما.. لكن في لحظة قد يرسل لنا الرب شيئًا آخر.. يفوق كل ما نتمنى)

نزَلتُ أمام بيتي ووجهي تعلوه ابتسامة صادقة بفضله..

كنت قد تمنيتُ أن لا أدخل على أمي بدونها .

***

المرض العُضال

د / حسن زايد

علمني هذا الرجل درسا لن أنساه.. كلماته لي تحتاج إلى سنوات من البحث والتفكير..

هذا الرجل رأيته مرة واحدة في حياتي أثناء عملي كطبيب ولم أره بعدها أبدًا.. لقد جاء ليعلمني ويرشدني...

في الإجابة لسؤال كنت دائمًا أسأله لنفسي..

لماذا يظل الإنسان مريضًا ولا ينفع معه أي علاج؟

برغم أننا ظللنا لسنوات نتعلم عن ما يداوي

الاعضاء.. وقد أخبرونا كثيرا عن روعة وكفاءة هذه الأدوية

وحينما بدأنا في استخدام ما تعلمناه..

وجدنا أن الأدوية مسكنات للألم.. ويظل المريض يحجز عند نفس الطبيب حتى يلفظ

أنفاسه الأخيرة..

لا بُد من أن هناك شيئًا ما خطأ.. هناك سر لم يكتشفه أحد أبدًا.. كيف يستطيع الإنسان الوصول لمرحلة الشفاء؟

جربت طرق أخرى للعلاج ولكن هناك دائمًا شيء مفقود كلما اقتربت خطوة يتراجع المريض خطوات للخلف بدون أي أسباب.. يأتي المرضي كل يوم بحثًا عن العلاج ولكن القليل من ينفع معه الدواء.. لقد جاء هذا الرجل ويبدو عليه كبر السن قليلاً..

كان يلبس جلبابًا بسيطًا.. وطاقيه ذات لون بني.. يبدو بصحة ممتازة تجعلك تقول إنه في سن

الشباب.. صوته مرتفع.. قوي البنية لما عرفت سنه جاءتني صدمة طبيب يحسب الأكل بالجرامات للمرضى ويحرمهم من كل ملذات الحياة أملاً في شفاء مرضاه.. ومع ذلك قلما تجد صحتهم بحالة جيدة..

سألني وهو فخور بنفسه:

"هل تعرف ما هو سني؟

فقلت له في حدود الخمسين سنة..

فضحك وقال عمري ثمانون عامًا.. وأنا بكامل صحتي والحمد لله.. هل تريد أن أثبت لك ذلك؟

ثم نزل على الأرض ومارس تمارين الضغط.. وعد.. واحد.. اثنان.. ثلاثة.. حتى عشر عدات..

وأنا أشاهد الموقف في ذهول تام.. ما هذا الرجل الغريب..!

فقلت له: ما شاء الله..

فقلت في نفسي ما الذي جاء بك إذا؟ وأنت في كامل صحتك..

لم يترك لي وقتًا في التفكير حتى باغتني بهذا السؤال العجيب..

هل تعرف ما هو المرض العضال؟؟

لم أكن أفقت بعد من صدمتي الأولى.. حتى سدد إليَّ السؤال الذي ظننت أنه من السهل الإجابة عليه..

فقلت في نفسي إنه السرطان.. إنه ليس له علاج حتى الآن.. ولكني لم أستطع أن أفتح فمي أمام هذا الرجل..

ترددت أن أعطيه إجابة وفضلت أن أظل صامتًا..

ماذا لو أعطيته اجابه ولم تكن صحيحة.. سيكون منظري سخيفًا.. أنا صاحب الشهادات المعلقة على الجدران التي تشهد بكفاءتي ويأتيني الجميع ليأخذون نصائح لعلاج أمراضهم المستعصية.. أمام رجل لم يمسه المرض أبدًا و يحمل سر صحته بداخل قلبه..

ثم قطع عني شرود ذهني وأنقذني من الورطه التي ألمت بي.. وقال لي:

"المرض العضال يا طبيب هو مرض القلب.."

فقلت له: ولكن أمراض القلب كلها معروفة ولها علاجات عندنا..فهي ليست مستعصية..

فضحك بصوت عالٍ حتى تمنيت أن يصمت أو أن تبتلعني الأرض وأنا جالس واحمر وجهي..

وفهمت من ضحكاته أن إجابتي حتمًا خطأ كارثي..

فقال لي: لست أتكلم عن مرض القلب العضوي، ولكني أتكلم عن مرض القلب الروحي..

ألم تسمع قول رسول الله.. ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب..

إذا كان القلب مريضًا فلا أمل في الشفاء..

كل الأدوية التي تصفها لن تفيد بشيء..

إذا امتلأ القلب بالكراهية والبغض.. فإن القلب يتسمم وتبدأ جميع الأعضاء في التسمم والفساد بعد القلب.. لا أمل في شفاء مريض القلب المتلون باللون الأسود..

لا أمل في الذي يحمل قلبه حسدًا وكرهًا وحقدًا للآخرين..

لا أمل في شفاء القلب الذي فقدَ بصره وبصيرته..

ساعيا في الشفاء ببعض الحبوب المسكنة التي تسكن الألم

بعض الوقت في الأعضاء ولكنها أبدًا لن تصل إلى قلب يحمل اللون الأسود.. ولهذا من بدأ مرضه فإنه لا يبرأ أبدًا.. لأن علاجه لم يصل لقلبه أبدًا..

ألم تسمع وتعي قول الله تعالى: "فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور"..

إذا كانت قلوبنا التي تبصر وهي التي تسمع وهي التي تدق وهي التي تحب وهي التي تحزن وهي التي تفرح.. وهي التي تشعر بالسعادة وهي مكمن نور الله والقرآن؛ فأي مرض دون مرض القلب هو ليس بمرض.

مَن يحمل الكراهية في قلبه لغيره فإنه يحمل نارًا تحرقه وتحرق جسده بسموم لا تنتهي ولا تؤثر معها أدوية..

ثم يأتي إليك مريضٌ يشتكي معدته التي لا تهضم الغذاء وبصره الذي ضعف وقدمه التي تصرخ ليلاً ونهارًا من الألم.. فتضع أنت سماعتك ولا تجد شيئًا في معدته وبطنه.. ويذهب لطبيب العيون

ولا يجد شيئًا في بصره..

ويذهب لطبيب الأعصاب ولا يجد مبررًا لألم قدمه.. وكل الأطباء يعطيه كل واحد منهم مسكناتٍ وأدوية لا تجدي نفعًا ولا تصلب طولاً ولا تعيد بصرًا.. لأن مرضه في داخل قلبه لا يستطيع أحدٌ أن يراه إلا الله وهو يكتمه ولا يخبر به أحدًا، في حين تصرخ أعضاؤه هذا رجل أحمق هذا رجل كاذب هذا رجل قلبه أسود هو الذي بث السم فينا.. هو الذي يؤذينا.. هو مصدر شكواه.. ارحمونا منه ومن حقده.. حتى جسده يشتكي منه بالألم في كل مكان..

ثم ذهب الرجل وقد حفر كلمات نزلت على قلبي..

"لا أمل في شفاء مريض القلب المتلون باللون الأسود.. لأن العلاج لا يصل لقلبه أبدًا."

وعرفت لماذا يشتكي الناس ويتألمون؟

إن قلوبهم مليئة باللون الأسود؟

وسلامٌ على الأطباء الذين لم يتعلموا كيف يعالجون مرضاهم..

لأن مرضهم يظل مدفونًا بداخل قلوبهم حتى يصل بهم إلى قبورهم..

علاجهم في قلوبهم بأن يجعلوها شفافة بيضاء..

علاجهم في قلوبهم بأن يملأوها بنور الله..

***

الدموع الباسمة

فريد مناع

داعبت نسمات الهواء البارد وجهه، وهو جالس على ضفاف ذلك النبع الصافي، مع عدد من الأصدقاء في احدى ورش العمل التي تضمنها ذلك البرنامج التدريبي في فن الرواية.

لقد كان يتساءل منذ البارحة متعجبا حينما أعلنت المدربة عن هذه الورشة ضمن فقرات اليوم، ماذا يا ترى سنفعل على ضفاف هذا النبع؟ ولماذا أصرت المدربة على اختيار أصعب توقيت بالذات لهذه الفقرة، في عز حر الظهيرة، وازداد عجبه حينما علم أن ورشة العمل ستكون على الأرض، على الرمال الساخنة دون سجادة من تحت، أو مظلة من فوق، لكن تلك الدهشة سرعان ما تضاعفت، حينما جلس مع بقية المتدربين، فإذا بالهواء البارد يرطب وجهه، وإذا بالرمال تبعث في جسده مزيجا عجيبا من الدفء والرطوبة، مما أشعره براحة نفسية لم يعرف لها سببا واضحا.

أخرجت المدربة من حقيبتها عددا من البالونات، وطلبت من كل واحد أن يقوم بنفخها حتى آخرها، وحينما نفخ بالونته لاحظ أنها تحوي بداخلها شيئًا، ورقة مطوية أو ما شابه، وفي تلك اللحظة هبت دفعة قوية من الرياح، فإذا بجل البالونات يطير من أيدي المتدربين.

لا يدري ما الذي دفعه إلى ما فعل، حينما وجد نفسه مندفعا بكل قوته خلف هذه البالونات، يجري ويلهث محاولا اللحاق بها، رغم نداءات المدربة له ألا داعي لهذا، إشفاقا عليه من كيلوات جسده التي تجاوزت المائة والأربعين، والتي اجتمعت مع سنوات عمره الثلاث والأربعين، لتجعل من هذه المحاولة مغامرة غير مأمونة العواقب.

ظل يجري ويجري لعدة دقائق، وكلما التقط بالونة ازداد اندفاع الهواء، فباعد المسافة بينه وبين بقيتها، حتى وصلت البالونات إلى حافة صخرية تسببت في انفجار بالونة واحدة، سارع بالتقاط الورقة المطوية التي سقطت منها، وضعها في جيبه، ثم شرع يلتقط البالونات التي لم تنفجر، حتى جمع خمسة منها، فوضعها في كفيه وتحت إبطيه، وقفل راجعا إلى رفقائه، ملتقطا أنفاسه في الطريق، حتى وصل إلى زملائه، الذين تعالت منهم صيحات الإعجاب والتشجيع: عاش يا بطل.

بدأت المدربة في استئناف الورشة من جديد، وأعادت توزيع البالونات على المتدربين، وحين جاء الدور عليه قال لها: معي رسالة من البالونة التي انفجرت، لكنها أصرت أن تعطيه واحدة إضافية، مكافأة له على ما فعله.

ثم طلبت من كل واحد أن يفجر بالونته، ويقرأ الرسالة التي فيها.

شرع صاحبنا يقرأ الرسالة الأولى، تلك التي خرجت عند الحافة الصخرية، فوجد فيها:

(يبدأ كل حلم كبير بحالم، تذكر دائما أن في داخلك القوة والصبر والعاطفة للوصول إلى النجوم لتغيير العالم).

انفرجت أساريره عن ابتسامة من نوع: هذا أنا بالفعل، فهذا هو ما يظنه في نفسه منذ نعومة أظفاره، لقد كان حلمه الوحيد الذي عاش من أجله هو حلم التغيير، ومن أجله انغمس في العمل العام عبر عشرات المؤسسات، وشارك في

تأسيس حزب سياسي واعد، وأصبح أمينه العام، وعضو مكتبه السياسي، تعلم فنون الكتابة والتأليف، وأتقن فن المحاضرة والخطاب العام، أقبل على علوم النفس والتنمية الذاتية، إيمانا منه بأن التغيير الحقيقي يبدأ من تغيير الإنسان، وقضى معظم سني عمره في مساعدة آلاف الشباب على تنمية أنفسهم، ووصولهم إلى أفضل ما فيها.

وهاهي تلك الرسالة القدرية تأتي لتؤكد له ما يعتقده عن ذاته.

تناول الرسالة الثانية، وشرع يقرأها ولا زالت بسمته الواثقة مرتسمة على شفيته، وهنا كانت المفاجأة: (لو أردت أن تتحول أحلامك إلى حقيقة، فإن أول ما عليك فعله هو أن تستيقظ).

ثار في نفسه تيار هادر من الأفكار، ما معنى هذا؟ كيف يستيقظ؟ كيف يستيقظ و هو منذ الرابعة عشر من عمره لم ينقطع عن العمل العام، ساعيا إلى تحقيق حلمه؟ كيف يستيقظ وهو لم يفعل في حياته سوى مساعدة الآلاف على تغيير أنفسهم؟منفقا في ذلك أغلب سنوات عمره.

قطعت المدربة سيال أفكاره، وهي تسأل: هل يحب أحدكم أن يقرأ لنا رسالته، وما الذي أثارته فيه من أفكار؟

جعل كل واحد من المتدربين يقرأ رسالته، ويعبر عن خواطره تجاهها، حتى جاء الدور عليه، قال أول هراء خطر في باله على غرار: لابد أن يراجع الإنسان نفسه، ووجوب العمل من أجل تحقيق الأحلام، كان يتكلم بصورة آلية، ووجه جامد تدرب بحكم عمله السياسي أن يبديه ليخفي ما يثور في نفسه من انفعالات.

أنهت المدربة ورشة العمل، وانصرف الجميع راجعين إلى مقر الإقامة، لكنه لم يستطع أن يتبعهم، جعل يتمشى في مياه النبع، وهو يعيد قراءة الرسالتين في ذهنه مرات ومرات، لقد تعلم من أحد أساتذة الصوفية ما يسمى بالفهم عن

الله، وكيف أن الله سبحانه وتعالى برحمته يسوق لعبده ما يدله عليه، وليس على الإنسان إلا أن يلتقط تلك الرسائل، ويطلق فيها عين التأمل لتدله على الطريق.

وفي مقلتيه تكونت دمعتان كبيرتان، إنه يدرك تلك اللحظات الفارقة في حياته، حين يتعمق الإدراك، ويرق القلب، وتسمو الروح، لقد انكشف الغطاء، واستوعب الدرس الجديد في رحلته لاكتشاف مراد الله منه، لقد أيقن أن آفة المصلحين هو النظر دائما للواقع، دونما تعمق في ذوات أنفسهم، وأن جوهر الإصلاح الحقيقي للحياة، إنما يبدأ برحلة استكشاف الذات، وهي رحلة لا تنتهي، فكلما قطع المرء فيها مرحلة لاحت له أخرى، وكلما بلغ منزلة وجد أثرها في إصلاح غيره، ومن ثم فاليقظة لا تحدث مرة واحدة، وإنما هي يقظات متتابعة، تنقله كل منها مرحلة في سيره.

سمع من ورائه المدربة تقول لزملائه: دعوه، فإنه الآن في لحظة تأمل.

وهنا تحولت الدمعتان إلى فيض من الدموع الصامتة، وتحدرت من على وجنتيه لتتلاقي مع مياه النبع الصافي، نظر إليها ليرى فيها وجهه فإذا به يبتسم.

***

خالتي "رئيسة" والنقالة

محسن صالح

الساعة السابعة مساء، شارع "لمعي وردان" ممتد على مسافة طويلة يربط بين شارع عثمان الدالي المتفرع من شارع الطالبية الرئيسي ويصل حتى بركة السهل في قلب الطالبية. شارع "لمعي وردان" ممتد طويل تتراص المنازل على جانبيه في تعرجه الذي يأخذ شكل الزاوية القائمة في أحد الانحناءات الأمر الذي يميز هذا الشارع عن باقي الشوارع المجاورة، سمعتهم يقولون "الشارع العوج" التصقت هذه الكلمة بعقلي حتى الآن، لكم جريت بالعجلة الصغيرة وأنا صبي فيه ولكم شاهدت دماء تسيل على حيطان منازله في معارك شاهدت فيها هرولات الرجال والشباب ساعة عراكهم. لَكَمْ ضربني أبي ساعتها لنجري معا نحتمي بمنزلنا في "حارة المرزوقي". منزل خالتي "أم مجدي" واسمها الحقيقي "رئيسة" على مسافة منزلين من منزلنا، منزل صغير بأدواره الثلاثة ولون جدرانه الرمادي والأصفر. كنا نخشى خالتي "رئيسه" في ذهابنا وعودتنا إلى منزلنا، كانت نساء حارتنا والمنازل المجاورة لا يقتربن منها، لأنها إذا تعاركت مع إحدى النساء، فالشارع كله مسرح العراك حتى نصل إلى مرحلة الطبلة والتي لم أدر وأنا صبي أنها تستخدم في العراك والشجار ورص الشتائم كما تستخدم في الأفراح والليالي الملاح. كان خالي "ضيف" يرص حجر المعسل المعتبر. الساعة السابعة مساء وحشود رجال الحارة ونسائها

يجتمعون حول منزلها والنقالة تحملها والرجال يسارعون في ضبط توازنها، بناتها يبكين ويصرخن من الجزع والخوف عليها ولكنها في حالة لا نعلمها، إنه داء الكبد الذي حينما يأتي يفتك ويدمر ويجذب الجسد إلى بوابة الموت بلا رحمة أو هوادة. عيون كل النساء والرجال مسمرة على الشيخ "علي وردان" والذي سبت خالتي "رئيسه" زوجته أمامه ليس مرة بل مرات عدة، فنظر إلى السماء ونحن كلنا وقوف نشهد ما يحدث وقال جملته التي سمعها الكل:

- إلهي تتشالي على نقالة يا بعيدة.

كانت كلمة عرضية منه أملاها الغضب، ندم عليها كثيراً وذبح عجلاً تكفيراً لها، ولكنها خرجت محملة بكل ألوان الإحساس بالألم بعد سماعه لسب زوجته أمامه لتلقى قبولاً في السماء ونعاين هذا المشهد الذي بكى فيه الشيخ "علي وردان" وكأنه يعتذر لنا وللجميع عن دعوته التي أصابتها. مرت السنوات بعد دعوته التي دعاها عليها ونحن نرى "رئيسة" تصول وتجول في جبروتها وسطوتها ولا يردعها أحد، حتى اختفت ذات يوم ومرت عدة أسابيع لنجدها تعود وهي تتوكأ على عصاة وقد انحنى رأسها.

لا يزال الرجال يعالجون من توازن النقالة التي تخرج الآن من باب المنزل الصغير المطل على شارع "لمعي وردان" عربة الإسعاف تمخر عباب الحشود بالسارينة المميزة لها والتي تصم الآذان وتدخل النقالة إلى عربة الإسعاف بعد أن أجهدت رجال حارتنا ورجال الشارع، حيث عرقهم يبلل ملابسهم كلها. الشيخ "علي وردان" يبكي المشهد برمته وكأننا به يحس أنه السبب فيما جرى لها، ولكنها تصاريف القدر حينما يأتي وترتيبات رب السماوات والأرض للظالم والمفتري مما اعتادت أمي على ترديده على مسامعنا ونحن صبية وصغار.

ملابس أبي التي ابتلت من العرق حيث كان يساعد في حمل النقالة مع الرجال

وأمي في طرحتها التي علاها الغبار وأنا وإخوتي نعود لمنزلنا وصمت غريب يخيم علينا لمرأى خالتي "رئيسه" وهي على النقالة يترجرج جسدها وهم يضعونها في عربية الإسعاف وصوت السارينة لا يزال في أذني وأنا أضع رأسي الصغير على السرير، فأرتجف ليضمني أبي لصدره وهو يتمتم بآيات من الذِّكر الحكيم ليذهب الروع بعيدًا عني.

حديث داخلي

محسن صالح

لوني يعرفه الجميع. الكبير والصغير. الكل لمسني وتأملني بل وأثنى على معدني الحلو وأصالتي. متانتي في تحمل نكبات الحياة والسقوط مرات عديدة جعلتني محط حسد العديدين ممن يجلسون معي أقصد يسكنون معي في الشقة وممن أراهم لمامًا. أعرفهم من أنفاسهم التي تلقى صفحة وجهي وألقاها باسمة في كل الأحوال. يجدون شهيتهم أمامي وإن كانوا لا يتكلمون معي بل يتحدثون بالإشارة. ثقل وزني كان دائمًا محط حديثهم وكانوا يخافون عليَّ السقوط رغم كثرة سقوطي بين أيديهم. حجمي متوسط وإن كانت صلابة عودي تعود إلى سنوات العز وسنوات الزمان الجميل. شكلي لا يزال كما هو بلا تغيير أو تبديل اللهم إلا بعد الآثار التي خلفها الزمن عليَّ، ومَن منَّا لا يؤثر فيه الزمن.

أرقد بين من هم مثلي ساكنون لا نتحرك إلا إذا لمستنا الأيادي وحركتنا وطبطبت علينا ومسحت على وجوهنا. مكاني المناسبات الخاصة المختلفة. انتقلت إلى هذا المكان كجزءٍ من الميراث التي تتناقله الفتيات عن الأمهات، يقال إن صاحبتي أحضرتني مع اثنين آخرين من مكانٍ ما في وسط القاهرة في منتصف الخمسينيات، دفعت فينا مبلغًا طائلاً بعدها فرقنا الزمن. يضعون في ما لذَّ وطاب

من الطعام. مساحتي ومعدني الفضي هو عنواني. تمسكني صاحبتي وتقول "دا ميراث الحبايب".

أصدقكم القول أفتخر في قرارة نفسي بهذا الإطراء وأحس بالزهو. عندي عادة غريبة وهي إحساسي بالقلق من لمسات أيادي مَن يمسكونني وارتعاشات أيديهم. والد صاحبتي بدأت ارتعاشات يديه تظهر في الخمسينيات من عمره وفي الستينيات زادت ومعها بدأت النهاية التي يعلمها الكل خطفه الموت.

الأولاد يعبثون بي وتبهرهم النقوش البارزة والنادرة على جانبي من الخارج، رسوم يحار فيها من يراها وتجعلني محط فخر صاحبة الدار. ابنها الصغير لم يكمل طعامه ذات يوم وأصابه القيء، قلقت، فلقد وجدت نفسي تتساءل يا ترى ماذا سيحدث، وكانت الطامة وفاة الصغير بعد ذلك بداء السرطان الوبيل.

أنا الآن مهملٌ في مكاني مع إخوتي في النيش الذي علت كل أركانة الأتربة، فصاحبتنا تبكي وحيدها شاردة وتنظر إلينا ولا تفعل شيئًا سوى البكاء. مرة واحدة فقط أخذتني وغسلتني بالماء وبدموعها وهي تمسح صفحة وجهي وتقول في نفسها ولكني أسمعها فتلك عادتي – سامحوني- في التلصص: يا رب رحمتك بي، يارب الصبر.

الشرود في نظراتها وهي تمسكني جعلني أكاد أهتز وكدت أسقط من يديها. وضعتني بالقرب من سريرها ووضعت في بعض شرائط الأدوية، فرحت لمكاني الجديد وإن كان نومي تقطعه حركات يديها المتكررة في أخذ جرعات دوائها.

استيقظت على نداءات زوجها لها لتنهض ولكن لا مجيب، لقد ذهبت صاحبتي لابنها هناك وتركتني في هذه الدنيا. أنا الآن في جوال من الخيش الخشن في يد بائع الروبابكيا تقلبني الأيادي لأبدأ حياة أخرى من عذاب لم أره منذ ما يزيد على نصف قرن، بالله عليكم ساعدوني كي أعود كما كنت.

كلب عم "بهبه"

محسن صالح

إنه الليل، الصمت في الحجرة التي تضمنا جميعًا أنا وأخي وأختي الصغرى وأختي الكبري والتي نعدها رجلاً من شدتها علينا أكثر من أمنا وننادي عليها الرجل الأسود في ضحكنا أنا وأخي وأختي الصغري. تنهرنا أمي بل وحينما نتمادى تضربنا أو تجري وراءنا. أبي أسمر اللون طويل له شارب كث ضخم ويلبس صديري له جيوب عديدة، يحب السجائر اللف، نجلس قبالته نلاحظه بعيوننا وهو يلف السيجارة تلو الأخرى ثم يضعها في المبسم المعد لذلك. حينما يعكر الدخان صفاء الحجرة وبعد السيجارة الثالثة، يعتدل أبي في جلسته وتعلو وجهه الابتسامة العريضة وينادي علينا فنقفز في حجره كالكتاكيت التي تمرح داخل الصندوق الكائن تحت السرير، فتربية الكتاكيت هواية أمي حتى تصير فراخًا ولَكَمْ ساعدت أبي في عسره ببيع الفراخ لتدبير مصاريف المنزل ومتطلباته. نظل في حجر أبي وهو يقبلنا ويحكي لنا الحكايات حتى يأتي طعام الغداء الشهي ونحن نتمطى كالقطط التي تهبط علينا من السطوح ونداعبها وتتمسح فينا حتى نجود عليها بالطعام.

حينما يأتي الليل، نسمع صراخ الكلاب وعويلها ونسمع دقات الأقدام في وسط الحارة وتحت شباكنا وكم من المرات وقف شعر جسدي وأنا أسمع دقات على شباكنا الخشبي المحمي من الخارج بأسياخ الحديد. الكلاب تعوي والظلمة حالكة

إلا من ضوء لمبة الجاز التي تملأ حلوقنا بالجاز كل صباح. كلب "بهبه" كما تناديه أختي الصغرى وتعني كلب "وهبة" يعوي عواء ممطوطًا، فننكمش وكأننا في الشارع أمام ذلك الجبار الذي لم نرَه في حياتنا إنه العفريت الذي جرى خلف أمي في الشوارع وحرق طاقية أبي في وسط البلد وجرى وهو يضحك وله صوت، كما أنه صرخ في خالي في الجامع القديم في المساء حينما كان في الغرفة التي فيها خشبات نقل الموتي. كل هذه اللقطات الحية والمرعبة تتكدس في شيءٍ واحد أسود وثقيل وعريض وطويل وضخم يجري عليَّ فأصرخ وأنا أنتفض فيسرع أبي إليَّ يطمئنني وهو يقرأ على رأسي السور القصار لأهدأ وأعود بعد فترة إلى نومي ثانية ولكنه كلب "بهبه" الذي تسميه أختي الصغري يعود ليجعلني أرتج خوفًا.

نغلق باب الحجرة علينا حين ننام ونسمع أحيانًا في عمق الليل دقات على باب المنزل الخشبي، يصرخ أبي " مين" ولا يسمع ردًّا. سمعت هذه الأحداث أكثر من مرة وفي إحدى المرات رأيت أبي يحضر شيئًا في يده وأمي تستحلفه أن يعيده ثانية وعرفت بعد فترة أنه مسدس وأن أبي اشتراه من أقارب أمي في الصعيد للحماية. لم أرَ أبي يستخدمه إلا مرة واحدة حينما هجم حرامي لسرقة المنزل المجاور لنا. كانت طلقات المسدس عالية جدًّا، ولى على أثرها الحرامي وهرب. ظلت صاحبة الدار تحفظ لأبي هذا الجميل. مات كلب عم "بهبه" عدة مرات أمام عيني، يسحبونه على الأرض وهو يتماوت ثم يعود هزيلاً آخر النهار ويمارس حياته مرة أخرى، ونحن نستغرب هذا ونقول بأن له سبعة أرواح.

مات كلب "بهبه" ومات صاحبه وانقضى زمان كان يزلزل فيه عواء الكلاب قلوب أشجع الشجعان، وترن فيه دقات أقدام وأصوات اللصوص والغرباء أرض الحارة فننكمش في جلودنا عشرات المرات نخشى فيها الكلام بصوتٍ عالٍ بل نهمس لبعضنا البعض ونحن صغار. الحارة تنام من الساعة العاشرة مساء. أتذكر هذا

وصوت إحدى القنوات الفضائية في منزل عم "متولي" أمامي عال وزوجة ابنه العايقة تمارس عادتها المسائية في غسيل الملابس ونشرها رغم تحذير زوجها لها، وأنا أضرب كفا بكف وأقول سبحان مغيِّر الأحوال في حارتنا بين الأمس واليوم.

سقوط مروان

محسن صالح

المكان منتصف النهار. شمس الظهيرة لا تزال تفكر في الابتعاد قليلاً لإفساح المكان لهبوب ظلال العصاري وطراوتها على الحارة. الأطفال بدأوا في الإعداد لألعاب هذا الوقت من اليوم، فأنت تراهم أعدُّوا لكل وقتٍ من اليوم عدته. صراخهم العالي يملأ المكان ويلف في دوامات عالية كانديباح الماء في الأنهار. أصواتهم تدق أذني في الدور الثالث. فقط أعرفهم من أصواتهم، فهذا الشقي "عدنان" وهذا الولد "عارف"، وتلك "شيماء" وهذه "سلطانة" صاحبة الصوت الحاد، وهذا الولد الذي لا أطيقه إنه "مروان" لا يمر يوم أو يومان إلا وتحدث من تحت رأسه كارثة. يكرهه كل كبار الحارة. لقد صدمه موتوسيكل مسرع قذفه لإحدى حوائط الشارع العريض المطلة عليه حارتنا، فرح الكل فيه حيث يرونه ناقص تربية وقليل الأدب.

مرت ثلاثة شهور حتى شفي من جراء هذه الحادثة وعاد منكسرًا لفترة، ثم ما لبث أن عاد مرة أخرى سيرته الأولى وكلنا ننصحه ولكنه يتفلت من بين أيدينا وهو يضحك ويصرخ، حتى جاء ذلك اليوم الذي يصنع فيه الطائرات الورقية ويذهب إلى السطح ليطيرها مع "عدنان". مرَّ يوم واثنان وثلاثة والكل ينبهه هو ووالده وأمه بألا يصعد السطوح غير المسورة ولكنه لم يرتدع. أبوه يداوم على شرب الشيشة أكثر من تناوله للطعام. في ذلك اليوم كنا جلوس ورأيناه يجري من أمامنا

فدفع المنضدة الصغيرة وأسقط أكواب الشاي، صمتنا ونحن نطلب له بالهداية وإن كنا ندعوا عليه -سرًّا- بأن تنقصف رقبته.

جاء اليوم الموعود، يوم لم تنم فيه الحارة، ظلت في حالة سكر كأنه يوم القيامة. في تمام الساعة الخامسة عصرًا، سمعنا هبدة عاليه في المنور المتاخم لعمارتنا مع صراخ حاد "مروان وقع، مروان وقع" على الرغم من قربي لمكان الحادث إلا أنني تريثت حتى جرى أكثر من شخص لمكان سقوط الشقي "مروان" لنجده يلفظ أنفاسه الأخيرة والدماء تجري من رأسه على أرضية المنور، مشهد تجمدنا فيه جميعنا ونحن نرى الموت يخطف روح "مروان" ويحلق بها في سماء الحارة طائرًا ومبتعدًا في ساعة العصاري.

صرخات النساء وعويلهن مع صوت أمه والتي طالما حذرتها من مغبة عدم الضرب علي يديه وتربيته وأخذه بالشدة، تملأ سماء الحارة، دفناه في المساء، دفناه بعد أن حضرت الشرطة وامتلأت الحارة عن آخرها، دفناه ونحن نبكي. صمتت الحارة لمدة أسبوعين، وفي الأسبوع الثالث ذات مساء فوجئنا بوالد "مروان" وأمه يتركان الحارة إلى مكان آخر. سكتنا ولم نتكلم، وكلنا يصرخ في أولاده وبناته ويحذرهم من مغبة الشقاوة وعواقبها كما حدث لـ "مروان". لا زلت أتذكر هذه الحادثة وأنا أحضر عزاء والد "مروان" والذي توفي في المستشفى منذ عامين عن ثمانين عامًا إثر عملية جراحية في القلب. أتذكر كل هذا ولسان حالي يقول "الشقاوة لا تأتي بخير بل بكل شر".

ركن الطرب

محسن صالح

"لن يمر أحدٌ من هنا مرة أخرى" كانت هذه العبارة أعلى الكلمات التي التقطتها أذني من العراك الذي يدور في الممر القريب من منزلنا في نهاية الحارة، الأصوات العالية المبحوحة لعم "صلاح" تملأ الممر الضيق الذي يوجد عند نهاية الحارة ويوصل للشارع الخلفي. عم "صلاح" رجل في الستين من العمر عليه آثار العز كما يقولون، أهم ما يميزه شعره الأشعث الذي يعلو رأسه كتاج أبيض جميل، ترجع سته لأمه لأصول تركية وجده لأبيه شغل منصب أحد كبار رجال الجيش في بدايات القرن العشرين وشارك في عدة حروب. تعلم في شبابه ولكنها السنوات الطويلة من البقاء من غير عامل هي التي أتت على جل أمواله وتركته عجوزًا سليط اللسان فيه نزق، يفضل الكثيرون الابتعاد عنه رغم روحه المرحة التي يلمسها من يختلطون به عن قرب ويتوغلون خلف القشرة الخارجية التي يحوط بها نفسه ويتكلمون معه ويتحملون بدايات التواؤم معه وكيف أنها تطول. اقتربت منه في السنوات الأخيرة وسمعت عزفه على الكمان القديم الخاص به فتوقفت وتوقف كل شيء من حولي وتسمرت في مكاني، فهذه هي المرة الأولى التي تأتي من مسكنه الذي يحتوي جزءًا من الممر هذه الأنغامُ الجميلة التي يطرب لها الجميع حينما يسمعها، ولا أدري هل بدء بقائه لفترات طويلة في منزله بالممر هو

الذي جعلنا نلتقط ما كان يخفيه عنا لسنواتٍ، أم أنه تعلَّم هذا العزف حديثًا، أميل للرأي الأول. وجدتُني أجلس عنده وهو في سكرته ونشوته غارقًا في عزف مقطوعات لبعض أغاني أم كلثوم الشهيرة، يعزف هذه حتى ينهيها ويقترب من تلك في دندنة منه قبل استئناف العزف. كل هذا وأنا أتأرجح طربًا لعزفه، وما هي إلا لحظات حتى انطلقت إليه وقبَّلت رأسه عدة مرات، بل صرخت من كثرة التأثر لجمال عزفه. صديقي القريب لي "عمر" شاركني مصادفة حينما رآني في إحدى جلسات الطرب هذه واستمتعنا بالعزف الرائع لعم "صلاح" وأخذ "عمر" يغني بصوته الجميل الأجش فملأ الممر روعة وبهاء، حتى إنهم كانوا يطلقون على هذا المكان "ركن الطرب" من كثرة ما تردَّد فيه من معزوفات الموسيقى وأصوات الغناء وقصائد الشعر وأخيرًا منذ عامين شاركنا رسام البورتريه المبدع "حسام الألفي" فكانت متعة الغناء مع متعة العزف مع متعة وجمال الفن التشكيلي يمتزجون في سيمفونية تتجاوز الحاجز الجغرافي وتنطلق إلى مشارف الشارع الرئيسي والشوارع المجاورة.

جاءت منذ شهرين إحدى قنوات التليفزيون الفضائية مصادفة وجلست المذيعة في المقدمة وبدأت الحفلة أو اللقاء الشهري وكلنا في توق إلى أن يمتد حتى الفجر، ولحظات ووجدت شخصًا يبدو من ملامحه أنه فنان تشكيلي لا أعرفه يدخل إلى المكان ويميل على "عم صلاح" ليهز رأسه ونعرف بعد ذلك أنه مثَّالٌ ينحت بشكل رائع وحيوي وتلقائي تمثالاً لأحد الزوار ممن يمتلئ بهم المكان. تهويمات الموسيقى مع ضربات فرشات المبدع "حسام الألفي" مع جمال نحت الفنان الجديد القادم مستخدمًا الصلصال، يصاحبهم صوت صديقي الرائع والموهوب "عمر" تهز المكان فيرتج، والكاميرا تمسح وتسجل وترصد كل جنبات هذا اللقاء الهام. بعد يومين كنا نتوسد منطقة الممر عند "عم صلاح" نشاهد الحلقة المسجلة ونستمتع بكل جوانبها ونحن نضحك ملء الفم ونحتسي الشاي الذي يعده "عم مصباح" من

المقهى الكائن بعد نهاية الممر في الشارع المواجه لنهاية الحارة. لم تتركنا وسائل الإعلام بمفردنا بل شاركتنا الغالبية من لقاءاتنا الشهرية ووجدنا صورنا تملأ صفحات المجلات وبعضنا يظهر على صفحات الجرائد وكل جدران منازل الحارة تمتلئ عن آخرها بصور من هذا التسجيلات الحية للقاء الشهري لممر "عم صلاح" والذي أطلق عليه "ركن الطرب".

ذكريات

محسن صالح

فقط تعاني من سكرات اللحظات التي تتوالى ذكرياتها عليك. أنت فقط من تنظر من النافذة كل يوم. أعوام عمرك أمامك، ذاكرتك مشوشة قليلاً. تحتاج إلى جرعات عالية من السمك حتى يتمكن اليود من التغلغل في خلايا مخك ومنحك ما تريده من تذكُّر تفاصيل محبوباتك بألوانهن المختلفة وتغنجهن وهن ينظرن إليك ويتحدثن بعيونهن عنك وأنت الفارس المهيب ذو الصولات والجولات. فقط بشاربك المعتبر وأنت تلوي عنقك في كبرياء الفتوة والذكورة وخلفك تاريخك الحافل من المغامرات. النافذة التي تنظر منها لها شبَّاكها الأزرق اللون ولها ستائرها زرقاء اللون كذلك وكأنك تعيش في النجوم وتلتحف بالسحاب وتطير مع الطيور، ولكنك أنت فقط من يديم النظر من هذا الشباك الصغير نسبيًّا وبخاصة في ساعة الصباح الباكر حيث الشمس تمنح أشعتها ودفئها المجاني لمن يريد ومن لا يريد.

أنت بمفردك في هذه الشقة لا تحب الكلاب وتمقت وجودهم. إنهم مصدر خوفك الدائم. تحتاط من وجودهم وتبتعد عن أي مكانٍ يقتربون منه حتى لو كلفك ذلك المشقة تلو الأخرى. مرة هاجمك أحدهم وكاد أن يفتك بك ولكن صاحبك جاء وضربه بعصاة في يده وأنقذك من بين أنيابه. سررت جدًّا من الذي حدث وعاهدت نفسك أن تقسو عليها ولا تخون صديقك أبدًا مهما كانت المغريات

أمامك. مع كبر السن ومرور السنوات صار الألم يعبث بأرجاء جسمك ومفاصلك وظهرك. لا تقدر حتى على النظر في المرآة الآن، فأنت لا تطيق أن ترى مرور السنين عليك وعلى شعرك وشكل عينيك.

تتمسح في أقرب مكان أو حائط لعل الألم الذي في بدنك يخرج ولكنه العمر الذي يؤثر على الكل، بل يؤثر على الجمادات. تستمع بأذنين ترتعشان للموسيقى الصاخبة التي يعزفها رفيقك في المنزل والذي تنتظره حتى يأتي من العمل ويشاركك طعامه تقول في نفسك أنه لايشيخ أبدًا، فهو مغرم بالموسيقى رغم مرور السنوات والعمر وتكتم هذه الأفكار حبيسة في صدرك الصغير. مرة خرجت وتأخرت على صاحبك الذي غضب منك وجذبك من أذنك فصحت وأنت تكاد تضربه ولكنك تراجعت على آخر لحظة، إنها عشرة العمر وعشرة السنين وذكريات الجوع والسهر حتى ساعات متأخرة من الليل وأنت ترقد في هناءة ودعة.

أولادك صاروا كبارًا مثلك، تراهم ويرونك وبنظرون إليك وكأن لسان حياتهم: لمَ أتيت بنا في هذه الدنيا التي يهان فيه الحيوان أضعافَ ما يُهَان الإنسان. تصمت وأنت تتلقى هذه الشكوى وتركن في نفسك تطوي حسرة السنين ومرورها وأنت لا تلتفت إلا إلى ذلك الألم الذي تحسُّه بصدرك وتحمد الله على وجود صاحبك الذي كبرَ ويدمن الموسيقى.

كدت وأنت "بسبس" القوي تهوي من الشباك اليوم وأنت تسعى وراء قطة شابة، ولكنك تماسكت وأخذت تموء وتتشبث بمخالبك حتى دخلت من الشرفة ونبضات قلبك الواهنة كانت عالية الوجيب. حمدت الله على السلامة وقررت في نفسك أنك لن تغامر ثانية بالخروج من النافذة.

صوت فتح الباب هناك، آه لقد حضر السمك. تهتز أساريرك وأنت تحرك ذيلك استعدادًا لطعام عشاء مفتخر من صاحبك الذي كان يترك لك كثيراً من اللحم

المختلط بشوك صغير من الأسماك المشوية. تأكل طعام العشاء وأنت تنوي أن ترقد تحت قدمي صاحبك وذكرى أولادك الذين ملأوا العمارة وما حولها تجعلك تتمطى وأنت تتذكر محبوباتك اللائي أحببنك وصرت بينهن دنجوانا لزمن طويل. تلعق أجزاءك وترقد وتنام وأنت تشم رائحة السمك في كل مكان وتبتهج لهذه الرائحة الحلوة التي تغذي مخك وتقيك الخرف حسبما تسمعه من صاحبك الذي لا يمل من أكل السمك. إنها الحياة وأنت تحيا فيها ومعك صاحبك لا تدري ما الغد وما يخبئه لك القدر الذي يحيط بكما.

خالي عتمان"

محسن صالح

فارعٌ في الطول، يده السمراء الضخمة القوية وذراعاه الكبيرتان هما أول ما يشدك في مظهره. يرفعني وأنا صغير بيد واحدة إلى سقف إحدى الحجرتين اللتين نسكن فيهما بالقرب من بقالة "عم ذكري". يرفعني أنا وأخي "فهيم" ونحن نضحك ونقول له بأن يرفعنا ثانية وهو يفعل ذلك بكل يسر وسهولة حتى تصرخ فينا أمنا أن نكف عن مضايقة خالنا "عتمان". نجري وراءه ونحن صغار نتعرقل في جلبابه البلدي نندس بين طيات ثيابه ونشم رائحة المعسل الذي نحب رائحته ونراه يشرب الجوزة أمامنا، فنظل نحملق ونعجب لسحابة الدخان الأبيض وهو يتشكل فوق الماء في البرطمان الزجاجي.

يلفنا في حال صفاء ذهنه في حرامه الصوفي، أنا وأخي الأكبر، ويظَلُّ يحكي لنا الأماكن التي زارها ونحن في حالة عالية من الفرح والإعجاب به وبضحتكه المكتومة وكلامه الذي تنخفض نبرته حينما يخاطب أمنا. والدي يحبه جدًّا ويستعين به في فض بعض المشكلات الصغيرة لحزمه وشدة بأسه في الوقت نفسه. ذهب مرة إلى العمل مع أبي وتقابل مع صديقين له في أحد المقاهي ليصفوا خلافًا نشبَ بين أبي وبينهما وأبي على حق. فتلفظ أحدهم بكلمة غير مناسبة؛ فما إن سمعها خالي "عتمان" حتى برك بجرمه الكبير الشديد على صدره وأخذ بمجمع ثيابه يذكره بقلة

أدبه وحاول صديقه مساعدته فدفعه خالي بعزم يده ليصطدم بالحائط وتحتشد المقهي كلها تهدئ من الموقف برمته و "عدت على خير" كما يقولون.

بعدها تحدث والدي عن كيف أن كل من في العمل يحسبون له حسابًا ويسألونه عن قريبه ويتقربون من أبي. حينما نريد أي شيء في المنزل لا ننادي إلا خالي "عتمان" فيأتي في الحال ويفعل لنا ما نريد. حينما مرضت أختي الصغرى "أمل" سهر الليل كله حولها مع أبي وكاد يفتك بالمستشفى القريبة منا بل كاد يخنق الممرض حينما طلب منا الانتظار قليلاً صارخًا فيه بأن البت بتموت وحدث له ما أراد وانتهينا من الكشف في نصف الساعة وخرجنا ومعنا العلاج الذي تدافع عدة رجال لإحضاره لخالي خوفًا من بطشه وشدته.

حينما يحضر يأتي معه الخير كله، نجد فاكهة الصيف وفاكهة الشتاء، كما أنني حال حضوره أعدو لبقالة "عم ذكري" لإحضار علبة المعسل لخالي وأنا أقبِّل يده وأردد كلمة خالو حبيبي فينتشي من الكلمة ويضمني لصدره لآخذ جرعتي المحببة من رائحة المعسل التي أعشقها من أجله.

أبناء خالي مثله في الطول والقوة والحجم، خمسه يسدون عين الشمس كما تردد أمي، إذا جاءوا أعدت لهم ما لذَّ وطاب من الطعام وأفرغ لهم أبي الحجرة المجاورة والتي نطلق عليها "حجرة الضيوف" لينعموا بالنوم. حينما يأتون نجد كل شباب الحارة يكمش ويبتعد عن المنزل الذي نعيش فيه ونجد رجال المنزل الذي نقطنه يرددون كلمتي "أهلاً وسهلاً" وهم يبتسمون للضيوف المحملين بما لذ وطاب من الهدايا لأمي وأبي. يوم أن مات خالي "عتمان" بكاه كل من عرفه ومن لم يعرفه وظللنا في حداد لأسابيع عديدة لا ينفتح الراديو إلا على إذاعة القرآن الكريم وبقايا صورته أمام أعيينا لا تتركنا في راحة أوهناء مع ما بقي لنا من أيام في هذه الحياة.

مائة نظرة

أمونيوس سعد

كان غريبًا أن يسأل بيطار مثلي عاملاً طاعنا في السن عن كيفية معرفته بالغنم فبعد أن فتح العنبر ليريني نعجة مريضة ترفض أن ترضع صغيرها - شخصت عيون النعاج إلينا، فهنا كان سؤالي ودهشتي.

فردَّ عليَّ بأن له أكثر من ثلاثة أعوام يرعى الغنم فهو يعرفهم كلهم، وأنني ثلاثة شهور وأكون مثله – في الحقيقة لم أصدقه فكيف لي أن اعرف كل هذا الغنم بحالاتهم المريضة والسليمة والظمأى والعشار والبكر أو المرضعة، فهن يشبهن بعضهن، كالصينيين لا تستطيع التفريق بينهم.

ازدادت دهشتي حينما بسط ذراعه مشيراً بسبابته نحو الغنم وقال "أهو"، فتدلى فكي لأسفل لأنظر حيث يشير بين الأغنام -الخائفين والملاصقين لبعضهم البعض-، وسرعان ما جرى العامل نحوهم فهرب الجميع هنا وهناك يتخبطون خوفًا ورعبًا، وكان يتبع إحداهن حتى قبض على واحدة وصرخ "هذه هي الناكرة يادكتور" وأمسكها.

خطوت خطوات واقتربت منه، وقبل أن أسأل أجابني: "النعجة التي لا ترضع صغارها نسميها "الناكرة" ونقلنا الحمل الصغير لعنبر الأمهات لعل وعسى ترضعه أخرى"، وهنا قفز إلى ذهني ما كنا ندرسه في الجامعة عن فقدان النعاج لغريزة

الأمومة فترفض مولودها، فكلما حاول أن يقترب منها تنطحه برأسها، وإذا عاود الاقتراب تضربه بقسوة وتبعده عن ضرعها.

طلبت منه أن نذهب بسرعة إلى العنبر الآخر نلحق بالصغير لئلا يضيع عليه لبن السرسوب، وفتح العنبر الآخر وكانت به الأمهات تسير خلفها صغارها، كما يتبع الظل صاحبه.

نفس النظرة الشرق أسيوية شاخصة إليّ دون اختلاف، ولكن هذه المرة بدأت أشعر أن لكل منها دلالة ومعنى ومناجاة.

أصابتنى الصدمة حينما وجدت جثة الصغير ملقاة عند مدخل الباب، نزلت على ركبتي وقلت "لم يلحق لبن أمه" واقتربت نعجة من الجسد الميت تشم رائحته، وتصدر عواءً خفيفًا ولم تكن خائفة مثل الباقين الملاصقين لبعضهم بجدار آخر العنبر.

سعدت أن هذه النعجة تشعر بما أشعر به، واستعجبت جدًّا لجرأتها دون عن الباقين، وكان أملاً باقيًا حينما رفع الصغير رأسه وشخص بعينيه إليّ وقال كلمته بصوت رقيق "ماء" ونكس رأسه ومات.

فاجعة أصابتني، وكأن قبضة ملاكم ضربت صدري، واهتز رأسي كشوكة رنانة، ورأيت الغنم أشباحًا.. وبكيت.

جاء العامل من آخر العنبر يحمل على يده حملاً صغيراً واهنًا وقال لي "هذا هو الذي لم ترضعه الناكرة" ووسط دهشتي قلت " أليس هذا الذي مات؟" قال "لا.. هذا آخر وهذه أمه التي تشمه وكانت ترضعه منذ قليل".

انتصبت على قدمي وأنا يصيبني دوار، فأمسكت عضمة أنفي ما بين عيني متحاشيًا الصداع الذي ضرب رأسي، فأنا أمام حمل ميت وأم ثكلى، وحمل واهن والناكرة هناك.

سألته "ما مجموع عدد النعاج في العنبرين" قال "مائة".

ألقيت نظرة داخل العنبر، سرحت بخيالي متأملاً يبدو علي أنني أعدهم..

كيف؟ ومتى؟ ولماذا؟ أسئلة تدور في فلك الصمت يجيب، يبتلع الفضاء كل شيء، والسواد الغالب يتيه العقل ويحيره.. كيف على الراعى أن يشبع كل هؤلاء؟

قطعت الصمت بسكين أخرجته من جعبته وتساءلت "وما العمل؟"

أجاب الرجل "ألست أنت الطبيب؟ أنت تقول"

قصف جبهتي بإجابته، وشعرت برأسي يطير خلفي ككرة جولف أصابها لاعب ماهر بعصاه، احمر وجهي كالدم، وتبللت عرقا كخرقة بالية لا قيمة لها، فلا حجة لي، فعلى السكين بيدي أن يحفظ ماء وجهي، وحقًّا فعل.

نجح الأمر ومرت الإجراءات التالية بسرعة، حينما ذبحت الميت وسلخت جلده، ثم ألبسناه للحمل المرذول، وحتى تعرفت الأم الثكلى عليه، وأرضعته لبنها رويدا وتعفن الجلد فخلعناه عنه، ولكن كانت غريزة الأمومة قد تحركت وحصل التبني بين ليلة وضحاها. وانتهى الأمر.

ولكني لم أنسَ الدرس وأمضيت ثلاث سنوات.. كل يوم يمر أفتح العنبر..

تلقي النعاج المائة عليَّ - نظرة طويلة - كل منها له دلالة ومعنى ومناجاة.

رب صدفة

نسرين سليمان

كانت يداها تهتزان بشدة أثناء وقوفها في طابور طويل أمام شباك حجز تذاكر في إحدى دور العرض الكائنة في مدينة السادس من اكتوبر، كانت "عبير" تلتهم بعينيها جميع المحيطين بها تبحث عن شخصٍ ما بينما توحي قسمات وجهها بفروغ صبر.

كان يسبقها للشباك حوالي 5 او 6 اشخاص، قد سئمت من كثرة عدَها لهم، فأشاحت بوجهها تنظر للابواب الزجاجية الرئيسية لمبنى السينما تبحث عن ذلك المنتظر حينها تسمرت عيناها على شخص كان في طريقه ليقف خلفها في ذات الطابور.

لفت نظرها ذلك الطويل الوسيم هادئْ الملامح تعلو صفحة وجهه ابتسامة رقيقة وكان واثق الخطوات يمشي بتؤدة غير مبالي بالازدحام حوله ولكنه توقف باحثا هو الآخر بعينيه في جموع الناس حوله. هي لا تدري ما الذي أثار اهتمامها فهو وسيم ولكن هناك من هو أوسم منه، كما أنها لا تبالي كثيرا بالشكل الخارجي، تساءلت مع نفسها عن سبب انجذابها المفاجئ لهذا الغريب. ظلَّت "عبير" تتأمله بعينين ثابتتين وهو يقف ينظر فيمن حوله تارة وتارة ينظر لساعة يده، ولم تمضِ دقائق كثيرة قبل أن تتلاقى أعينهم ومن المثير للتعجب أنه هو أيضًا أحس بنفس الانجذاب نحوها وأراح عينيه على تفاصيل وجهها الملائكي.

ومرت الدقائق ولم تفارق الأعين بعضها، والتساؤلات الحائرة تزداد، ترى مَن ينتظر، ترى هل تلك الحسناء زوجة لرجل محظوظ، هل من سبيل أن أعرف ما اسمها، ترى هل أثرت اهتمامه أيضًا فنظراته تصرح بذلك.

وقطعت تلك التساؤلات وصولها إلى شباك التذاكر للحجز وما إن كادت تصل وبدأت بالحديث مع الموظف الودود الجالس أمام شاشة العرض الإلكترونية، حتى بدأ الشخص التالي لها في الطابور بالتعبير عن غضبه العارم عن طريق صراخه لقد فقد أعصابه من طول الانتظار وظلَّ يُردِّد عباراتٍ عصبية عن تكاسُل الموظف وبطئه في أداء عمله وأنه لم يعد يطيق الانتظار، التفتت إليه "عبير" في استياء واضح وأوضحت أنها لن تاخذ الكثير من الوقت في الحجز، رمقها هذا الشخص في ازدراء وعاد ينظر للموظف مهددًا إياه في غضب، هنا تدخل الشاب الوسيم في محاولة منه لتهدئة الموقف وتحدث قليلاً مع الشخص الغاضب ثم نظر إليها مطمئنًا.. والتي كانت قد نسيت الموقف برمته وظلت تحملق في قسائم وجهه الجميلة وساعدها في إنهاء الحجز بسرعة وحتى في اختيار المقاعد، نظرت إليه في امتنان وشكرته، وأجابها الوسيم بدوره بابتسامة هادئة ثم ذهب مبتعدًا إلى حيث كان ينتظر وتحركت "عبير" ووقفت هي تنتظر عند بوابة السينما الزجاجية ولا زالت عيناها تعملان كالرادار تلتقط كل تحركات الفتى الوسيم ولكنها لاحظت أنه يلتف إليها وتحين منه النظرات الدافئة كلما تلقى عيناها عينيه.

وبعد تلك الدقائق التي مرت وكأنها ساعة كاملة قطع "حسن" هذا الاسترسال وأحست "عبير" بلمسة خفيفة على كتفها الأيسر والتقط يدها ليطبع قبلةً رقيقةً عليها معتذرًا لها عن التأخير؛ فتركت له يدها بل واحتضنت هي يده في حنوٍّ ظاهر مؤكدة بذلك على قبولها للاعتذار، وفي هدوء دلفت "عبير" بصحبة خطيبها لصالة العرض، كان اليوم هو عيدُ ميلادها وكان "حسن" قد وعدها بعد الانتهاء من السينما أن يتناولا العشاء سويًّا حيث سينضم لهما أصدقاؤهما.

لقد تمت خطبة "عبير" و "حسن" قبل 6 أشهر تقريبًا عن حب حيث أنهما يعملان في نفس الشركة، ومنذ الأشهر الأولى ربطت بينهما علاقة صداقة واحترام متبادل استمرت لقرابة العام، لم تكن هناك أسرار بينهما فهما كالكتاب المفتوح وتصاعدت حدة الصداقة حتى طرق الحب بابهما كنتيجة متوقَّعَة وتم الاتفاق على كافة التفاصيل وعلَت أصوات الفرح بين العائلة وتمت الخطبة تكليلاً لعشقهما واتفقا على عقد القران بعد حوالي سنة حتى يتسنى للجميع الانتهاء من الترتيبات اللازمة لبناء عش الزوجية.

وبعد مرور حوالي الخمس سنوات على هذا اليوم اتفقت "عبير" مع صديقاتها أن يمضين يومًا ويذهبن للسينما لمشاهدة فيلم جديد، وعند انتهاء الفيلم وأثناء خروجها من القاعة تسمَّرَت في مكانها وتجمدت قسماتُ وجهها، فلقد رأت وجهًا مألوفًا لديها ولكنه زاد في العمر بضعَ سنين، كان هو أيضًا في طريق الخروج من السينما، وما إن رآها حتى تذكَّرَها هو الآخر وعلَت وجهه ابتسامة رقيقة مرحبة، تقدَّم نحوها وهي لا تزال متفاجئة مبتسمة حتى كاد يصل إليها فرفع يده مصافحًا يدها في دفء وهو يسألها "هل تذكرينني؟" خفضت عينيها بسرعة في خجل وأجابت في خفوت "أجل" وتبادلا التحية وتصاعدت ضحكاتهما أثناء تذكرهما لأحداث ذلك اليوم وقد لاحظت أن أصدقاءه يقفون على مقربة منه فاعتذرت منه واستأذنته للذهاب هي الأخرى لصديقاتها المنتظرات عند البوابة واللاتي يأكلنها بنظراتهن الملهوفة، ولكنه فاجأها بدعوتها إلى الغداء، فوجدت نفسها منساقة للموافقة في سلاسة فهي لا تزال تشعر بذات الانجذاب له، اعتذر هو لأصدقائه وذهبت عبير للاعتذار لهم بدورها.

جلسا في أحد المطاعم الشهيرة والقريبة من دار العرض في مقابلة كل واحد منهما الآخر ودار بينهما حديث طويل وظلَّ يسري بينهما دون انقطاع، لقد أحسَّا

بأنهما متقاربان جدًّا منذ اللحظات الأولى وكانوا كالصديقين اللذين باعدت بينهما ظروف الحياة فقررا أن يسردا جميع القصص ليختزلا بذلك فترة البعد، قصت عليه كيف انتهت خطبتها ممن ظنت أنه حب عمرها "حسن" عندما لاحظت تغيرًا باديًا في معاملته لها بجفاء وغلظة قبل عقد القران بفترة وجيزة واكتشفت أن هناك أخرى اقتحمت في وقاحة بالغة حياته مقحمة نفسها عليه، ولكنه سرعان ما استجاب لها وانساق وراء حب زائف باع به قلبًا كان ينبض بحبه وأصبح مهووسًا بها، وتبلورت العلاقة بينهما أكثر حتى لم يعد يكترث إن تنامت القصة لمسامع عبير فكان مغرورًا واثقًا من حبها له فأصبح يلتقي بالأخرى يوميًّا غير عابئ بالنتائج وجاء اليوم الصادم ورأتهما عبير يتبادلان القبلات الحارة في سيارته على مقربة من منزله أثناء ذهابها في زيارة عائلية.

وحكى لها هو الآخر أنه كان على شفا الارتباط بفتاة وهي التي كان ينتظرها في ذلك اليوم في السينما وأنه كان يعتبرها عشقه الأوحد على حد تعبيره، إلى أن طلب منه أخوها ذات يوم مقابلته للتحدث معه بشأن زواجهما، وقد كان وذهب في الميعاد المتفق عليه وصرح له أن أخته قد سبق لها الزواج من شخص منذ بضع سنوات وبعد زواجهما اكتشفا أنه مريض، ولذلك كان سيء الطباع يبرحها ضربًا، حتى إن ذات ليلة هدده الجيران باستدعاء الشرطة من فرط أصوات الاستغاثة الصادرة من شقتهما. وخوفًا من الطلاق أو من حدوث مشاكل مع اهله أو من فرط حبها له آثرت المسكينة الصمت وأن تظل في كنفه علَّ علاقته بها تتحسن وظلّت في معاناتها حتى إن حمَلت، وفي شهرها الخامس ومن عنف الضرب سقطت مغشيًا عليها وفقدت طفلها التي كانت تحلم أنه سيكون ملاذها الأخير وبأن يكون سببًا في هدايته بعدما يصبح أبًا، ولكن لم يمهلها القدر الوقت الكافي وفقدت الأمل في إصلاحه مع فقدانها الطفل وأودعت على إثر الواقعة مصحة نفسية والتي ظلَت تتلقى علاجها بها لمدة تزيد عن العام ولدى خروجها كانت في حالة إنكار تام

لكل ما حدث؛ فلقد آثرت الصمت عن الماضي وكأنه لم يحدث وأن تكمل حياتها، واستمرت في ادعائها رغمًا عنها حتى بعد خطبتها لـ "هشام" ولكن عندما أحسَت أنها أحبته حبًّا حقيقيًّا طلبت من أخيها مصارحته بكافة تفاصيل معاناتها فهي بالطبع لن تستطيع مواجهته، وكانت تلك هي النهاية حيث أنه بقدر حبه لها بقدر ما صدمه كذبها عليه واعتذر لأخيها عن الاستمرار وانتهت بذلك رحلة عشقه لها.

واستمر الحديث في شتى مواقف الحياة سواء العمل أو العلاقات الاجتماعية لساعات طويلة وقبيل انتهاء اللقاء الحميم، كان يكن كل واحد منهما للآخر مشاعر من نوع خاص، ولم تحتَج علاقتهما لأكثر من شهر منذ ذلك الحين حتى يعترفا بالحب ويتعاهدا على عدم الافتراق ما دامت الحياة تنبض في قلبيهما وأصبح

حلم صيف شتوي

منذر كريم

كانت عقارب ساعته تشير إلى الواحدة ظهرًا. في يوم صيفٍ حارٍ، ترسل الشمس أشعتها على الأفق فيستعر لهيبها بقسوة ودون رحمة.. حتى الجماد فيها لو تكلم وأحسَّ لشكا إلى السماء ما يعانيه منها، ولظل يئن من قيظها. شق حليم دربه فيها بعبثيته المعهودة غير عابئ بمن حوله. يرسل فيها كاسيت سيارته صخبًا يزعج به القاصي والداني.. وتغمره بسمة كبيرة وهو بصحبة حبيبته سلوى. يطالع عينيها النجلاوين، اللتين كانتا وما زالتا ما أسره فيها. وأصابت بسهامها سويداء قلبه، وتمنى في نفسه أن تبادله حبها.

أخذ يرمقها بنظرة دون أن يلتفت لطريقه.. كان يسرح بخياله إلى مشهد زفافه معها. يشاهدها وهي تراقصه، يمسك يدها وهي تدور معه. والناس من حولهما يشاهدونهما ويمنون النفس بما يحظى به من السعادة، تلاشى كل ذلك حينما بادرته قائلة:

- حليم.. خلّي بالك من الطريق.

فتقطع سلسال أفكاره واسترساله في ذاك الحلم الوردي الذي نسجه له خياله.. فيرد عليها قائلاً:

- مملكش قصاد ندا عنيكي ليّا.. غير ألبي الندا. وأنا معاكي مش عاوز عنيا ترمش لحسن تضيع عليها لحظة ماتشوفكيش فيها.

- طب معلش ركز مع الطريق عشان مايحصلناش حادثة.

كان يضايقه كثيراً ذاك الجفاء في كلماتها.. ويثير شجونه تمنُّعها عليه، في كل مرة وهو معها كان ينتظر أن تتغير رسائلها التي تبثها إليه في حديثها معه. وبرغم ذلك كانت تحرص أن تدع خيطًا رفيعًا يقطع عليه البتّ في أمره معها، فكثيراً ماحدثته نفسه ألا يكمل الدرب معها.. فهي ماهرة في ذلك.

في كل لقاء يجمعهما يمخر عباب بحرها ويتصارع مع أمواج لجتها. ويتناحر في داخله صراع رهيب بين بلوغ شطآنها.. أو أن يدع عن نفسه ولوج البحرمن أصله. تتصارع داخله بين نفسه التواقة إلى نيلها وضميره الذي يوخز بأشواك ذنوبه التي يتحسسها حين يلتقي بها.. فهو بقُربِه من الله وقيمه التى غرسها أهله فيه. يرى أن ليس له الحق في صحبتها، لكن قلبه يدفعه أملاً في بلوغ ما يصبو إليه.

كان يحدِّث نفسه بكل هذا وعيناه تطالعان صفحة الطريق. الذي رسم السراب فيها أمانيه.. قطع عليه شروده عاصفة عاتية أثارت كثبان الرمل المفترشة على جانبي الطريق. يكاد يجزم بأن إعصارًا هو الذي يقدر على حمل كل هذه الرمال التي حالت بينه وبين الطريق.. كان منذ لحظة يبصر الدرب الذي يسبر أغواره. ثم فجأة صار لا يرى شيئًا، حاول عبثًا أن يضيء أنوار سيارته علها تبدد ذاك الضباب الذي لاح في الأفق وحال بينه وبين السماء والأرض. فكساهما بصفرة كئيبة؛ لكن ذلك لم يجدِ.

ثم اكتملت عليه الأحداث بأن سمع فجأة صوت دوي قوي تيقن من أن شيئًا قد أصاب محرك سيارته.. فما هو إلا وقت قصير ثم زاد الضباب بدخان محركه. حينها وجد سلوى وقد تبدّل حالها معه، وأخذت تتمتم بعبارات لم يكد يميزها. ثم قالت:

- نزلني هنا يا حليم.

تعجب حليم من تبدُّل حالها، أخذ ينظر إليها متعجبًا من احتدادها عليه. أخذ يسأل نفسه: مابها؟!! ثم قال لها:

- طوللى بالك.. الموضوع بسيط ومش مستاهل كل المضايقة دي!!

- يا حليم أنا تعبت ومابقتش مستحملة أي حاجة بتحصل حواليا.. أنا واحدة بتدور على نفسها وعاوزة تلاقيها، ومش قادرة تشيل معاها حد تاني.

- طب فيه إيه؟!! هو إحنا بنتعمد اللي بيحصل لنا. لازم نصبر ع اللي بيحصل لنا واللي بيحصل للي حوالينا.

ومن غير سابق إنذار وجد سلوى تحل دبابيس طرحتها وأخذت تنكث شعرها بشكل غريب.. حتى أحالت شعرها كشجرة خريف تساقطت أوراقها. تسمر نظر حليم لها.. وأطبق عليه ذهول أعجز لسانه عن الكلام. حاول أن يستجمع نفسه كي يثنيها عما فعلته بنفسها دون جدوى. ثم رآها تفتح باب سيارته لتخرج منها وهي بتلك الحالة الرثة، فما كان منه إلا أن خرج من سيارته ليلحق بها وسط ضباب الرمال ودخان سيارته. إلا أن خطاها كانت أسرع منه.. فالتهمها الضباب.

فجأة أفاق حليم من سباته مرتعدًا.. ما هذا الذي رآه؟!! أخذ يفيق نفسه ليميز أحقيقة ما رآه أم خيال نسجته أحلامه؟!! تيقن أنه كان كابوسًا كبيرًا، أخذ يحدث نفسه بما كان مما رآه حتى يتيقن من حقيقة علاقته بسلوى.. حتى يعي تمامًا أنها لم تكن لتدعمه. لم تكن في يوم رفيقة درب حتى يصبح قادرًا على أن يدعم نفسه بها إذا اشتدت عليه الخطوب، لعلَّه الآن يبتسم في استهزاء على ما آل إليه حاله. وسرت في جسده قشعريرة تنذره بأن الدفء قد ولّى من ربوع يومه.. وأنه الآن عليه أن يحيا رغم زمهرير الشتاء.

***

قهوه بوِشّ

عمرو إكرام

أخذ يتملل اكرم في جلسته في الكافيه الشهير في الإسكندرية المطل على البحر، المكان الذي قضى فيه أكثر لحظات سعادته، ولكن رغمًا عنه لكل شيء نهاية.. أو بداية..

على طاولتهما المفضلة جلس، كان ولا زال يتباهى أمام نفسه قبل الغير لمعرفة موظفين المكان له، دون التطرق التام للعكس..أحيانًا عندما يقضي شخص مدة طويلة في مكان، يصبح التواؤم معه أكثر من مجرد مكان يقضي به بعض الوقت، فذكرياته به تشعره بالدفء والأمان في عالمه المضني الكئيب.

الإسكندرية كانت ولا تزال متنفسه، فهو يعشق شاطئها برغم كل التغييرات التي تطرقت عليها، والآن أصبح لها معني يتداخل في قلبه، ساميًا له نفسه، معطيًا له كل الأسباب.

لم يكن يعلم أنه يبحث عنها طول حياته، إلا عندما شاء له قدَرُه مقابلتها؛ شعور جارف وأحاسيس مرهفة بالحب والتمني الدائم. ظهورها في حياته أحدث شرخًا زلزل كيان حياته الذي بذل هو مجهودًا ضخمًا لإرساء قواعدها الهشة لواقعه المهزوز غير المستقر، لكي يحيا.

هبه من الله هي، أعطت له بوجودها كل معاني الإرساء، الاستقرار، الحب والشغف وعندها اتضحت كل الأسباب من طمانينه، سكينة.. و.. ثقة.

لم يتملك نفسه من السعادة عندما تذكَّر سنتين من تاريخه عندما باح لها بكل ما دار بخلده من مشاعر وكيف استقبلته عندما تلقته نظرة عينيها الحانية وابتسامتها التي تمثل له الأمان.

ها هو ذا ينتظرها بنفس الشوق والاشتياق على طاولتهما المفضلة التي يعشقها والتي تمثل له جمال الحياة، جالسًا بينها وبين بحره الحبيب.

اختارت أن تعطي له كل شيء، فلم تتوقع أن تلتقي بكل هذا القدر من الحب والاهتمام، بعد كل هذا الوقت وكل تلك الأحداث؛ ممكن أن تكون مشاعرها امتنانًا أكثر منه حب؟

تحتاج أن تعطي لكي تحيا وهو لم يُرِد سواها وضحى بكل شيء من أجلها.

اللقاء لم يكن اعتياديًّا؛ ففي كل مرة يطلب هو لقاءها، على مضض، لكي يستمتع باستشعار الهدوء والأريحية في إيجاب الموافقة كذا المقابلة.

في هذة المرة هي التي طلبت اللقاء، أرادت أن تتحدث فقد طال لقاؤهما الشهرين، غير مكترث لمشقة وعناء سفره من القاهرة إلى الإسكندرية للقائها، حياته التي يرجوها وهو بجانبها.

أبعد عن تفكيره عرضه للزواج منها وإرجائها له بذوق واعتداد، "حتى نتفاهم ونكون جاهزين".

تفاهمهما جاء من معاناتهما المشتركة حيث التقيا، طلاق مشترك، لكُلٍّ قصته ولكن أسس النهايات تكون واحدة.

أراد أن يجعل لنفسه ولو مرة واحدة في حياته، نهاية له هو- أراد ان يكون فاعلاً بدلاً من مفعول به، هي- أرادت أن تعيش وتعطي وأخيراً قابلت الشخص الجدير بهذا العطاء.

انتظار، تملل، اشتياق ثم لمح طيفها قادم ناحيته.. غصة موجعة في حلقه، تسارع ضربات قلبه وكل التحضيرات اللغوية التي بات في تحضيرها تلاشت من رأسه؛ علامات العاشق الولهان.

كل ذلك دار في ذهنه وهو جالس بانتظارها، فهو يعشق انتظارها مهما تأخرت.

عند اقترابها من الطاولة وقفَ أكرم لاستقبال هبة، يحبها ويحترمها وكذا هي في تفاصيل حركة جسدها وفي إلقائها لتحيتها له..

- مساء الخير.

- مساء النور.

- عاملة إيه؟ كان في مشكلة في السكة؟

- أبداً الزحمة والركنة.

- اتفضلي، استريحي، تشربي إيه؟

- قهوتنا بوشّ.

عشق حبه لها، فتفاهمهما المشترك وتفاصيلها الصغيرة التي تتواءم مع تفاصيله؛ لأول مرة في حياته عقله وقلبه يتماشيان معًا، أخذت مبادرة الحديث:

- أكرم، نحن نعرف بعضنا منذ ثلاث سنوات، وأنا أعترف لك أني لم أرتَح في حياتي مثلما أرتاح معك، لقد ساعدتني في الخروج من مشاكلي الشخصية وتحملت ضغوطي النفسية وكنت لي السند، رجعت أشعر بمعنى الحياة معك وأعلم أنك تحملتني كثيراً لأنك.. أنا أعلم جيدًا قَدْري لديك..

في ذهنه كان أكرم يرتعد ويتملص من بدايات هذه المقدمة لما يعتريه نهايتها المتوقعة- أزمة الثقة المزمنة والتي تولدت لديه مما عاناه من البشر وأنصاف البشر في حياته، أثرت عليه تأثيرات غائرة.

ولكن شجاعته خانته في ثقته، فقد أحبها، عشقها واحتواها وهي بادلته الشعور بدون كلام، بثقتها الهادئة فيه وفي نفسها.. اقتنعت وآمنت أن الوقت آن.. أكرم، هلا تثق في..؟

في لحظه أدرك ما ترمي هبة إليه، فعلاقتهم بنيت على التفاهم قبل المشاعر.. وفي هذه اللحظة ما بينها وبين بحره، تحققت كل أحلام أكرم.

احتساء فنجان من القهوة مع هبة مدى حياتهما، هما اثنان..

ولكن قهوتهما بـ "وِشّ واحد"..

***

عاديا

محمود العادلي

أبي.. انظر.. إن وجهه ممزق تمامًا..كيف يعيش بوجه مشوَّه كهذا؟ قالت فتاة صغيرة بطول ذراعي وبوجه ملائكي كان ينظر إليّ نظرة امتزج فيها الدهشة بالفزع.. سحبها أبوها من يدها ورمقها بنظرة أبوية معنفة ثم ابتسم لي معتذرًا.. تعجبت لكني تظاهرت بعدم الاكتراث.. سرت بضع خطوات حتى تأكدت أنهما لم يعودا يرياني.. رفعت كفي إلى وجهي وتحسسته.. كنت خائفًا ووجدت يدي ترتعش رغمًا عني.. شعرت أني إن لمست وجهي فسأشعر بالندوب الغائرة والبارزة فيه.. لكني لمسته فوجدته مستويًا مشعًرا كعادته.. أنفي عيني جبهتي وخدي كل شيء على ما يرام.. يا لها من طفلة شقية.. بالتأكيد كانت تقصد التلاعب بي لكن صدق النظرة على وجهها كانت مقنعة للغاية.. لكن لا يهم.. المهم أن وجهي بخير.. شعرت بلفحة من الهواء العليل يحمل لمسة من الشباب والسعادة..كانت ليلة الثالث والعشرين من نيسان/ أبريل والربيع يلاطف الناس ويداعبهم قبل أن يكويهم حر الصيف.. أغمضت عيني وتنشقت النسيم ثم تملكتني رغبة في العَدْو وبسرعة.. أريد ذلك وسأفعل ذلك.. لا آبه بكوني رجلاً أربعينيًّا ممتلئ البطن ومشعر الوجه وأسير في حي القاهرة القديمة عتيق المباني والمساجد والكنائس.. وعتيق الناس.. كان على المكان أن يصبغني بالوقار.. لكن لفحة الشباب تلك لا

تأتي إلا لمامًا.. علّي أن أستغلها.. أسرعت الخُطى.. ركبتي تطقطق مع كل انثناءة لكن لا يهم.. جريت أو تدحرجت ككرة فراء.. لم ينجح في إيقافي سوى حجر صغير طار مباشرة أمام عيني ثم اصطدم بلافتة كبيرة معدنية.. نظرت إلى الجهة الأخرى من الطريق وجدته قد قذفه أحد الأطفال الذين اتخذوا اللافتة هدفًا لقذف حجارتهم.. زجرتهم بعنف وأنا أعتقد أنهم لن يأبهوا لزجري.. لكن غير واحد من أصحاب المحلات المجاورة ساندوني لما رأوا حادثتي الوشيكة فانتهى الأطفال ورحلوا.. وقفت لألتقط أنفاسي ثم التفت إلى تلك اللافتة المعدنية المغروسة على حافة قطعة أرض عارية وقد كتب عليها "الأرض للبيع" وكتب بأسفلها رقم هاتف.. قلت لنفسي: "جيد أنا بحاجة أن أشتري أرضًا لأشرع رويدًا رويدًا في بناء بيتي الخاص".. أريد أن أنثر به كتبي التي غصت بها شقتي المكتنزة.. لتستوعب جنوني وولعي بكل ما هو ورقي.. هل يجوز لعاقل أن يحلم بامتلاك بيت ليسع كتبه فقط؟ لا ليتزوج بل ليتسع بيته له ولكتبه..

هاتفت الرقم المكتوب وأجابني صوت نسائي جميل: ألو.. ألو.. ألو ..

- ألو.. ألو أريد سؤالك عن قطعة الأرض خاصتك المعروضة للبيع، أريد شراءها..

- أية أرض؟

- هل لك أكثر من قطعة أرض سيدتي؟!.. أقصد تلك المجاورة لمترو مار جرجس..

قالت: سيدي، أنت تهذي ربما...

ثم قطعت الاتصال.

أغمضت عيني. غاضبًا كنت.. غاضبًا.. و... سأهاتفها ثانية.. بدأت بالتعرق..

أجابت: ألو..

قلت: سيدتي..ألا تريدين بيع أرضك؟ أنا مشترٍ جادٌّ أبحث عن أرض أبني بها بيتي ليسع كتبي.. و.. إمممم..كم سعرها؟

- سيدي.. الأرض أرضي فعلاً لكنها ليست للبيع رجاء لا تهاتفني ثانية.. وسامح الله مَن أعطاك رقم هاتفي.

- سيدتي.. سيدتي.. لحظة.. لم يعطني أحد رقم هاتفك بل هو مكتوب على اللافتة.

- حقًّا؟ إذًا أخبرني لِمَ أضع رقم هاتفي على اللافتة وقد كتبت عليها أن الأرض ليست للبيع؟

ضحكت: ها ها ها.. إني الآن أقف قبالتها وقد كُتِبَ عليها أنها للبيع وعليها رقم هاتفك..

- سيدي لست متاحة للمزاح.. سأغلق الخط..

- انتظري سيدتي ألا تصدقينني؟ حسنًا سأسأل أحد المارة ولتنصتي

أوقفت شابًا أنيقًا يرتدي بزة فخمة وحذاء ملمعًا بعناية.. ورائحة عطره تكاد تسد أنفي.. تعجبت أن يسير شاب بتلك الأناقة على قدميه حاملاً كيسًا من الخبز الأبيض ويصعد فوق تل صغير من التراب قد تكوم أمام البناء المجاور لرقعة الآرض.. سألته: أنت متأنق جدًّا ببزتك وساعتك الرولكس على أن تسير على قدميك..

قال في لهجة قاهرية شعبية: أتهزأ مني؟

قلت وجلا: لا.. عفوًا لم أقصد ذلك.. أريد منك صنيعًا سيدي.. هلا قرأت هذه اللافتة بصوت عال؟

تعجب الرجل الأنيق مني.. أراد أن يتركني فتوسلته بملامسة مرفقه برفق كي لا

أفسد بزته.. قلت له: فقط هذا، اقرأها مرة واحدة واذهب إلى اجتماعك أو شركتك أو ما شابه.. هيَّا..

نظر إلي في غير اكتراث.. ثم التفت إلى اللافته وقرأ متشككًا: غمممغممغم

ماذا تقول سيدي لم أسمعك وبالطبع السيدة لم تسمعك بالهاتف.

قرأ بصوت أكثر وضوحًا: الأرض ليست للبيع

التفت إلى الجهة الأخرى في الحال وقربت الهاتف من وجهي وقلت: أرأيت؟.. ثم عاد إلي رشدي.. وتفلترت الكلمات برأسي.. وشعرت بالغرابة.. قلت بصوت خفيض: أي مزحة هذه؟.. تركني الرجل وصعد فوق تل التراب ثم ابتلعه المبنى المجاور لقطعة الأرض.

قالت السيدة على الهاتف: سيدي إن كنت فارغًا من الهم وعاطلاً عن العمل أو ميالاً للمزاح فغيرك ليس كذلك.

- سيدتي إني أقسم لك إن هذا ما أقرأه على اللافتة قبالة أرضك.. حسنًا سأسال شخصًا آخر..

لمحت بالجهة الأخرى من الطريق امرأة ثلاثينية تحمل رضيعًا.. عبرت الطريق بتلهف ورهبة.. وأوقفت السيدة وأنا ألهث: "سيدتي.. آسف على إزعاجك وتأخيرك وعلى طلبي السخيف هذا.. لكن هلا قرأتِ اللافتة عل الجهة الأخرى من الطريق؟

قالت: آه.. حسنًا ألا تجيد القراءة سيدي؟

قلت: بلى.. أقصد.. نعم.. بل أقصد..أن نظري قاصر ونظاراتي قد انكسرت.. فهلا ساعدتِني؟

تنهدت وقالت: حسنا.. الأرض ليست للبيع.

قلت: هل أنت متاكدة سيدتي.. ألا يوجد رقم هاتف مكتوب؟.. قالت لا، لا يوجد.

سمعت صوت انقطاع الخط..

قلت في خيبة وحيرة: حسنًا.. أشكرك سيدتي.. وبارك الله لك في رضيعك.

قالت في تعجب: أية رضيع؟..

قلت: الذي ينام علي ذراعك ..

قالت في دهشة وضحكت ضحكة آسية: ما من أحد ينام على ذراعي.. أنت بحاجة لنظارات جديدة في أقرب وقت.

وقفت أنظر إليها وهي تغادرني هي ورضيعها الذي لا زلت أراه نائمًا على ذراعها.. وضعت يدي بجيبي سروالي.. نظرت على جانبي الطريق كأني كنت أنتظر أحدهم.. لكني لم أكن أنتظر أحدًا.. بل كنت أشعر بالقلق حيال نفسي.. وأردت أن أفعل شيئًا واحدًا يبدو منطقيًا في تلك الليلة اللامنطقية.. لا لم تكن ليلة واحدة.. بل ستة أشهر كاملة منذ أن بدأت في رؤية تلك الأحلام المسحورة.. عن نور أبيض يغطي رأسي ويخترق أذني ثم يخرج من فمي.. من حينها وأنا بين الحين والآخر أرى صورًا مقلوبة للحقيقة.. كأني أعيش في عالم آخر أو أنظر إلى عالمنا هذا بعين غير التي ولدت بها..

لكنَّ عامًا مرَّ منذ تلك الليلة كنت فيه على خير ما يرام.. لم أعد أرى أحلامًا غريبة ولا حقيقة غريبة.. عام بالتمام والكمال قبل أن تعود ليلة الثالث والعشرين من نيسان /أبريل.. نفس المكان.. نفس الهواء الربيعي الجميل.. نفس الوحدة التي كنت أشعر بها حينها.. وللمصادفة كنت أرتدي نفس الملابس.. كان كل شيء يشبه تلك الليلة.. حتى الناس في الطرقات.. حتى الرجل الذي كان يمسك بابنته في يده والتي خدعتني بقولها أن وجهي ممزق.. لكني لم أرَ ابنته معه هذه المرة ورغم ذلك فقد ابتسم لي ذاك الرجل محييًا.. ورددت له التحية باندهاش..

مشيت على مهلٍ.. انتبهت إلى تلال التراب الصغيرة التي انتشرت على جانب

الطريق أمام المباني المتجاورة.. ثم توقفت لاإراديًّا وتذكرت اللافتة قبل أن أراها.. ونظرت ناحية قطعة الأرض.. لم أستطع أن أتبيَّن ما كتب عليها فاقتربت شيئًا فشيئًا ونبضي آخذ في التسارع.. فشعرت بخيبة أمل لما قرأت نفس عبارات الليلة تلك.. الأرض معروضة للبيع وبأسفلها رقم الهاتف.. ولكنه زيد عليها عبارة: (مِلك السيدة مروة الدراسي).

أخرجت هاتفي من جيبي في تردد..فكرت: يبدو أن الأعراض قد عاودتني.. يا إلهي لقد ظننت أني صرت على خير ما يرام. عليَّ أن أتأكد..

اتصلت بالأرقام وكلما ضغطت رقمًا ارتعش إبهامي أكثر.. لقد كان الاسم لا زال مسجلاً على هاتفي: "صاحبة أرض مار جرجس."

دق الهاتف دون صدى حتى كاد الخط ينقطع قبل أن تجيب أخيرًا سيدة ذات صوت مألوف: ألو ألو..

- ألو، سيدة مروة..

قالت: نعم.. مَن معي..؟ لم أجب

قالت: لا بُدَّ أنك ترغب في الاستعلام عن الأرض..

قلت فرحًا: أهي للبيع؟

قالت: نعم أكيد هذا ما قرأته على اللافتة أليس كذلك؟

- سيدتي، لقد قرأت ذلك على اللافتة منذ عام كامل.. واتصلت بك وأكدت لي حينها أن الأرض ليست للبيع.

- يا إلهي أهذا أنت؟

- نعم سيدتي إني أتصل مرة ثانية الآن لأتأكد أني لم أفقد صوابي..

- لا لا سيدي لقد كان الأمر غريبا حقًّا.. لقد كنت واضعة لافتة على أرضي

قبل عام قد كتبت عليها كما أخبرتك حينها أن الأرض ليست للبيع.. ولكن في اليوم التالي لليلة التي هاتفتني فيها اندلع حريق بمصنع للمواد البلاستيكية كان مِلكًا لوالدي وأتى عل كل شيء وكان ذلك المصنع مع تلك الأرض هو كل ما ترك لي والداي.. اضطررت للاقتراض مرات عديدة لأعيد المصنع إلى حالته وبالنهاية لم يعد أمامي بد من بيع المصنع لتسديد ديوني ثم عرض الأرض للبيع لأبدأ من جديد.

- آسف لك سيدتي.. عوضك الله خيراً.

- شكرا لك.. أراغب أنت الآن بشرائها سيدي؟

- نعم.. لكني سأتصل بك لاحقا

- حسنًا.. سيدي.. لا بأس..سيكون هاتفي متاحًا دائمًا.. إلى اللقاء.

لم أجب.. كنت أشعر بمزيج من الدهشة والأسى وبهجة الانتصار أيضًا.. لقد كنت على حق حينها.. رغم أني لم أكن على حق أيضًا.. وسرت خطوات دون وعي قاطعًا الطريق.. لم أنتبه إلى تلك السيارة المسرعة باتجاهي.. تجمدت قدماي وتجمد الدم في عروقي.. ضغط السائق مكابح السيارة بكل قوة لكنها لم تمنع السيارة من أن تصدمني قبل أن تتوقف.. كانت صدمة خفيفة لكنها طرحتني أرضًا.. لم تسعفني ركبتاي اللتان لا تكفان عن الطقطقة أن تسنداني.. خرج السائق مسرعًا.. كان يرتدي قبعة سوداء فوق رأسه ومعطفًا أزرق كما ينبغي أن يرتدي سائق خاص محترف.. نظرت إلى السيارة وجدتها سيارة مرسيدس فارهة سوداء. ساعدني السائق العجوز للنهوض وإعادة ترتيب ملابسي وتنظيفها مما علق بها من تراب.. اعتذر مني بقوة وقال إن سيدة معه في السيارة كان يتعجله لحضور اجتماع عاجل بموظفيه في شركته ثم مال عليَّ وأردف قائلاً بصوت خفيض كي لا يسمعه سيده بالسيارة: كم أكره تذمُّره وتسلُّطه المتواصل لكن ما بيدي حيلة.. هكذا يصير الجوعى حين يتخم القدر كروشهم فجأة ثم كرر لي أسفه بصوتٍ عالٍ

فأخبرته ألا داعي للأسف واعتذرت منه بدوري لعدم انتباهي للطريق.. وقفت بجانب الطريق بينما ركب السائق السيارة.. وحين مرَّ بجانبي استطعت أن أرى بصعوبة وجه السيد بمقعد السيارة الخلفي عبر دخان السجائر الكثيف.. لقد كان هو الشاب الأنيق الذي يحمل كيس الخبز الأبيض هنا ومنذ عام..

قلت لنفسي بلهجة الواثق وأنا أتابع تنظيف سروالي: حسنًا لم يبقَ سواها.. لكن انتظاري لم يدم طويلاً.. فلقد رأيت امرأة تحمل رضيعًا وتغزو الخطى نحوي عابرة الطريق من الجهة الأخرى.. عرفت لتوي مَن تكون.. أقبلت عليَّ باسمة وسلمت عليَّ بحرارة: سيدي.. سيدي.. لم أتوقع أن أراك مرة أخرى لكني كنت أتمنى ذلك من كل قلبي لأشكرك على بشارتي.. أغمضت عينيها وانعصر الدمع من بين جفنيها: آه تقدس اسمك يا يسوع.

كنت قد فهمت.. لكني أردت أن أكون أكثر ذوقًا.. فسألتها: أي بشارة؟

قالت: أنت تتذكرني صحيح؟

قلت: أعتقد ذلك.. وأذكر أني كنت بحاجة إلى نظارات..

ضحكت: اعذرني سيدي قد كان كلامك حينها يبدو لي عجيبًا كل العجب.. لقد كنت حينها امرأة عاقرًا متزوجة منذ عشرة أعوام ولم يرزقني الله ولدًا.. لكنه رزقني بزوج طيب صالح وكنت أثق أن الرب سيبشرنا بولد كما بشر زكريا وإليزابيث بيوحنا المعمدان.. لكن إيماني بالقدير أخذ في التضاؤل مع مرور السنين وتبدلت ضحكتي بكاءًا مستمرًا.. لذلك لم أرَ بشارته على لسانك في حينها بل على العكس.. ما إن بلغت منزلنا حتى انهرت باكية وظننت أن الشيطان يهزأ بي وبصلاتي الدائمة.. وبلغ الأسى والجزع مني مبلغهما لكن زوجي أقبل عليَّ وشدَّ من أزري واحتوى تمزُّقي.. وأثقل لنا الرب في ليلتنا فحبلت بولدنا.. سمَّيتُه جرجس تيمُّنا بقديسنا الشهيد.. لم أكن أعرف اسمك سيدي ولو عرفته لسميته على اسمك ما لا يمنع ديننا ذلك..

- لا حاجة لذلك سيدتي.. جرجس اسم جميل.. بارك الله لك في رضيعك.. صدقًا هذه المرة..

- نعم سيدي وبارك فيك.. سعيدة أني رأيتك.

- لست أكثر سعادة مني سيدتي.. لكن أوَتسمحين لي بسؤال؟

- بالطبع.. تفضل..

- لكم جار يسكن هنا بذاك المبنى لا اعرف اسمه لكنهم يقولون إنه صار غنيًّا.. رجل أعمال يملك سيارة مرسيدس فارهة.

- آه نعم.. تقصد السيد علي الشبراوي.. لقد كان يعمل عامل بناء ويسكن مع أسرته بالطابق الأرضي هنا حتى عام خلا.. لكنه في أيام معدودات قد اختفى تمامًا.. وعاد بعد بضعة أشهر مالكًا لمصنع بلاستيكيات ضخمًا كان قد احترق منذ فترة وجيزة. يقولون إنه كان يبحث لأعوام عن لقايا ذهبية قال له مالك الأرض الأصلي أنها مخبأة أسفل شقته.. وكان يفسر ذلك أكوام التراب أمام المبنى التي لم تكن تنقص حتى تزداد ثانية من أثر تنقيبه عن اللقايا.. وكان يبرر وجودها دومًا بأعمال التجديدات في بيته.. كان الجميع يشك لكنهم لم يتأكدوا سوى بعد أن ظهرت عليه آثار نعمة الرب..

- دعيني أحزر.. بدأ الجميع بعد ذلك في تقليده..

- نعم.. لذلك ترى كل تلك الأكوام من التراب علي طول الطريق. لكني أنا وزوجي لسنا منهم يا سيدي.. إنها أموال يحرمها الله.

- شكرًا لك سيدتي.. شكرًا جزيلاً.

- بل شكرًا لك. أمسكت بيدي ووضعتها عل جبهتها.. ونظرت إليَّ نظرة امتنان.. ورحلت..

نظرت إلى ساعتي فوجدتها قد قاربت الثانية عشرة.. عليّ أن ألحق بآخر قطارات المترو.. عبرت إلى الجهة الأخرى وأنا لا زلت أفكر فيم حدث.. إنها ظاهرة خارقة للطبيعة.. شعرت بالإثارة الشديدة.. شيء غير عادي يحدث لي.. أين أنت يا عزيزي كولن ويلسون لترى كيف يتم كسر الروتين.. يا إلهي ربما كنت قديسًا كمار جرجس.. أو شيخًا ذا كرامة.. أو ربما كنت محض صدفة كونية تحدث كل بضعة ألف عام.. لكني لأول مرة أشعر بالانتشاء الحقيقي.. كوني لست عاديًا.

بأعجوبة لحقت بآخر قطارات المترو.. لم يكن من مكان متاح للجلوس واضطرني الزحام المتزايد في كل محطة إلى الاستناد إلى زجاج باب دخول العربة.. خرج المترو من نفقه وصار يسير مؤقتًا فوق الأرض..أخرجت هاتفي.. عليَّ أن أستغل تلك الفرصة الذهبية.. سأشتري أرض السيدة مروة الدارسي وسأفاوضها في سعرها ولن تستطيع أن ترد عرضي ولو كان بخسًا لحاجتها للمال.. وسأبدأ ببناء بيتي وحين أحفر لأساساته فسأعرف إن كنت محظوظًا مثلما كان الجار القديم سيد الأعمال علي الشبراوي أم لا..

اتصلت برقمها.. تتابعت الدقات في أذني ولم أكن أدري أنه قد تواطأ المكان.. مع الساعة.. مع رغبة أطفال أشقياء في اللهو بساعة متأخرة بالليل.. تواطأ كل هذا مع حجر قذفه أحد الأطفال خلال رقعة مكشوفة _متواطئة هي أيضًا_ من سور مترو الأنفاق.. ومع زجاج الباب الذي كنت مستندًا بجبهتي إليه، أنتظر رد السيدة مروة.. تواطأوا جميعًا على وجهي حيث انفجر الزجاج لما ارتطم به الحجر وانغرس الزجاج بجبهتي وخدي وأنفي.. سقطت على أكتاف اللحم البشري حولي.. فزع الناس لما رأوا وجهي مغطى بالدم والزجاج.. تحسست وجهي، شعرت بخشونة الزجاج ودفأ الدم.. بدأ الألم يجتاح وجهي رقعة رقعة.. هممت بالصراخ لكن فاجئني ذاك الوجه الملائكي لطفلة تبدو مألوفة للغاية وقد مالت ناحيتي..

انخرست.. تأملتني هي بعناية ثم شدت يد الرجل الممسك بيدها وقالت: أبي.. انظر.. إن وجهه ممزق تمامًا!

جثا الرجل على إحدى ركبتيه وحوط صغيرته بذراعه ثم رفعها إلى كتفه وهو يقول: نعم صغيرتي.. هو كذلك ثم استدار..

واخترق بكتفه الآخر الزحام خلفه.. واختفى.

***

جريمة ضمير

عمرو عامر

بينما يستعد لمغادرة المستشفى وجدَ نفسه يتساءل:

ماذا حدث بالدنيا؟

أيعقل أن تتحكم بعض من الأوراق في حياة البشر؟

أهي حقًّا مجرد أوراق نقدية أم صكوك تمنح الحياة؟

فكيف رفضت المستشفى أن تستقبل هذا الطفل الغارق في دمائه لمجرد أن أمه لم تكن تحمل معها مبلغ التأمين المطلوب؟

كيف هان على العاملين بها صراخه من الآلام وبكاء أمه تحت أقدامهم؟

بل كيف تضع إدارة المستشفيات هذه الشروط التعسفية أمام إنقاذ أرواح الناس؟ هل من المفروض أن نسير في الشوارع بمبالغ ضخمة تحسُّبًا لتعرضنا لحادث مفاجئ؟

لكنه توقف فجأة في محاولة من ضميره للاستيقاظ وتوجيه اللوم إليه؛ فقد تذكر موقفه عندما شاهد كل هذا ولم يفعل شيئًا وكانت سلبيته هي عنوان المشهد.

فقد تغيَّر مسار تساؤلاته..

لماذا لم أقُم بمساعدتها أو حتى المساهمة بمبلغ قد توافق المستشفى به على استقبال الطفل وإنقاذه؟

أبهذا أكون شريكًا مع إدارة المستشفى في هذه الجريمة؟ فصاحب المستشفى يخشى ألا تدفع المرأة بعد إنقاذ الطفل وأنا أيضًا لا أعرف هذه الأم التي قد لا تردّ لي أموالي فيما بعد وهكذا يكون تفكيري أنا وصاحب المستشفى في كيفية استرداد أموالنا.

ومع بدء جلد النفس على أخطائها يتدخل الشيطان لينقذها ويوقف الضمير عند حده..

فقد وسوس له الشيطان بموقفٍ حدثَ بينما هو يقف لينتهي من إجراءات الخروج ومعه في نفس الغرفة الأم التي كانت تحمل طفلها وقد توحَّد بكاؤها وصراخه محاولين استعطاف العاملين أو طلب النجدة من شخص ما زال يمتلك بقية من إنسانيته، كان هناك شخص على باب الغرفة يمسك بهاتفه ويقوم بتصوير المشهد.

فتساءل ماذا يصور هذا الرجل؟ هل هو صحفي يوثق المشهد؟ أم هو من أهل هذا الطفل البائس وأمه التعيسة؟ لا. لم أعتقد فملابسه الفخمة لا تدل على ذلك.

إنه أغلب الظن من دراويش السوشيال ميديا، هؤلاء الذين يقومون بتصوير كل شيء وأي شيء ومشاركتها على حساباتهم، حتى لو كانت كارثة فالأولوية عندهم للتصوير بدلاً من التدخل لحلها.

وبهذا المبرر استطاع الشيطان إخماد ضميره بعد أن أقنعه بأن جريمته أقل وطأة من جريمة هذا الرجل الذي سيتاجر باللام هذا الطفل وأمه بعد نشر هذا الفيديو.

وبعدها بالفعل حمل الحقائب للمغادرة وعند باب المستشفى سمع الأم وهي تصرخ معلنًا عن رحيل ابنها ومعه ضمائرهم جميعًا.

بذرة يقين

علا أحمد

يوم الخميس الساعة التاسعة صباحًا بعد أن ركبت المايكروباص وفي طريقي إلى مكان لم أزُره من قبل لأخوض تجربة جديدة استكمالاً لرحلتي الخاصة في البحث عن ذاتي الحقيقية..

ذاتي الحقيقية.. ذلك المسمى الذي التصق بذهني منذ انتهيت من قراءة رواية طُلِبَ منَّا أن نقرأها قبل قدومنا إلى المعتكف الكتابي كما يطلقون عليه.

ورغم أنني انتهيت من قراءة الرواية منذ عدة أيام إلا أنه لم يفارق ذهني ما سرده الكاتب من أحداث وشخصيات.. سألني أحد القائمين على المعتكف في أول لقاءٍ لنا: هل انتهيتِ من قراءة الرواية؟ فأجبته باقتضاب: نعم. ثم عاد يسألني مرة أخرى: هل أعجبتك؟ فلم أجب واسترسل هو مستنتجًا أنها لم تعجبني!! ولكن الأمر لم يكن كذلك.. كان الأمر أني قد قرأت ما بين سطور الرواية؛ قصة حياتي!!

لم أكن أتوقع أن أجد مَن يمر بمثل ظروفي مع بعض الاختلافات في سياق الأحداث والحبكة الدرامية للعمل!!

على أي حالٍ.. سأكتفي فقط بالصمت والإيماء برأسي مع الابتسام وهو الإجراء الأمثل لي في حالة رفضي للرأي المقابل أو في حالة غموض مَن أحاوره أو إن كان رأسي تضربه المطارق خصوصًا بعد أن أعود من رحلاتي الخيالية لعالمي الخاص..

ظلت شخصيات الرواية تطاردني.. تحدِّثني وأحدثها رغمًا عني.. أفكر بهم دون مجهود.. يرسم خيالي تفاصيل ملامحهم ويستمع لنبرات أصواتهم بإنصاتٍ لأيام متواصلة، فقد كانت أحداث الرواية تدور حول قصةٍ يحكيها رجل عجوز لشاب كاتب وترك لنا النهاية مفتوحة دون أن يخبرنا إن كان حوارهما حُلمًا أم عِلمًا!

وبعد أن مرَّ المايكروباص من بوابات القاهرة، بدأ وسواسي يحدِّثني هامسًا وأنا شاردة كعادتي قائلاً: إن كنت أنتِ الكاتبة.. مَن هو الشخص الذي تودين مقابلته في منامك؟

وهنا.. بدأ شرودي الأعظم.. وضعت سماعاتي لأستمع الى مقطوعات الموسيقى المفضله إليّ والتي تعزلني عن عالمنا المزيف وتلقي بي في عالمي الخاص الأشبه بعالم أليس في بلاد العجائب!

وحين تفكرت زاد شرودي شرودًا ووجدت لساني يغلبني لينطق "أبو بكر الصديق"..

أغمضت عينيَّ وأخذت أتخيل حوارنا.. بماذا سأبدأ؟ نعم.. سألقي السلام أولاً ثم أبدأ أسئلتي التي يجب وأن تكون حاضرة سأقول له...

وفجأة انقطعت كل وسائل اتصالي بعالمي الخاص وعدت لأرض الواقع نظرًا لتوقف سائق الميكروباص لملء تانك البنزين.. وشعرت بانزعاج كذلك الذي يحدث عندما يقوم أحدٌ بإنارة الضوء فجأة وأنت مسترخٍ في مكان خافت الإضاءة!

وبعد أن وصلنا وكنا قد أمضينا ساعات في المعتكف قُدِّم لنا فيها جرعة دسمة من المعلومات لنبدأ رحلتنا مع الكتابة.. ذهبنا لتناول الغداء ثم لأخذ قسط من الراحة، وبينما كنت أستلقي على سريري عاودني ذلك الصوت الهامس المجهول المصدر ليسألني: "ألن تكملي ما بدأتِ في طريقك إلى هنا؟ ألن تتحاوري مع الصديق؟" فارتديت سماعاتي وكنت قد نويت أن أستمع لبعض تواشيح النقشبدي

وشردت مع صفاء صوته ونسيت أمر الكتابة، وإذ بصوتي الخافت يناديني ولم يكن خافتًا هذه المرة فقد كان يصرخ منزعجًا: "أكملي بالله عليك.. كفاك تشتتًا وكفاك هروبًا وكفاك تلجيمًا لخيالك.. اتركي له العنان وكفاك عبثًا.. ألم تدركي بعد أن الكتابة قدرٌ لك؟"

حلقي وانسي الخوف يا صغيرتي.. واتركي الأمر لله.. فهو مَن يسَّر لقلمك أن يكتب وهو الذي سييسِّر الباقي.. فلقد اتخذتِ طريقًا طويلاً من الألم لتصلي إلى هنا.. عودي إلى حيث تنتمين وأبدعي!!

فانطفأت الأنوار من حولي وكأنني أغمضت عينيَّ وحدثني صوتي مرة أخيرة بهدوء ورفق: "اجمعي شتات نفسك يا صغيرتي.. لا بُدَّ وأن تنتهي من حوارك مع الصديق ستنتهين أنا واثق منك.. وستكون أول قصة تكملها أناملك" فرددت على صوتي الخافت بصوتٍ عالٍ سمعته أذناي: "نعم الصديق.. ولم الصديق؟ مهلاً.. أعرف لماذا اختاره عقلي.. فلطالما تفكرت في صِدقه.. كيف للمرء أن يكون صادقًا وفياً لهذا الحد؟ ومن أين أتى بهذه القدرة ليكون سندًا وعونًا، ونعم الخليل لمحمدٍ دون كلل أو ملل؟

وإذا بي أسمع صوتًا رخيمًا تدل نبرته على ابتسامة تجمع بين الحكمة والبراءة قائلاً:

أعجبني سؤالك يا صغيرتي ففكرت أن أساعدك للوصول للرد.. قولي لي.. هل تحبين الشمس؟ فأجبت: "نعم". فسألني: "هل تأملتها من قبل؟"

فأجبته: "طبعًا فأنا أحب الشروق والغروب.. فالشروق يزودني بالأمل والغروب يزيدني يقينًا أن الألم زائل بإذن الله!!"

فصمت للحظات ثم أردف: هل تشككتِ يومًا ما أن الشمس لن تشرق؟ أجبته: لا، لا أظن؟

فقال: لماذا؟ ان أجبتي هذا السؤال فستجدين إجابة أسئلتك للصديق!

شردت قليلاً ثم قلت له: "إنني أؤمن يقينًا أن الشمس لا بُدَّ وأن تسطع ولو غابت قليلاً نظرًا لما قد يعترض طريقها من سُحبٍ أو غيومٍ.. وإن غابت ليلاً فأثرها باقٍ إلى أن تسطع من جديد.. فابتسم الصوت وقال: "هذه كتلك.. هل عرفتِ الإجابة الآن؟"

إنه اليقين يا عزيزتي.. إنه اليقين فيما توقنين أنه سيأتي.. سيأتي ولو بعد حين بأمر الله.

ظل الصوت يخفت مرددًا هذه الجملة إلى أن اختفى تمامًا وساد السكون.. حتى جاءت زميلتي في الغرفة ووضعت يدها على كتفي لأنتبه إليها.. فانتفضت.. ورفعت عن أذنيَّ سماعاتي لأسمع ما همهمته ولم أتمكن من قراءته على شفتيها.. قلت لها: عفوًا.. لم أكن منتبهة لندائك. قالت: لا بأس.. هيًّا بنا انتهى وقت الراحة لنعود للمحاضرة.. فابتسمت.. وأومأت برأسي.. وانطلقت لأكمل طريقي لاكتشاف ذاتي الحقيقية.

***

ما زلت أحلم

علا أحمد

ما زلت أذكر تلك اللحظات!

كنت في شدة ألمي ولم أرَ أملاً يحييني !

فلم الحياة وكل ما عليها مؤلم ألمًا تخطى كل الآلام.. ويا ليتني تعلمت الصراخ!

وكيف لي أن أصرخ وأنا الحائط الأعظم.. فلو صرخت لتصدعت أو تمايلت وسقط كل هؤلاء! هؤلاء الذين يستندون بثبات ويقين.. أني والله لن أميل!!

مهما آلمتني تلك الرياح التي تهز كياني أو حفرني كل من يريد أن يخلد ذكراه!!

وآهٍ من ذكراه.. قصة حزينة محفورة بداخلي!!

أدرك الآن أني كنت أقوى منها ولكنها قد كانت جرحًا غائرًا مؤذيًا ملوثًا بالكذب والغدر والخيانة والنكران!

نعم.. تغلبت عليه فأصبح ندباتٍ ولكنني كلما لامستها تذكرت ألمها الموحش وصراخها العالي!

ثم أذكر تلك اللحظات الأخريات.. أذكر أحلامي..

نعم.. إني أحلم.. رغم الآلام أحلم.. رغم الخذلان أحلم.. أحلم ثم أحلم.. أحلم بعينيه وهما تحتضناني.. أحلم بتفاهمنا دون الكلام.. أحلم باحترامه لعقلي واحتضانه لقلبي.. أحلم برحمته لضعفي.. واحتوائه لألمي..

أحلم بالسكن.. أحلم بالأمان.. أحلم بالدفء.. أحلم بالصدق.. أحلم بالحب.. وما زلت أحلم!!

https://soundcloud.com/ola-ahmed-130263428/zyrodhvevrl5

****

بين سماء وأرض

علا أحمد

وبينما كنت أتخبط في أروقة الزمان والمكان.. رأيت ذلك الباب.. باب صغير جدًّا لم يخطر على بالي مطلقًا وأنا أطرقه لأستأذن الدخول.. أنني سأجد عالمي الخاص.. الخاص جدًّا.. خلف عتباته المنسية.

خطوت برفق.. فرأيت ألوانًا بديعة واستنشقت رحيقًا لم أدرك وجوده من قبل.. انطلقت هنا وهناك وكأن الخمر تبخر في الهواء وتنفسته عن دون قصد فأفقدني اتزاني الذي لطالما كان نعتي المفضل. خطوت خطوات عشوائية غير معهوده إلى أن وجدته هناك!

كان يتأرجح بعنفٍ وكأنه يضرب الهواء انتقامًا منه فيخرج كل ما لديه من قوة ما بين صعود الأرجوحة لأعلى نقطه ثم هبوط مرعب متناسيًا كل ما حوله..

كان للأرجوحة صرير مزعج تقشعر منه الأبدان، و لكن نظرًا لما تمتلكه هذه اللعبة من إثارة لم يزعجه صريرها. لم أكن اعتقد انها قد تملكته لهذا الحد، فأصبح مسحورًا مربوطًا بتلك الأرجوحة كالمجاذيب..

استفزني عنفه وعفوانه لتحريك الأرجوحة.. فقررت أن أعترض طريقه لأقف أمامه بثبات.. في البداية تجاهلني ولم يعرني انبتاهًا.. أو ربما خاف أن يظهره فيفقد اتزانه ويسقط من فوق تلك الأرجوحة الملعونة التي لطالما ظن أنها مكانه الأمثل..

دنوت ببعض الخطوات بتأنٍ لأرى ملامحه.. كانت عجيبة.. مزيجًا نادرًا من هَمّ الكبر وبراءة الأطفال.. فقفز التساؤل ملحًا.. ماذا بك أيها الكائن العجيب؟ ألا تراني.. لربما يكون كفيفًا؟ ثم ارتجلت بعض الحركات أمامه.. فتحركت مقلتاه لتختلس بعض النظرات..

اندفعت لأذنه وسألته: هل تراني؟ فأجاب: نعم أراكِ، ولكنني أدرك النهاية التعسة إذا توقفت عن التأرجح فقد بقيت هنا لأعوام وأعوام وكلما قررت النزول لشعوري بالدوار أسقط سقوطًا عنيفًا يترك الأثر في جسدي وروحي وعقلي وقلبي لأعوام وأعوام..

فإنني بالله عليكِ أرجوكِ أن تذهبي واستمتعي بتلك الألعاب هناك فهي تليق بك أكثر من هذه اللعبة الملعونة.. ثم صرخ قائلاً: اذهبي وإلا سأؤذيكِ بقدميَّ وسيرى الناس جميعًا أثر جرحك الذي لن يشفى إلا بعد سنين وسنين!!

ابتعدت قليلاً ليهدأ روعه خوفًا مني عليه أن يسقط من شدة بكاء نفسه وروحه اللتين افتقدتا الثبات على أرض صلبه.. فهو منذ أعوام معلق بين سماء وأرض.. لم يلمس الأرض بقدميه حتى إنه لم يعد يهتم أن يرتدي حذاء.. ولماذا يخشى شوك الـأرض وهو دائمًا في السماء.. يتأرجح منعزلاً عن كل ما ينتمي إلى هذا العالم وكأنه قد قرَّر أنه لن يلمس الأرض أبدًاااا..

ذهبت بعيدًا كما أمرني لأكتشف باقي الألعاب.. كنت أختلس النظر من بعيد لأطمئن أنه لم يبرح مكانه ولو أنني أعلم أنه لن يذهب إلى أي مكان.. اشتقت لملامحه العجيبة التي لم أصادف مثلها من قبل إلا في مرآتي..

كنت ألوح إليه من بعيد بسخرية مصطنعة وكأنني أريده أن يعرف أني ما زلت هنا أنفذ ما أمرني - ليطمئن قلبه- ولكنني لن أذهب إليه ولا أكترث لأمره – فيرتاح كبريائي!

لم أجد في تلك الألعاب ما يستهويني.. فخرجت بعيدًا أكتشف إن كان خارج هذه الروضة ما يلهيني عن صاحب الأرجوحة.. فرأيت جبلاً عظيمًا تصل قممه لعنان السماء.. فتذوب نهايته في بداية السحاب.. تمنيت أن أذهب هناك إلى تلك القمة.. أناجي خالقي وأنا أقرب إليه قلبًا وقالبًا.. وقررت أن أخرج من الباب الصغير إلى جبل خيالي الرحيم.. وحدي!!

وفي طريقي لباب الخروج سمعت أنَّات بكاءٍ تعلو في صمت قادمة من تجاه الأرجوحة التعيسة.. فتنهدت وقررت أن أذهب لصاحب الأرجوحة رغم ثقل المقابلة على قلبي.. قلت له والانزعاج ظاهر على ملامحي: أرجوحتك أصدأ من أن تتحمل هروبك من سقطاتك.. ستنهار قريبًا بك.. لم يستجب.. فأشرت إلى الجبل وقلت له: "إن الجبل هناك أكثر إنعاشًا لقلبك الدافئ المغلف بالثلج.. تعالَ معي.. نصعد معًا.. ستهون رحلتنا وستعلو ضحكاتنا وإن اشتقت إلى أرجوحتك التعسة لن يمنعك أحدٌ من الرجوع.."

ولأول مرة ينظر إليَّ بقلبه.. فاندفعت إليه بقبلة الحياة.. رحمة بقلبه الذي ناداني ليخرج من حبس سجانه.. وامتصاصًا لأنَّات روحه التي صرخت في أذنيَّ رغم صمته!! رفع عينيه ونظر إلى ذلك الجبل الذي أشرت إليه بروحي هناك.. أغمض عينيه وثقلت أنفاسه.. فانسحبت ببطءٍ شديدٍ حتى لا يزعجه شهيق أنفاسي وليبقى هائمًا في سحب اللقاء فوق الجبل..

فكرت أن أترك له مساحة ليتخذ خطواته الأولى من فوق الأرجوحة دون أن يخشى سخريتي إن خانته قدماه فقلت له: سأنتظرك عند باب الخروج.. وعيناي تتلألأن تطلعًا لطريق الصعود لأعلى درجات انتشاء الروح.. وانتظرت.. وانتظرت.. وانتظرت.. وطالت ساعات الانتظار.. حتى رأيته قادمًا إليَّ فاتسعت عيناي وشعرت بسعادة تجري في دمي كتلك التي شعرت بها عندما التقيت ابنتي الأولى لأول مرة!

أسرعت إليه لأسانده ولكنه أشار إليّ أنه على خير حالٍ وقال: لا بأس، إني قادم.. لا تقلقي.. ولكنه لم يكن مبتسمًا.. قلت لنفسي: لربما يكون ذلك من جراء ألمه فهو لم يخطُ خطوات ثابتة منذ أعوام..

وبينما كنت أنتظر اللقاء ولقلة صبري.. وحينما أصبحت المسافات قريبة.. ركضت إليه لأحتضنه.. وبعد أن انتهيت.. نظرت إليه وابتسامة البلهاء تعلو وجهي.. وقلت له بحماس: أخيراً فعلتها.. كنت واثقة أنك ستأتي فإذا به يرفع كفه ويضعه على فمي بحنان ويقول اذهبي يا غاليتي.. وكفاك انتظارًا.. لن آتي معك.. هذا ما جئت لأطلعك عليه.. لن أستطيع القدوم.. انطلقي في طريقك.. وأنا سأعود لأرجوحتي فهي وطني وملاذي لا أستطيع أن أتركها أبدًا ثم رفع يده من على فمي ليمسح دموعي ورجع إلى الخلف بعض الخطوات وهو ينظر إليّ وكأنه يودعني ثم أدار ظهره وذهب مسرعًا لأرجوحته وبينما كان راحلاً عني تلاشت ضوضاء الروضة ولم أكن أسمع سوى دقات قلبي العالية إلى أن عاد صرير الأرجوحة من جديد..

***

انتفاضة!

علا أحمد

ولعلها هدية ولربما بلية..

خيال ممزوج بواقعية..

شفاء لروح عليلة منسية..

كلمسة سحرية.. بدواء منتهي الصلاحية..

عنوان قصة حنونة رومانسية.. بنهاية حزينة درامية..

أهو شغف الحب المجرد من القيود وأنظمة الينبوغيات الباليه أم وسيلة للهروب خيالية؟

في قربه طمأنينة المعية الإلهية وفي بعده ضجة تضرب أنحائي بكراهية..

شروق لشمس بعد ليال طويلة ممطره ام غروب لظلام مقبض لليال أخرى مؤلمه مؤذيه..

أستشعر ثورة داخلية.. رياح تثير أتربة في صدرى بحُريِّة.. فتلقى بأسئلة متناثرة لا منطقيه..ألم يحن موعد خلودك في قلبه يا أبيه؟

بوعود حقيقية.. أبدية.. متي يفيق أنك أنتِ هى ؟

أم ستظلين راضخة لكونك جليسة الظل الأزلية؟.. متى ينتفض قلبك الذليل بأنانية؟ ليستغيث من ألم جنونك يا صبية!

https://soundcloud.com/ola-ahmed-130263428/2imrwwsxo3ez

***

انتظار

د/ خميس الحناوي

دخل المحطة على عجل.. وقف وسط الجمع ينتظر القطار.. مر قطار وراءه قطار.. الكل يسارع بالركوب إلاه..

الآن يقف وحيدًا منتظرًا آخر قطار..

إنها لذة الانتظار..

***

دوام

د/ خميس الحناوي

- إذا كان القدر يمتلك لحظة اللقاء.. يتحكم فيها كيف يشاء.. فإن لحظة الفراق بأيدينا نحن.. ونستطيع أن نجعلها لا تأتي..

- ولكننا لا نمتلك لحظة الموت..

- ومن قال إن الموت فراق؟!!

***

إيمان

د/ خميس الحناوي

(أنظر إليك فأزداد إيمانًا)..

قالها وهو يتأمل عينيها..

ولما لمح دهشتها، أردف مفسرا:

(فمن يا ترى قادر على خلق هذا إلا الله ؟)..

***

اختيار

د/ خميس الحناوي

كعادته كل صباح.. وقف (سكالي) - قط ابنتي الصغيرة- أمام النافذة ناظرًا إلى السماء، ومتطلعًا إلى الفضاء الممتد..

أخيراً قررت أن أرفق به.. فتحت له باب الشقة ودفعته للخروج.. لم يخرج!!.. حملته مشيراً إلى الباب.. لم يخرج!!..

والغريب أنه تخلَّص من يدي.. وانطلق ناحية النافذة..

ووقف ناظرًا إلى السماء، ومتطلعًا إلى الفضاء الممتد..

***

أمل

د/ خميس الحناوي

ذهب نهار اليوم، والليل حل..

آخر خيوط النور تلاشى، وها هي ذي العتمة مسيطرة محيطة..

قد تأخرت كثيراً..

هل أنتظر نهار الغد؟..

لا..

ما أخذت من الانتظار إلا انتظارًا..

سأخرج رغم العتمة..

لعل أمرًا لم أقم به نهارًا..

أقوم به والليل ممتد..

***

حلم

د/ خميس الحناوي

كان في الخامسة عشرة من عمره عندما راح يدخر من مصروفه (خمسة قروش) يوميًّا، ومر يوم ويوم وأيام كثيرة وعينه لا يفارقها خيالُ كتاب (الخالدون مائة)، وعقله يمنيه برحلة شائقة ماتعة محفِّزة مع أعظم الناس تأثيرًا في البشرية..

أخيرًا استطاع اقتناء الكتاب، وبنهمٍ وشغفٍ قرأه مرات ومرات..

واليوم وقد تخطى الخامسة والأربعين ما زال يقرأ الكتاب، وما زال الخالدون في الكتاب مائة ولم يزدادوا واحدًا..

***

سكن

د/ خميس الحناوي

كثيراً ما ترهقها عصبيته الزائدة، وطويلاً ما تعاني من غضبه المستعر.

ثم تسكن العاصفة، وتأتي السكينة ومعها ترانيم المودة والرحمة وأناشيد الحب والعشق..

فيقول مطمئنًا: (أنتِ حبيبتي)

فتجيب راضية: (أنا أمك)

***

واقع

د/ خميس الحناوي

(11/ 11 / 2009)

اللقاء الأول.. عشر سنوات مرت وما زال يستعيد ألَق اللقاء وبهاه، ويتنفس عبير الحديث وشذاه..

جو خريفي ربيعي.. جمال محيط مهيمن.. بحر وشجر.. ووجه ليس حسنًا بل هو الأحسن.. هو يغني (بأمر الحب لعبد الحليم حافظ)، وهي هائمة حالمة هامسة بعينيها همسًا تعجز عنه كل بلاغة الدنيا..

وفجأة يأتيه صوتها (أما زلت تجلس لا تفعل شيئًا.. قم تابع مذاكرة أولادك).

11 / 11 / 2019

***

عطر لا ينفد

مروة النجار

يا ليلة العيد آنستينا وجددت الأمل فينا يا ليلة العيد".. يدوي صوت سيدة الغناء العربي أم كلثوم بشوارع المدينة. وسط الأنوار الملونة ومكبرات الصوت بالمساجد تدعو أصحاب السيارات بسحبها من ساحة المسجد لتجهيزه لصلاة العيد، الأطفال يملأون الشوارع لعبًا ولهوًا احتفالاً بقدوم العيد، ووسط ليلة العيد المزدحمة بالفرح والتهانئ تقف سيدة في الثلاثينيات تقريبًا على مكتب الحسابات بأحد المتاجر المزدحمة بجوارها صغيرتها التي لا تتجاوز الثامنة من العمر تحمل فستانًا بسيطًا أحمر اللون على الرقبة والأكمام علقت طبقة رقيقة من الفرو الأبيض، تحتضن الطفلة الفستان وتتمايل به كتمايل زهرة ربيع يداعبها نسيم الهواء، ترتسم على وجهها علامات الحبور والنشوة كما لو كانت عروسًا تستعد لارتداء فستان الزفاف، ويسمع من صوتها الطفولي همهمات السعادة _هاي فستان العيد- وبعد حوار دار بين الأم وموظفة الحسابات حول ثمن الفستان، نظرت الأم إلى الطفلة بوجه حزين وذهن شارد يتدافع فيه سيل من الأفكار الحزينة المتخبطة، تتلاطم فيه كموج البحر في يوم عاصف.. يا الله ماذا أقول لهذة المسكينة؟ كيف أخبرها أنني لن أتمكن من دفع ثمن الفستان؟ إننا سنرحل من المتجر دون شراء فستان العيد؟ إن غلاء الأسعار أفشل كل خطة لديّ لإدخال

البهجة عليها في العيد، يا االله ماذا أفعل.. ينطلق صوتُ موظفة الحسابات.. يا سيدتي، هل ستدفعين ثمن الفستان، فتستفيق المسكينة وتدرك أن عليها سرعة التصرف، وفي هدوء تنحني على الطفلة وتأخذ من يدها الفستان تاركة إياه على مكتب الحساب وتأخذ بيد الصغيرة متوجهة إلى باب الخروج، تفلت الصغيرة يدها من أمها وتتوقف عن السير، ماما ألن نستطيع شراء ذلك أيضًا؟ فنزلت الأم على قدميها حتى كادت تكون على نفس مستوى الطفلة ممسكة بذراعيها في حنانٍ. لا تحزني يا صغيرتي سنجد في متجر آخر، ردت الطفلة قائلة: لكنك كنت تقولين إن هذا آخر متجر محتمل أن نجد به شيئًا مناسبًا.. ساد الصمت للحظات والتفت بعض الزبائن للمشهد المحزن مما زاد على الأم الشعور بالحرج فوقفت حاسمة أمرها متوجهة إلى باب الخروج وهي تقول "نناقش هذا الأمر خارجًا يا صغيرتي) تسير الطفلة مع والدتها في استسلام تجر قدميها الصغيرتين وقد كبلتهما سلاسل الإحباط.

خارج المتجر بينما الشارع مزدحم بالناس، والأصوات صاخبة ما بين البائعين الذين طالما انتظروا تلك المواسم الرائجة بالبيع والمشترين الباحثين عن فرصة انقاص ثمن السلعة للنصف إن أمكن، تسير الأم بطفلتها في هدوءٍ وكأنهم في عالم آخر، متجهين إلى موقف عربات الأجرة المهترئة، كعادة العربات التي تتجول في المناطق الشعبية، وقد بعدتا عن متجر الملابس ببضعة أمتار قليلة، فإذا بصوت مرتفع يشق حالتهما البائسة كما يشق البرق ظلمة السماء في ليلة غاب فيها القمر وتحالفت فيها الغيوم.

"يا سيدتي.. يا سيدتي"، فوقفتا ناظرتين مَن المنادي لتجدا شابة جميلة في منتصف العشرينيات تهرول نحوهما حاملة كيسًا بلاستيكيًّا عليه علامة متجر الملابس، وما إن كادت تصل إليهما حتى انحنت إلى الطفلة وقدمت لها هذا الكيس قائلة: تفضلي أيتها الصغيرة الجميلة هذا فستانك.. كل عام وأنتِ بخير، عيد سعيد.

تنظر الطفلة بذهولٍ، هل هذه حقيقة؟ هل يحمل ذلك الكيس فستان العيد، تحاول شفتاها كسر قالب الإحباط برسم ابتسامة بسيطة، لكن. تتوقف (ماما.. ماما) تنظر الطفلة لأمها وكأنها تطلب منها الإذن والسماح.. يا لها من صغيرة مهذبة حقًّا، لقد أحسنت هذه السيدة تربيتها.

تنظر الأم إلى الفتاة الشابة نظرات جمعت ما بين الشكر والاعتراض قائلة: شكرًا لك سنحضر من البيت المزيد من المال ونعود لشرائه لاحقًا.

ردت الفتاة في نظرات توسل وبكلمات رقيقة وصوت حان قالت:

(يا سيدتي، كنت بعمر طفلتك حينما لم يكن لوالدتي المال الكافي لشراء فستان العيد لي، وسمعت بحديثنا سيدة أتمنى لو أراها مرة أخرى فأقبِّل رأسها لما قدمت لي من معروف واشترت لي الفستان وأهدتني إياه، وحينما أرادت والدتي الاعتذار منها بادرت قائلة: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية)، فشعرت والدتي بالحرج من ذوق تلك المرأة ورقيها وقَبِلنا الهدية، فأرجوك يا سيدتي أن تقبلي هديتي، فنظرت الأم إلى طفلتها في هزة رأس تخبر بالنبأ السعيد إن وافقتِ فخذي هديتك.

فاختضنت الطفلة هديتها في فرحة وتمايُل كما كانت في السابق، ثم أكملت الشابة حديثها موجهة كلامها للصغيرة، لم يكن فستان العيد هو الهدية الوحيدة التي أخذتها تلك الليلة، لقد كانت الهدية الثانية أكثر أهمية بكثير، فسألت الطفلة: وما هي الهدية الثانية؟

وصفة العطر الذي لا ينفد، قالت الطفلة: أنا أحب العطور كثيرًا، ولكن كيف لا ينفد، أخرجت الشابة ورقة وقلمًا من حقيبتها وقالت: سأكتبها ولكن عديني أن تحفظيها كما حفظتها أنا.. قالت الطفلة أعدك، وبعد أن فرغت الفتاة من الكتابة ثنت الورقة وأعطتها للصغيرة وودعتهما وغابت وسط الزحام.

تدخل الأم والطفلة المسرورة إلى شقتهما المتواضعة في انتظارهما الجدة العجوز صاحبة الكرسي المتحرك تجري الصغيرة مرتمية في حضنها لعلها تسكب عليها بعض ما تحمله من حبور: جدتي.. جدتي. ثم تُخرج الفستان تقلبه أمام عينها يمينًا ويسارًا هاتفة: هذا فستان العيد يا جدتي.

الجدة: جميل جميل.

ذهبت الصغيرة لارتداء الفستان بينما جلست الأم لتحكي ما حدث معها هي والصغيرة بادئة كلامها: "معجزة يا ماما لقد حدث لنا اليوم معجزة ثم سردت الحكاية" حتى دخلت الصغيرة قاطعة حديثهما وفي يدها الورقة _أقصد وصفة العطر _الهدية الثانية، انظري يا جدتي هذه وصفة عطر، نصنعها سويًّا، فأخذت الجدة الورقة وما إن قرأت حتى تغيَّر وجهها وتساقطت بعض الدمو.ع

اقتربت الأم من الجدة: "ماما، هل تبكين؟ ماذا كتب في الورقة؟"

قالت الجدة وهي تسمك الورقه وتقرأ بصوت رخيم يكسوه الخشوع:

"تذكري يا صغيرتي أن العطاء كالعطر. حينما تضغط عليه لتسعد به غيرك، تكون أول مَن يلتصق به، إلا أن ميزته عن غيره من العطور أنه لا ينفد"

ثم رفعت الجدة رأسها وقد وقفت الأم والطفلة تنظران لها في انتباه

وهي تقول: "كنت أنا تلك المرأة" حقًّا.. العطاء عطر لا ينفد.

***

المحتويات

ما قبل النهاية........ 5
طاولة لأربعة أفراد 26
شخصية خيالية........31
المعبدُ المُقدس........36
ثقوب الذاكرة 40
أرواح شريرة........44
باقة وردٍ في اسطنبول 46
أرجوحة جدال........51
هإسكندرية_العشق 54
وجهًا لوجه 59
الزهرة 61
حدس صادق 63
مرحبًا بكم في عقلي 66
ندم بعد جفاء 71
ركام التخاذل 76
حلم جميلة........81
الحقيقة 85

حيرة 87
فرحة ولكن 90
رحلة العمر 93
لن نكون معًا 98
أمل طالب 106
بحر الحب........................ 109
حواديت........................ 122
لا تكسر الحلم 128
نفحات 130
سندريلا 2020 136
رحمة السماء 141
رسالة إلى العالم الآخر 145
دمعة 151
اختفاء 153
شربة ماء 157
حُلم وأمل 159
أعباء........................ 161
بالنكهة الايطالية 162
لمَ يا ترى؟........................ 164
تعريف........................ 166
أستودِعُك الله 168
اجتياح 170

قصة قصيرة 172
آسر 175
صرير الحنين 176
فضيحة حب 179
انظر إليَّ 183
قرار وجع 184
شموس المدينة 185
مدافن باب الوزير 187
صداقة بلا موعد 191
أنا بخيرٍ.. ما دُمتِ أنتِ بخير........................ 194
أنا وأبي........................ 197
الأرجوحة 199
قلمي 201
الفستان الوردي........................ 202
البحث عن المعنى 204
الوحدة........................ 206
هل الموهبة تكفي 207
9 شارع القاضي 208
بيان_ أم عمر........................ 211
مقهى كامب شيراز 218
.... 223
المعتكف الثقافي........................ 223

حمار جدي 233
ماما دايمًا موجودة 240
العيد فرحة........ 242
حجاب أحمر........ 244
شـــوق وحنيـــن 246
موعد على رقصة فالس 251
المرض العُضال........ 257
الدموع الباسمة 262
خالتي "رئيسة" والنقالة 266
حديث داخلي 269
.... 271
كلب عم "بهبه" 271
سقوط مروان 274
ركن الطرب 276
ذكريات 279
خالي عثمان" 282
مائة نظرة........ 284
رب صدفة 287
حلم صيف شتوي........ 292
.... 295
قهوه بوِشّ 295
عاديا........ 299

جريمة ضمير........................ 310
بذرة يقين 312
ما زلت أحلم........................ 316
بين سماء وأرض 318
انتفاضة! 322
أقاصيص د/ خميس الحناوي 323
انتظار........................ 323
دوام 324
إيمان 325
اختيار........................ 326
أمل 327
حلم 328
سكن 329
واقع 330
عطر لا ينفد........................ 331